القرطين لابن مطرف الكناني

أو

كتابي مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة

﴿ الجزء الأول ﴾

﴿ الطبعة الأولى سنة ١٣٥٥ هجرية ﴾

﴿ على نفقة مكتبة الخانجي ﴾

لأصحابها أولاد محمد أمين الخانجي

بشارع عبد العزيز بمصر

مطبعة الخانجي ومكتبتها



كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

علم القرآن العظيم، هو أرفع العلوم قدراً، وأجلها شأناً، وأشرفها ذكراً، وقد عنى فطاحل العلماء منذ فجر الاسلام الى يومنا هذا بتفهم معانى القرآن، وتحصيل علومه، ووضعوا فى ذلك الأسفار الخالدة من الكتب التى تبحث فى فنون هذا العلم الجليل. و (غريب القرآن) من جملة هذه الفنون وقد أفرد التأليف فيه علماء أعلام مذكورة أسماؤهم بالتفصيل فى كتب التاريخ والتراجم، وقد ذكر صاحب كشف الظنون جملة أعلام منهم فى باب (غريب القرآن.)

وهذا الكتاب الذى نقدمه الآن الى القراء يجمع بين دفتيه كتابى غريب القرآن ومشكله اللذين صنفهما أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى. أما الذى جمعهما فى هذا الشكل البديع، والتأليف الطريف فأصبحا (كالقرطين) فى أذنى الحسناء، فهو الامام ابن مطرف الكنانى الأندلسى أحد قراء الاندلس فى أواسط القرن الخامس للهجرة النبوية — وكان من أجلة أصحاب المقرىء ابن محمد مكى بن أبى طالب — كما سيقف القارىء على ترجمته فيما بعد.

وقد جاء ذكر الكتابين والاشارة الى مكانة ابن محمد مكى بن أبى طالب

فى مقدمة كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبي — فانه يقول مانصه :

« وصنف أبو محمد بن قتيبة فى غريب القرآن ومشكاه وكثير من علومه . ثم صنف المقرىء أبو محمد مكى بن أبى طالب كتاب الهداية فى تفسير القرآن وكتابا فى غريب القرآن وكتابا فى ناسخ القرآن ومنسوخه وكتابا فى إعراب القرآن إلى غير ذلك من تآليفه فانها نحو ثمانين تأليفا أكثرها فى علوم القرآن والقراءات والتفسير »

وقد وقعت لى النسخة التى اعتمدت عليها فى طبع هذا الكتاب حوالى سنة ١٣٢١ هجرية عند ما كنت أتاجر فى الكتب وأنا بالاستانة ، اشتريتها يومئذ من عالم كبير من علماء الاتراك ، وكان حريصا عليها أشد الحرص فتعاهدت وإياه على نشرها وأنا أشد ما أكون رغبة فى الوفاء بالعهد وقد باشرت الطبع منذ ثلاثين عاما ، ولكن حالت بعض الظروف دون اتمام هذه الامنية ، غير أننى حرصا على ألا تتسرب النسخة الى الخارج عرضتها على المغفور له سعادة أحمد تيمور باشا حيث كان رحمه الله من أكابر أهل العلم الحريصين على أمثال هذه النوادر . وها أنذا أتقدم الآن بهذا الكتاب النفيس بعد أن وفقنى الله الى اتمام طبعه والله المستعان على تحقيق الغايات .

القاهرة فى أول الحجة ١٣٥٥ هجرية

الناشر

محمد أمين الخانجى الكتبي

ترجمة ابن قتيبة

التعريف به :

هو : ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة [1] الدينورى [2] المروزى [3] العالم الكبير ، واللغوى الخطير ، والناقد الخبير ، والكاتب القدير ، والاديب الالمعى ، والحافظ الذكى ، والمؤرخ المحقق ، والراوى الصادق ، والمفسر المحدث المحيط بمشكل وغريب كتاب الله وسنة رسول الله ، المدرك لدقيق معانيهما ، وبعيد مراميهما . والمؤلف المستقل الفكر ، الجرىء فى تقرير الحق ، الواضع للعلماء والادباء أسس النقد اللغوى والادبى ، الذى سار بذكره الركبان ، واستفاد من مؤلفاته واستقى من معلوماته الخاص

«١» قتيبة : بضم القاف وفتح التاء المثناة من فوقها وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها باء موحدة ثم هاء ساكنة . وهى : تصغير «قتبة» بكسر القاف : واحدة الأقتاب . والاقتاب : الامعاء وبها سمى الرجل . والنسبة اليه : قتبى .

«٢» الدينورى : نسبة الى « دينور » بكسر الدال المهملة — وقال السمعانى : بفتحها . وليس بصحيح — وبسكون الياء المثناة من تحتها وفتح النون والواو بعدها راء : مدينة من أعمال الجبل قرب « قرميسين » وبينها وبين « همذان » نيف وعشرون فرسخا : خرج منها خلق كثير .

«٣» المروزى : نسبة إلى « مرو الشاهجان » على غير القياس .ونسبة الثوب : مروى ، على القياس . وهى : مرو العظمى أشهر مدن خراسان وقصبتها . بينها وبين نيسابور سبعون فرسخا ومنها الى سرخس ثلاثون فرسخا وإلى بلخ مائة واثنان وعشرون فرسخا . وإليها ينسب كثير من العلماء والفقهاء .

والعام فى كل زمان ومكان ، واجمع كل من وفق لقراءتها وفهمها على تفننه ودقته ، وقوة رأيه وحجته ، وحسن ادبه ورحيق عبارته ، وحاضر بديهته وذاكرته ، وسعة اطلاعه وحافظته . وأحد رؤساء اهل السنة الناصرين لكلمتهم ، المدافعين عن عقيدتهم ، المتصدين لابطال آراء خصومهم ، ودمغ حججهم وبراهينهم . ومن أكبر اولئك الذين قاوموا الشعوبية فى العصر العباسى الاول ، وصمدوا فى وجهها ، وأعلنوا حربا عوانا ضدها ، وحقروها وهزؤا بها ، وعملوا جهدهم على محوها والقضاء عليها ، وتعصبوا للعربية وأشادوا بذكرها ، وألفوا فى فضلها (١) ، وأبانوا عظيم سؤددها وقديم شرفها ومجدها . فلا غرو إذا وجدنا كتب التاريخ والادب تفيض بالاشادة بذكره ، والتنبيه على عظيم فضله وجليل قدره .

أصله ، ومولده ، ونشأته :

أصله فارسى من مدينة مرو . ولد أبوه بها . أما مولده هو فاختلف المؤرخون فيه : فبعضهم ـ كابن الانبارى وابن النديم وابن الأثير ـ قال : انه ولد فى الكوفة . وبعضهم ـ كالسمعانى والقفطى ـ قال : إنه ولد فى بغداد فى شهر رجب سنة ٢١٣ هـ . وإنما نسب إلى دينور لاقامته بها مدة ولايته القضاء . ولقب أيضا بالمروزى لكون أبيه من مرو .

ولقد تربى ـ رحمه الله ـ فى بغداد ، وتثقف على أهلها ، وأخذ العلم عن رجالها ، وتولى القضاء بدينور ، ثم كان معلما ببغداد .

«١» انظر القطعة من كتاب فضل العرب لابن قتيبة التى أثبتها الاستاذ كردعلى فى مؤلفه « رسائل البلغاء » من ص ٢٦٩ إلى ٢٩٥

شيوخه ، وتلاميذه :

شب ابن قتيبة فى بغداد (وهى وقتئذ عاصمة الخلافة ، ومدينة الحضارة ومنبع العلوم والعرفان ، ومنتدى الادب والبيان ، ومقصد العلماء والفقهاء ، ومحط آمال الادباء والشعراء) فأكب على الدرس والتعليم ، وجد فى الاخذ والتحصيل على كبار المحدثين والمفسرين وأئمة الرواة واللغويين ، وشيوخ الادباء والمتكلمين ، فحدث بها عن إسحق بن راهويه ومحمد بن زياد الزيادى وأبى الخطاب زياد بن يحيى الحسانى البصرى ، وابى حاتم السجستانى وابى الفضل العباسى بن الفرج الرياشى ، وابى محمد (او ابى الحسن) عبد الرحمن ابن عبد الله أخى الاصمعى ، وأبى حفص حرملة بن يحيى التجيبى المصرى ، وغيرهم . وأقرأ كتبه ببغداد إلى حين وفاته ، وانتفع بها كثير من أكابر العلماء وأئمة اللغة والادب . وروى العلم عنه كثيرون . منهم : ابنه القاضى أبو جعفر أحمد بن قتيبة الفقيه المالكى الاديب ، وأبو محمد عبيد الله بن عبدالرحمن السكرى ، وأبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه الفسوى النحوى ، وإبراهيم بن محمد بن أيوب الصائغ ، وعبيد الله بن أحمد بن بكر التميمى ، وأبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشى الاديب ، وأبو محمد قاسم بن أصبغ بن يوسف بن ناصح بن عطاء البيانى القرطبى ، وأبو بكر المالكى . وفى سماعات كتابه (تأويل مختلف الحديث) : أن ممن قرأه عليه أبا بكر أحمد بن الحسن الدينورى ، وأبا بكر بن حسين بن إبراهيم الدينورى ، وأحمد بن مروان المالكى . وروى كتبه المصنفة ، فى مصر حفيده أبو أحمد عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله بن مسلم (الذى ولد ببغداد فى حياة جده سنة ٢٧٠ ﻫ وانتقل إلى مصر وأقام بها) عن أبيه عن جده .

مذهبه الفقهى ، وعقيدته الكلامية ، وآراء العلماء فيه :

لم يصرح أحد من العلماء ـ على مايبدو لنا ـ بمذهبه الفقهى . والذى يظهر لنا : أنه إن لم يكن مجتهدا له مذهب خاص كأغلب علماء عصره ، فليس بشافعى ولامالكى ولاحنفى : إذ لوكان شافعيا لذكره ابن السبكى فى الطبقات الكبرى ، أو مالكيا لذكره ابن فرحون فى الديباج المذهب كما ذكر ابنه القاضى أبا جعفر ، أوحنفيا لذكره اللكنوى فى طبقات الحنفية ولا يبعد أن يكون حنبليا أوعلى الأقل : يذهب فى الاخذ بالحديث مذهب الامام أحمد ، وتكون نسبته إلى أحمد كنسبة البخارى إلى الشافعى ، وقد يستأنس على ذلك بقول صاحب كتاب التحديث بمناقب أهل الحديث : « وكان (يعنى ابن قتيبة) يميل إلى مذهب أحمد وإسحق » .

ثم اختلفوا فى مذهبه الكلامى : أهو من أهل السنة ، أم من الكرامية أم من المشبهة ، كما اختلفوا فى كونه صادق الرواية أوكاذبها . فنسبه البيهقى إلى فرقة الكرامية . وروى صاحب مرآة الزمان (كما قال الذهبى فى الميزان) أن الدارقطنى قال : « كان ابن قتيبة يميل إلى التشبيه ، منحرفا عن العترة ، وكلامه يدل عليه » . ونقل السيوطى والداودى عن الحاكم قوله : « أجمعت الأمة على أنه كذاب » . والحق أنه من أهل السنة ومؤيدلهم ، ومن الصدق والورع بالمكان الأسمى . وإلى ذلك ذهب أكثر العلماء (كالخطيب والذهبى وابن تيمية والسيوطى والداودى) ووثقوه وردوا على من جرحه ونسبه إلى غير مذهبه . فقد قال ابن تيمية فى كتابه تفسير سورة الاخلاص (ص ٨٦) : « وهذا القول اختيار كثير من أهل السنة ، منهم ابن قتيبة وأبو سليمان الدمشقى وغيرهما . وابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد وإسحق والمنتصرين

لمذاهب السنة المشهورة ، وله فى ذلك مصنفات متعددة » . ثم قال : « ويقال : هو (يعنى ابن قتيبة) لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة ، فانه خطيب السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة » . ثم ناقش ابن الانبارى فى رده على ابن قتيبة فقال فى ص ٥ من ذلك الكتاب : « وليس هو (يعنى ابن الانبارى) أعلم بمعانى القرآن والحديث وأتبع للسنة من ابن قتيبة ولا أفقه فى ذلك ، وإن كان ابن الانبارى من أحفظ الناس للغة ، لكن باب فقه النصوص غير باب حفظ اللغة » .

وقال صاحب كتاب التحديث بمناقب أهل الحديث : « وهو (يعنى ابن قتيبة) أحد أعلام الأئمة والعلماء والفضلاء ، وأجودهم تصنيفا ، وأحسنهم ترصيفا ، له زهاء ثلاثمائة مصنف ، وكان يميل إلى مذهب أحمد وإسحق ، وكان معاصرا لابراهيم الحربى ومحمد بن نصر المروزى ، وكان أهل المغرب يعظمونه ويقولون : من استجاز الوقيعة فى ابن قتيبة يتهم بالزندقة ويقولون : كل بيت ليس فيه شىء من تصنيفه لاخير فيه » .

وقال الخطيب كما نقله السيوطى فى البغية : « كان رأسا فى العربية واللغة والأخبار وأيام الناس ، ثقة دينا فاضلا » .

وقال الذهبى فى الميزان (ج ٢ ص ٥٥٦) : « صاحب التصانيف ، صدوق قليل الرواية) . ثم بعد أن ذكر قول الحاكم السابق قال ردا عليه (ان هذه مجازفة قبيحة وكلام من لم يخف الله) . ونقل الداودى فى طبقات المفسرين للسيوطى — بعد نقلهم قول الحاكم — قول الذهبى : (ماعلمت أحدا اتهم القتيبى فى نقله مع أن الخطيب قد وثقه ، وما أعلم أن الأمة أجمعت إلا على كذب الدجال ومسيلمة) .

واستبعد السيوطى والداودى أنه من المشبهة ـ : بأن له مؤلفا فى الرد عليهم [1] . على أن ابن قتيبة نفسه قد ذكر المشبهة فى كتابه (تأويل مختلف الحديث) ونسبهم الى الافتراء على الله تعالى فى أحاديث التشبيه [2] .

علمه ، ومؤلفاته .

أجمع الذين تكلموا عن ابن قتيبة على أنه كان من أئمة العلماء ، وأعلام الأدباء ، وحفاظ الأذكياء ، وعلى أنه كان رأسا فى العربية واللغة والاخبار وأيام الناس ، وحجة فى غريب القرآن والحديث والشعر ومعانيها ، وعلى أنه الفقيه المثقف ثقافة دينية واسعة .

قال صاحب ضحى الاسلام (ج ١ ص ٤٠٦) . (ثم هو رجل دينى من رؤساء أهل السنة ، فكان لذلك مثقفا ثقافة دينية واسعة ، ولم تقتصر ثقافته على الاسلام ، بل قرأ التوراة و لانجيل وأكثر النقل منهما ، فهو ينقل كثيرا عن وهب بن منبه وعن التوراة والانجيل ، ويقول قرأت فى التوراة وقرأت فى الانجيل ، وينقل دعاء للمسيح ودعاء لداود ودعاء ليوسف عليهم السلام ، وينقل أخبارا عن الرهبان كما ينقل أحاديث عن رسول الله والصحابة والتابعين والزاهدين من المسلمين) .

ثم قال : (وعلى الجملة ، فثقافة ابن قتيبة واسعة كل السعة ، ومظهر امتزاج الثقافات فيه ـ مدنية كانت أودينية ـ مظهر جلى واضح) .

أما تواليفه . فنواحيها متعددة ، وعباراتها قوية واضحة ، وكلها باتفاق

«١» هذا المؤلف عنوانه : الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة . وقد طبعته مكتبة القدسى سنة ١٣٤٩ هـ

«٢» انظر « ص ٧ — ١٣ من كتابه تأويل مختلف الحديث »

العلماء مفيدة عظيمة القدر ، جليلة النفع ، لاغناء لأحد عن قراءتها والاستفادة منها ، حتى كان أهل المغرب ـ كما قال ابن كثير ـ . يتهمون من لم يكن فى بيته منها شىء . وكانوا يقولون : (كل بيت ليس فيه شىء من تصنيفه لاخير فيه) . الا أن أبا الطيب (عبد الواحد بن على اللغوى) أخذ عليه فى كتابه (مراتب النحويين) [1] (ص ١٣٧) : (أنه قد خلط عليه بحكايات عن الكوفيين لم يكن أخذها) : ولعل سبب ذلك ـ كما قال كاتب مقدمة عيون الأخبار ـ ماقاله عنه ابن النديم . (انه كان يغلو فى البصريين الا أنه خلط المذهبين ، وحكى فى كتبه عن الكوفيين) . ولم يقتصر نقد أبى الطيب على النحو بل تعدى إلى كثيرمن مؤلفاته ـ كالمعارف وطبقات الشعراء وعيون الأخبار ـ فقال : ان ابن قتيبة كان يشرع فى أشياء ولا يقوم بها نحو تعرضه لتأليف أمثال هذه المؤلفات) . وهو نقد لا يسلم منه مؤلف مكثر.

وقال ابن خلكان : (والناس يقولون ان أكثر أهل العلم يقولون : إن أدب الكاتب خطبة بلا كتاب ، واصلاح المنطق كتاب بلا خطبة . وهذا فيه نوع تعصب عليه ، فان أدب الكاتب قد حوى من كل شىء وهو مفنن ، وما أظن حملهم على هذا القول الا ان الخطبة طويلة والاصلاح بغير خطبة)

ثم هى أكثر من ان تعد . قال صاحب التحديث بمناقب أهل الحديث (إن لابن قتيبة زهاء ثلاثمائة مصنف) وقال النووى فى تهذيب الاسماء واللغات : (ولابن قتيبة مصنفات كثيرة جدا ، رأيت فهرسها ونسيت عددها

«١» هذا الكتاب من نفائس الخزانة التيمورية وهو محفوظ بها تحت رقم «١٤٢٥» تاريخ

أظنها تزيد على ستين فى أنواع العلوم) . ولقد عنى أكثر الذين ترجموا له بذكر الكثير من مؤلفاته ، ولم نر من تعرض لذكرها بتوسع وإيضاح كصاحب مقدمة عيون الأخبار ، ولنكتف بسرد مؤلفاته مع التنبيه على المطبوع والمشروح منها محيلين القارىء على تلك المقدمة [1].

(١) عيون الاخبار . ويحتوى على عشرة كتب : كتاب السلطان ، كتاب الحرب ، كتاب السؤدد ، كتاب الطبائع ، كتاب العلم ، كتاب الزهد ، كتاب الاخوان ، كتاب الحوائج ، كتاب الطعام ، كتاب النساء . طبعته دار الكتب المصرية سنة ١٣٤٩ ﻫ . (٢) معانى الشعر الكبير . ويحتوى على اثنى عشر كتابا : كتاب الفرس ستة وأربعون بابا ، كتاب الابل ستة عشر بابا ، كتاب الحرب عشرة أبواب ، كتاب الغرور عشرون بابا ، كتاب الديار عشرة أبواب ، كتاب الرياح أحد وثلاثون بابا ، كتاب السباع والوحوش سبعة عشر بابا ، كتاب الهوام أربعة عشر بابا ، كتاب الايمان والدواهى سبعة أبواب ، كتاب النساء والغزل باب واحد ، كتاب النسب واللبن ثمانية أبواب ، كتاب تصحيف العلماء باب واحد . (٣) المعانى وهو عبارة عن جزءين فى الخيل والذباب . ويجوز أن يكونا من الكتاب السابق (٤) عيون الشعر . ويحتوى على عشرة كتب منها : كتاب المراتب ، كتاب القلائد ، كتاب المحاسن ، كتاب المشاهد ، كتاب الشواهد ، كتاب الجواهر كتاب المراكب . (٥) ديوان الكتاب (٦) تقويم اللسان (٧) خلق الانسان (٨) كتاب الخيل (٩) كتاب الانوار (١٠) جامع النحو الكبير (١١) جامع النحو الصغير (١٢) الميسر والقداح . طبع بالمطبعة السلفية سنة ١٣٤٢ ﻫ .

«١» انظر مقدمة الجزء الرابع من عيون الاخبار « ص١٩ — ٣٨ »

(١٣) فضل العرب على العجم أو كتاب العرب وعلومها . نشر الأستاذ محمد كرد على قطعة منه فى رسائل البلغاء (ص ٢٦٩ — ٢٩٥) سنة ١٣٣١ هـ .
(١٤) التسوية بين العرب والعجم . ولا يبعد أن يكون هذا عين سابقه .
(١٥) المعارف . طبع بجوتينجن سنة ١٨٥٠ م ، وبمصر مرتين أولاهما سنة ١٣٠٠ هـ والثانية وهى أصح الطبعات — سنة ١٣٣٥ هـ . وهو من أجمع الكتب للنوادر التاريخية الدقيقة (١٦) طبقات الشعراء أو الشعر والشعراء. طبع بلندن كاملا سنة ١٩٠٤ م ، وبمصر ناقصا سنة ١٣٢٢ ، وسنة ١٣٥٠ وهو يحتوى على تراجم أشهر الشعراء الذين يحتج بشعرهم . فلعل الله يقيض من ينشره بمصر كاملا مصححا (١٧) كتاب الحكاية والمحكى (١٨) كتاب فرائد الدر (١٩) حكم الامثال (٢٠) آداب العشرة (٢١) كتاب العلم (٢٢) كتاب القلم انفرد بذكره السيوطى والداودى ولعله عين سابقه (٢٣) الجوابات الحاضرة (٢٤) تعبير الرؤيا (٢٥) كتاب الامامة والسياسة طبع بمصر عدة طبعات . واشتهرت نسبته لابن قتيبة غير أن كثيرا من العلماء المستشرقين ـ وأولهم غانيفوس المجريطى ـ شكوا فى صحة تلك النسبة مستندين إلى أدلة معقولة (٢٦) كتاب الجرائيم . وهو عبارة عن مجموعة رسائل لمؤلفين مختلفين . وقد نشر بعضها بعض المستشرقين . وهى منسوبة لابن قتيبة خطأ فى الخزانة الظاهرية بدمشق (٢٧) كتاب الفرس فى معانى الشعر (٢٨) تاريخ ابن قتيبة أشار صاحب كشف الظنون فى كلامه على تاريخ أبى حنيفة الدينورى إلى قول المسعودى عنه « إن ابن قتيبة أخذ ما ذكره وجعله عن نفسه » (٢٩) كتاب المراتب والمناقب عن عيون الشعر، يظهر أنه

جزء من عيون الشعر المتقدم (٣٠) أدب الكاتب أو أدب الكتاب[1] هو أحد أركان كتب الادب كما قال ابن خلدون ولا يستغنى عنه عربى . طبع بمصر عدة طبعات ، وفى ليدن سنة ١٩٠١ م . وقد اهتم العلماء به وشرحه أبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن السيد البطليوسى المتوفى سنة ٤٢١ﻫ وهو شرح قيم طبع ببيروت سنة ١٩٠١ م وأبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقى المتوفى سنة ٥٣٩ ﻫ وقد طبعته مكتبة القدسى سنة ١٣٥٠ ﻫ وسليمان ابن محمد الزهراوى ، وأبو على حسن البطليوسى المتوفى سنة ٥٧٦ ﻫ ، وأحمد بن داود الحذامى المتوفى سنة ٥٩٨ ﻫ ، واسحاق بن إبراهيم الفارابى المتوفى سنة ٣٥٠ ﻫ . وشرح بعضهم خطبته خاصة كأبى القاسم عبد الرحمن ابن اسحاق الزجاجى المتوفى سنة ٣٥٠ ﻫ ، ومبارك بن فاخر النحوى المتوفى سنة ٣٣٨ﻫ .وشرح بعضهم أبياته فقط كأحمد بن محمد الخازرنجى المتوفى سنة ٣٤٨ ﻫ . وقد لخصه الشيخ طاهر الجزائرى وطبع بالمطبعة السلفية سنة ١٣٣٧ﻫ (٣١) كتاب الاشربة نشر أكثره (مسيو أرتوركى) المستشرق الفرنسى بالمجلد الثانى من مجلة المقتبس فى الصحف (٣٢) كتاب التفقيه . قال ابن النديم :« هذا الكتاب رأيت منه ثلاثة أجزاء نحو ثمانمائة ورقة بخط (برك) وكانت تنقص على التقريب جزأين ، وسألت عن هذا الكتاب جماعة من أهل الخط فزعموا أنه موجود ، وهو أكبر من كتب البندنيجى وأحسن منها (٣٣) المسائل والاجوبة . فى الحديث واللغة . طبعته مكتبة القدسى سنة ١٣٤٩ ﻫ (٣٤) دلائل النبوة (٣٥) اصلاح غلط أبى عبيد فى غريب

«١» ألف هذا الكتاب للوزير أبى الحسن عبد الله بن يحيى بن خاقان ، وذكره فى الخطبة وأثنى عليه لما كان بينهما من الصلة الوثيقة

الحديث شرحه أبو المظفر محمد بن آدم بن كمال الهروى المتوفى سنة ٤١٤ هـ (٣٦) جامع الفقه (٣٧) الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة طبعته مكتبة القدسى سنة ١٣٤٩ هـ (٣٨) تأويل مختلف الحديث طبع بمطبعة كردستان العلمية بالقاهرة سنة ١٣٢٦ هـ وهو كتاب يحتاج اليه كل من يرغب فى الوقوف على التوفيق بين الاحاديث المناقضة (٣٩) مشكل الحديث (٤٠) غريب الحديث (٤١) آداب القراءة (٤٢) الرد على القائل بخلق القرآن (٤٣) إعراب القراءات أو إعراب القرآن (٤٤) كتاب القراءات (٤٥) معانى القرآن (٤٦) غريب القرآن (٤٧) مشكل القرآن

أما غريب القرآن فقد ذكره ابن خلكان والخطيب، والداودى فى طبقات المفسرين، والسيوطى فى البغية، وابن كثير فى تاريخه، وابن الانبارى فى نزهة الالبا، والقفطى فى انباه الرواه، وابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب، ومؤلف طبقات السادة الحنفية، وصاحب كشف الظنون وتوجد منه نسخة فى الخزانة الظاهرية بدمشق وفى مكتبة المرحوم الشيخ عثمان القارىء بالطائف، وقد وصفت هذه النسخة بالمجلد الثانى من المجلة السلفية بأنها فى عشر كراسات، ابتدأها المصنف بذكر أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، وتأويلهما واشتقاقهما، وأتبع ذلك ألفاظ أكثر ترددها فى الكتاب لم يربعض السور أولى من بعض، ثم ابتدأ بتفسير غريب القرآن دون تأويل مشكله لأنه أفرد للمشكل كتابا جامعا كافيا. قال: وغرضنا الذى امتثلناه فى كتابنا هذا أن نختصر ونكمل، وأن نوضح ونجمل، وأن لا نستشهد على اللفظ المبتذل، ولا نكثر الادلة على الحرف المستعمل، إلى أن قال وكتابنا هذا استنبط من كتب المفسرين، وكتب أصحاب اللغة

العالمين لم نخرج فيه عن مذاهبهم ، ولا تكلفنا فى شىء منه بآرائنا غير معانيهم ، بعد اختيارنا فى الحرف أولى الاقاويل فى اللغة، وأشبهها بقصة الآية، ونبذنا منكر التأويل ومنحول التفسير .... الخ

وأما مشكل القرآن فقد ذكره ابن خلكان والخطيب ، والسيوطى فى البغية ، والسمعانى فى الانساب ، وابن كثير فى تاريخه ، وابن الانبارى والداودى فى طبقات المفسرين ، والقفطى وابن العماد الحنبلى ومؤلف طبقات فقهاء السادة الحنفية وصاحب كشف الظنون . وتوجد منه نسخة بمكتبة كوبريلى بالاستانة ، وأخرى بمكتبة ليدن ، ونسختان مخطوطتان بدار الكتب المصرية :

وأول هذا الكتاب : (الحمد لله الذى نهج لنا سبيل الرشاد، وهدانا بنور الكتاب ، ولم يجعل له عوجا ، بل نزّله قيّما بيّنا ، لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ... الخ

وقد تكلم فيه ابن قتيبة عن العرب وما خصهم الله به من المعارضة وقوة البيان واتساع المجاز ، ووجوه القرآن واللحن والتناقض والاختلاف والمتشابه من القرآن ، والقول فى المجاز والاستعارة والمقلوب ، والحذف والاختصار ، وتكرار الكلام والزيادة فيه والكتابة ، ومخالفة ظاهر اللفظ معناه واللفظ الواحد للمعانى المختلفة ، ودخول بعض الصفات مكان بعض

وقد جمع بين كتابى غريب القرآن ومشكل القرآن العلامة ابن مطرف الكنانى فى كتاب القرطين وهو هذا السفر الجليل الذى نقدمه إلى حضرات القراء الحافظين والدائبين على المطالعة فى كتب التفسير، المغرمين بالوقوف على دقائق معانى ألفاظ القرآن الكريم ، فان فيه النفع العظيم إن شاء الله .

وفاته :

اختلف فى وفاته فقيل : إنه توفى فى ذى القعدة سنة سبعين ، وقيل سنة إحدى وسبعين ، وقيل أول ليلة من رجب سنة ست وسبعين ومائتين . والأخير أصح الأقوال كما قال ابن خلكان . وكانت وفاته فجأة ، صاح صيحة شديدة سمعت من بعد ثم أغمى عليه ومات . وقيل : أكل هريسة فأصابته حرارة ثم صاح صيحة شديدة ثم أغمى عليه إلى وقت الظهر ، واضطرب ساعة ثم هدأ ، فما زال يتشهد الى وقت السحر ثم مات رحمه الله تعالى .

ابن مطرف الكنانى

نقلا عن كتاب طبقات القراء الترجمة رقم ٢٨٠٧

محمد بن أحمد بن مطرف أبو عبد الله الكتانى (الكنانى) القرطبى يعرف بالطرفى لكونه كان يؤم بمسجد طرفة بقرطبة ، مقرىء كبير ، تلقى الروايات عن مكى ولازمه ، وحمل عنه معظم ماعنده ، وسمع أبا العباس المهتدى ، وسمع يونس بن عبد الله ، وكان عجيبا فى القراءات ؛ أخذ الناس عنه كثيراً . قرأ عليه عون الله القرطبى ، وأحمد بن عبد الرحمن الخزرجى ، وقال ابن بشكوال : كان ديناً فاضلا ، ثقة . حدثنا عنه أبو القاسم بن صوّاب بجميع مارواه ، وغيره من شيوخنا ، ووصفوه بالمعرفة والجلالة ، وكثرة المزاح والدعابة ، ولد سنة سبع وثمانين وثلاثمائة . ومات فى صفر سنة أربع وخمسين وأربعمائة .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اللهم أعِنْ وصل على محمد وعلى آله وسلم تسليما ﴾

﴿ قال محمد بن احمد بن مطرّف الكناني رحمه الله ﴾

الحمد لله السامع قبل أن يُناجَى . الناظرِ من حيث لا يُرَى . العالِم بما لا يُدْرَى . الذي له الاسماء الحسنى والامثالُ العُلَى . وله ما في السموات والارض وما بينهما وما تحت الثرى . وصلى الله على محمد نبيه المصطفى . ورسوله المرتضى . أفضلَ صلاة وازكاها . واتمها وانماها . واسعدها وارضاها . وسلم تسليما

﴿ وبعد ﴾ فان افضل ماقُطِعَ به الدهر . وشُغِلَ بمطالعته الفكر . وصُرِفَ اليه وجه البحث . واعَدَّهُ المرء ليوم البعث . علم كتاب الله الكريم . وما جاء به من التحليل والتحريم . والوقوفُ على معرفة غريبه . ومُشكله . وصريحه . وناسخه . ومنسوخه . ومحكمه . ومتشابهه . ومفصله . ومجمله . إذ هو الحبل المتين . والنور المبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سُبُل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم . من طلب الهدى في غيره ضلَّ . ومن اعتزَّ بسواه ذَلَّ . « وبعد » فاني لم ازل اسمع اساتيذ العلماء . واكابر الفضلاء والنبلاء . يفضلون كتابيْ ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة رحمه الله في المُشْكِلِ والغريب . ويفردونهما بالحسن والتهذيب . لاسيما كتاب المشكل الذي هو اعجز الكتب تأليفا . واحسنها تصنيفا . مع صغر جرمه . ولطافة جسمه . واستغراقه لسان العرب . وفنون الأدب . فلما امعنت فيه

النظر . صدَّقَ الخُبْرُ الخَبَرَ . وعلمت ان القُتَبِيَّ مؤيدفيه . وأن احدا بعده لايجاريه . فأحببت أن انظم الغريب مع المشكل في عقدٍ . واضم الفائدتين في سَرْد . فأورد كل شيءٍ من المشكل في موضعه من الغريب . وانثر تلك الابواب التي نظمها والمعانى التي جمعها في كتاب المجاز . والكناية . والاستعارة . والمقلوب . والتَّكرار . والحذف . وغير ذلك في أُليق السور بها . وأشكل الآيات بجلبها . تخفيفا على الطالب . وتقريبا للراغب . لأني رأيته قد تعلَّق كل واحد من الكتابين بصاحبه تعلق الابتداء بالخبر . والفعل بالمصدر . واحوجَ كل واحد منهما الى الآخر . حاجة العامل الى المعمول . والصلة الى الموصول . وربما لم اتمم الباب من ابواب المشكل في موضع فاستوفيته في آخر . ولم اراع التقديم والتأخير . بل ضممت كل شيء الى شكله . ووضعته في موضعه . ولم أحِلِ الكلام في كلى الكتابين عن جهته . ولا غيرته عن لفظه . ولا زدت فيه . ولا نقصت منه . ليكون الكتابان مُخلَصين . وفائدتاهما مجموعتين . فلما يسر الله الجمع بين التأليفين . سميت المجموع ﴿ بكتاب القُرطَين ﴾ . وميزت المشكل من الغريب . بعلامة تقتضى حسن الترتيب . فجعلت مع الغريب ـ غينا ـ ومع المشكل ـ شينا ـ فجاء بحمد الله كثير العلم . خفيف الجرم . محكم السرد . حسن النظم . واللهَ جل وعز اسأل مُلْحفاً أن يجعل علمنا لوجهه مخلصا . وسعينا له مخصصا . ودأبنا في ذاته ممحصا . انه سميع الدعاء . جزيل العطاء . فعال لما يشاء . وهذا حين ابتدىء بالكتاب وبالله استعين وهو حسبي ونعم الوكيل

﴿ غريب فاتحة الكتاب ومشكلها ﴾

﴿ غ ﴾ قال ابو محمد رحمه الله في صدر الغريب (بسم الله الرحمن الرحيم) اختصار كأنه قال أبدأ بسم الله أو بدأت بسم الله (الحمد لله) حمدُ الله الثناء عليه بصفاته الحسنى وشكر الله الثناء عليه بنعمته واحسانه. تقول حمدتُ الرجلَ اذا أثنيت عليه بكرم وحسب وشجاعة واشباه ذلك وشكرتَ له اذا اثنيتَ عليه بمعروف أولاكَهُ، وقد يوضع الحمد موضع الشكر ولا يوضع الشكر موضع الحمد (ربّ العالمين) اي مالك العالمين: يقال هذا رب الدار ورب الضيعة ورب الغلام أي مالكه قال الله سبحانه ـ ارجع الى ربك ـ أي الى سيدك ولا يقال لمخلوق هذا الرب معرفا بالألف واللام كما يقال لله إنما يقال هذا رب كذا ورب كذا فيعرف بالاضافة لأن الله مالك كل شيء واذا قيل الرب دلت الالف واللام على معنى العموم واذا قيل للمخلوق رب كذا ورب كذا نسب الى شيء خاص لأنه لا يملك شيأ غيره الا ترى أنه قد قيل الله فالزم الالف واللام ليدل على أنه إله كل شيء وكان الأصل الإله فتركت الهمزة لكثرة مايجري ذكره على الألسنة وأَدغمت لام المعرفة في التي لقيتها وفخمت واشبعت حتى طبق اللسان بها الحنك لفخامة ذكره تبارك وتعالى وليُفرَقَ ايضا عند الابتداء بذكره بينه وبين اللات والعُزّى والعالمون أَصناف الخلق الروحيين الانس والجن والملائكة كل صنف منهم عالم (الرحمن الرحيم) صفتان مبنيتان من الرحمة قال ابو عبيدة وتقديرهما نَدْمان ونَديم (مَلِك يوم الدين) يعني يوم القيامة سمي بذلك

لأنه يوم الجزاء والحساب . ومنه يقال دِنْتُه لما صنع أي جازيته ويقال في مَثَلٍ ـ كما تَدِين تُدَان ـ يُراد كما تَصنَع يُصْنَع بك وكما تُجازِي تُجَازَى ﴿ ش ﴾ والدين المَلَكة والسلطان * ومنه قول الشاعر زهير

لئن حَلَلْتَ بِجَوٍّ في بني أَسَدٍ * في دِين عَمْرو وحَالَتْ دوننا فَدَكُ

أي في سلطانه: ويقال من هذا دِنْتُ القوم ادينهم أي قهرتهم وأذللتهم فدانوا أي ذلوا وخضعوا والدين لله انما هو من ذا * ومنه قول القُطَاميّ

كانت نَوار تَدِينُك الأَدْيانا　اي تذلك ومنه قول الله جل ثناؤه ـ ولا يدينون دين الحق ـ اي لا يطيعونه . والدين الحساب من قول الله عز وجل ـ منها اربعة حرم ذلك الدين القيم ـ وقوله ـ يومئذ يوفيهمُ الله دينهم الحق ـ اي حسابهم (اهدنا) ﴿ ش ﴾ اَصْلُ هَدَى اَرْشَدَ كقوله جل وعز ـ عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ـ وقوله ـ واهدنا الى سواء الصراط ـ أي ارشدنا ثم يصير الارشاد بمعان كقوله تعالى ـ وأما ثمودُ فهديناهم ـ أي بَيَّنَّا لهم وقوله ـ أولم يهدِ لهم كم اهلكنا ـ أي الم يُبين لهم ـ أولم يهد للذين يرثون الارض ـ أي يبين لهم فالارشاد في جميع هذا البيان ومنها ارشاد بالالهام كقوله ـ اعطى كل شيء خلقَه ثم هدى ـ أي الهمه اتيان الانثى ويقال طلب المرعى وتوقي المهالك وقوله ـ والذي قدر فهدى ـ أي هدى الذكر بالالهام لاتيان الانثى ومنها ارشاد بالامضاء كقوله ـ وأن الله لا يهدي كيد الخائنين ـ أي لا يمضيه ولا ينفذه ويقال لا يصلحه وبعض هذا قريب من بعض ﴿ غ ﴾ (الصراط المستقيم) أي الطريق ومثله ـ وأنَّ هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ـ ومثله ـ وانك لتهدي الى صراط

مستقيم ـ (صراط الذين انعمت عليهم) يعني الانبياء والمؤمنين (والمغضوب عليهم) اليهود (والضالون) النصارى ﴿ ش ﴾ والضلال الحيرة والعدول عن الحق والطريق يقال ضَلّ عن الحق كما يقال ضل عن الطريق ومنه قوله عز وجل ـ ووجدك ضالا فهدى ـ والضلال النسيان والناسى للشيء عادل عنه وعن ذكره قال الله عز وجل ـ قال فعلتُها اذًا وانا من الضالين ـ أي من الناسين وقال ـ أن تضل احداهما فتذكّر احداهما الأُخرى ـ أي ان نسيت واحدة ذكرتها الاخرى والضلال الهلكة والبطلان ومنه قول الله تعالى ـ وقالوا أإذا ضللنا في الارض ـ اي بَطَلْنا ولحقنا بالتراب ويقال اضل القوم مَيّتَهم أي قبروه * وقال النابغة

وآبَ مُضِلّوهُ بعين جلية * وَغُودِرَ بالجَولان حزم ونائل

أي قابروه

﴿ غريب سورة البقرة ومشكلها ﴾

﴿ ش ﴾ قال ابو محمد في المشكل اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في اوائل السور فكان بعضهم يجعلها اسماءً للسورة تعرف كل سورة بما افتتحت به منها وكان بعضهم يجعلها اقساما وكان بعضهم يجعلها حروفا مأخوذة من صفات الله جل وعز يجتمع بها في المفتتح الواحد صفات كثيرة كقول ابن عباس رضى الله عنه في كهيعص ان الكاف من كاف والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق وقال الكلبي هو كتاب هاد حكيم عالم صادق ولكل مذهب من هذه المذاهب وجه حسن وارجو

أن لا يكون ما أريد بالحروف خارجا منها ان شاء الله فان كانت اسماء للسور فهي اعلام تدل على ما تدل عليه الاسماء من اعيان الاشياء وتفرق بينها فاذا قال القائل قرأتُ المص أو صٓ أو نٓ دل على ماقرأ بذلك كما تقول لقيت محمدا وكلمت عبد الله فتدل بالاسمين على العينين وان كان قد يقع بعضها مثل حمٓ والمٓ لعدة سور فان الفصل قد يقع بان تقول حمٓ السجدة والمٓ البقرة كما يقع الوفاق في الآسماء فتدل بالاضافات واسماء الآباء والكنى وان كانت أقساما فيجوز أن يكون الله سبحانه اقسم بالحروف المقطعة كلها واقتصر على ذكر بعضها من ذكر جميعها فقال المٓ وهو يريد جميع الحروف المقطعة كما يقول القائل تعلمت أ ب ت ث وهو لا يريد تعلم هذه الاربعة الاحرف دون غيرها من الثمانية والعشرين ولكنه لما طال أن يذكرها كلها اكتفى بذكر بعضها ولو قال تعلمت ح ط ص لدل ايضا على حروف المعجم كما دل بالقول الاول إلا أن الناس يدلون بأوائل الاشياء عليها فيقولون قرأت الحمد لله يريدون فاتحة الكتاب فيسمونها بأول حرف منها هذا الاكثر وربما دلوا بغير الاول ايضا وانشد الفراء

لما رأيتُ أنَّ هاجى حُطى * أخذتُ منها بقرونٍ شُمْطِ

يريد في ابي جاد فدل بحطى كما دل غيره بأبي جاد. قال وانما أقسم الله بحروف المعجم لشرفها وفضلها ولانها مبادى كتبه المنزلة بالالسنة المختلفة ومباني اسمائه الحسنى وصفاته العلى واصول كلام الامم بها يتعارفون ويذكرون الله عز ذكره ويوحدون، وقد اقسم في كتابه العزيز بالفجر وبالطور وبالعصر وبالتين

والزيتون وهما جبلان ينبتان التين والزيتون يقال لاحدهما طور زيتا وللآخر طور تينا بالسريانية من الارض المقدسة فسماهما بما ينبتان واقسم بالقلم اعظاما لما يسطرون ووقع القسم بها في اكثر السور على القرآن فقال الٓمٓ ذلك الكتاب لاريب فيه كأنه قال وحروف المعجم لهو الكتاب لاريب فيه والٓمٓ الله أي وحروف المعجم لهو الله لاآله الا هو الحي القيوم والمص كتاب انزل اليك أي وحروف المعجم لهو كتابٌ انزل اليك فلا يَكُنْ في صدرك حرج منه ويس والقرآن الحكيم وص والقرآن ذي الذكر وقٓ والقرآن المجيد كله أقسام وان كانت حروفا مأخوذة من صفات الله عز وجل فهذا فن من اختصار العرب وقل ماتفعل العربُ شيأ في الكلام المتصل الكثير الا فعلت مثله في الحرف الواحد المنقطع فكما يستعيرون الكلمة فيضعونها مكان الكلمة لتقارب مابينهما أو لأن احداهما سبب للأخرى فيقولون للمطر سماء لأنه من السماء ينزل ويقولون للنبات ندى لانه بالندى ينبت ويقولون مابه طَرَقٌ اي مابه قوة واصل الطرق الشحم فيستعيرونه مكان القوة لان القوة تكون عنه وكذلك يستعيرون في الكلمة الحرف مكان الحرف فيقولون مَدَهْتُهُ بمعنى مدحته لأن الهاء والحاء يخرجان جميعا من مخرج واحد ويقولون للقبر جدث وجدف وثوم وفوم ومغاثير ومغافير لقرب مخرج الفاء من الثاء ويقولون هرقت الماء وارقته ولصق ولثق وسحقت الزعفران وسهكته وغُمار الناس وخمارهم في أشياء لهذا كثيرة يبدلون فيها الحرف من الحرف لتقاربٍ بينهما وكما يقلبون الكلام ويقدمون ما سبيلُهُ أن

يؤخر ويؤخرون ماسبيله أن يقدم فيقولون * كان الزناء فريضة الرَّجم * أي كان الرجم فريضة الزناء وكما يقولون * كأنَّ لون ارضه سماؤه[1] * يريدون كأن لون سمائه من غبرتها لون ارضه ويقولون اعرض الناقة على الحوض يريدون اعرض الحوض على الناقة ، وكذلك يقدمون الحرف في الكلمة وسبيله التأخير ويؤخرون آخر وسبيله التقديم فيقولون جبذ وجذب وبئر عميقة ومعيقة واحجمت عن الأمر واجحمت وبتلت الشيء اي قطعته و بلتُّه وما اطيبه وما ايطبه ورجل ارغل اي اغرل واعتاقه الأمر واعتقاه واعتام الشيء واعتمى في اشباه لهذا كثيرة ، وكما يزيدون في الكلام الكلمة والمعنى طرحها كقول الشاعر * فما أُلُومُ البِيض ألاَّ تسخرا * يريدون ان تسخر ، ويزيدون إذ واللام والكاف والباء واشباه هذا مما ذكرناه في باب المجاز كذلك يزيدون في الكلمة الحرف كما قال المفضل العبدي * وبعضهُم على بعضٍ حنيق * أي حنق وقال آخر * اقول إذ خرَّت على الكلكال * اراد الكلكل وانشد الفراء

إنَّ شكلي وان شكلك شتيَّ * فالزمي الخُصَّ واخفضي تبيَضّضي

فزاد ضاداً في اشباه لهذا كثيرة ، وكما يحذفون من الكلام البعض اذا كان فيما ابقوا دليل على ماالقوا فيقولون والله افعل ذاك يريدون لا افعل ذلك ويقولون اتانا فلان عند مغيب الشمس او حين أي حين كادت تغيب * قال ذو الرمة

---

(١) عجز بيت لرؤبة صدره * ومهمه مغبرة أرجاؤه

فلمَّا لَبسنَ الليلَ أَوحينَ نصَّبَتْ　　له من حذا آذانها وهو جانِحُ

اراد أوحين اقبل وقال الله عز وجل ـ ولو أن قرآنا سُيِّرت به الجبالُ أَوقطعتْ به الارضُ أَو كلم به الموتى ـ اراد لكان هذا القرآن فحذف * وكذلك يحذفون من الكلمة الحرف والشطر والاكثر وينقصون البعض والشطر يوجزون به ويُومِئُون يقولون لم يَكُ فيحذفون النون مع حذفهم الواو لاجتماع الساكنين * ويقولون لم أَبَلْ يريدون لم أُبَالِ * ويقولون وَلاَكِ أَفعلْ يريدون ولكن　قال الشاعر

وَلاَكِ اسقِني إِنْ كانَ ماؤكَ ذا فَضْلِ (١)　ويحذفون في الترخيم فيقولون ياصاح يريدون ياصاحي ـ يامَالِ ليقض علينا ربُّكَ ـ أي يامالك وقال الله عز وجل ـ ألا يسجدوا لله ـ أي أَلاَ ياهؤلاء اسجدوا * ويقولون عِمْ صباحا أي انعم صباحا وقال الفراء في قولهم سَتَرى إنما ارادوا سوف ترى فحذفوا الواو والفاء وكذلك امثالُها سيكون كذا وسيفعلُ كذا تأويلها عنده سوف يكون وسوف يفعل * وفي قولهم بَيْنا إِنما هي بينما وقال في الآن انما اصله أَلأَوان كما قالوا الراحُ والرَّياح للخمر * وقال لبيد دَرسَ المَنَا بمِتَالِعٍ فأَبانِ (٢) أراد المنازل فقطع * وقال الطرماح يذكر بقرا

تتقي الشمس بِمَدْرِيَّة　　كالمحاليج بأَيدي التلاَمِ

المدرية القرون ها هنا والمحاليج منافخ الصاغة شبه قرونها بها اذا نفخ والتلاَم

---

(١) عجز بيت للفرزدق صدره * فلست بآتيه ولا استطيعه *

(٢) عجزه　فتقاومت فالحبس فالسوبان

اراد التلاميذ يعني غلمان الصاغة فقطع وقال ابو دُوَاد

فكانما تُذْكِي سنا بكُها الحُبَا　　اراد نار الحباحب *وقال الشاعر

أَنَاسٌ تَنَالُ المَاءَ قبل شفاههم　　لَهُمْ واردات الغُرْض شُمُّ الأَرانبِ

اراد الغرضوف　وقال آخر　في لجَةٍ اَمْسِكْ فُلانًا عن فُلِ(١) اراد عن فلان

وقال العجاج　قَوَاطِناً مكة من وُرْقِ الحَمِ　اراد الحمام　وانشد الفراء

قلتُ لها قِفي قالتْ قَافْ　اراد فقالت قد وقفت فأومأت بالقاف التي في

معنى الوقوف﴿قال﴾ولم نزل نسمع على السنة الناس الألفُ الآءُ الله والباء

بهاء الله والجيم جمال الله والميم مجد الله فكأنا اذا قلنا حمٓ دللنا بالحاء على حليم

ودللنا بالميم على مجيد وهذا تمثيل اردت ان اريك به الامكان وعلى هذا

سائر الحروف، ومن ذهب هذا المذهب فلا اراه اراد ايضا الا القسم بصفات

الله فجمع بالحروف المقطعة معاني كثيرة من صفاته لا إله الا هو ﴿قال ابو محمد﴾

وروي ان بعض السلف واحسبه عليا رضى الله عنه قال للرحم نون هو

الرحمن وقد كان قوم من المفسرين يفسرون بعض الحروف فيقولون طه

يارجل ويس يا انسان ونون الدواة وقال آخر الحوت وحم قضى الله ماهو

كائن وق جبل محيط بالارض وصاد بكسر الدال من المصاداة وهي المعارضة

وهذا مالا نعرض له فيه لأنا لا ندري كيف هو ولا من أي شيء أُخِذَ

خلا صاد وما ذُهب اليه فيها ﴿ غ ﴾ (ذلك الكتاب) الكتاب جمع الحروف

فمعنى كتب الكتاب جمع حروفه ومنه كَتْبُ الخَرْز ومنه كتبت البغلة أي

---

(١) عجز بيت صدره * منه تظل إبلي فى الهوجل

جمعت بين شفريها بحلقة (وقال في المشكل) اصل الكتاب ما كتبه الله في اللوح مما هو كائن ثم يتفرع منه معان ترجع الى هذا الاصل كقوله ـ كتب الله لأغلبنّ انا ورسلي ـ أي قضى الله ذلك وفرغ منه وقوله ـ لن يصيبنا إلاّ ما كتبَ الله لنا ـ أي ماقضى وقوله ـ لبرز الذين كُتبَ عليهم القتلُ ـ أي قضي لأنَّ هذا قد فُرغ منه حين كُتب ويكون كتب بمعنى فرض كقوله ـ كُتبَ عليكم القصاصُ في القتلى ـ أي فرض و ـ كتب عليكم اذا حضر أحدَكُمُ الموتُ. وقالوا ربنا لِمَ كتبت علينا القتال ـ أي فرضت ويكون كتب بمعنى جعل كقوله ـ كَتَبَ في قلوبهم الايمان ـ وكقوله ـ فاكتبنا مع الشاهدين ـ وقال ـ فسأكتُبُها للذين يتقون ـ ويكون كتب بمعنى أمر كقوله ـ ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ـ أي امركم أن تدخلوها ويقال كتب هاهنا جعل ايضا يُريد ادخلوا الارض التي كتبها الله لولد ابراهيم عليه السلام اي جعلها لهم ﴿ غ ﴾ واما ـ كتابٌ أنزلناهُ اليك ـ وذلك الكتاب ـ والكتاب فعل الكاتب يقال كتب كتابا كما يقال حَجَب حِجَابا وقام قياما وصام صياما فقد يُسمَّى الشيء بفعل الفاعل يقال هذا درهم ضَرْبِ الأمير وانما هو مضروب الامير ويقال هؤلاء خَلْقُ الله لجماعة الناس وإنما هم مخلوقو الله ﴿ غ ﴾ (لا ريب فيه) اي لا شك فيه (هدى للمتقين) أي رشدٌ لهم الى الحق (الذين يؤمنون بالغيب) أي يصدقون بأخبار الله عن الجنة والنار والحساب والقيامة واشباه ذلك ، فأصل الايمان التصديق قال الله سبحانه ـ وما أنت بمؤمنٍ لنا ولو كُنَّا صادقين ـ أي وما أنت بمصدق لنا ولو كنا صادقين، ويقال ما أومنُ بشيءٍ مما تقول أي ما أصدق

بذلك فايمان العبد بالله تصديقه قولا وعقدا وعملا وقد سمى الله عز وجل الصلاة في كتابه ايمانا فقال ـ وما كان الله ليُضيعَ إِيمانَكم ـ أي صلاتكم الى بيت المقدس فالعبد مؤمن اي مصدّق محقق والله مؤمن أي مصدّق ماوعده ومحققه أو قابلٌ ايمانه، وقد يكون المؤمن من الامان أي لا يأمن إلاّ من أمّنَه الله (وقال في المشكل) فمن الايمان تصديق باللسان دون القلب كايمان المنافقين يقول الله تعالى ـ ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا ـ أي آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم كما كان من الاسلام انقياد باللسان دون القلب، ومن الايمان تصديق باللسان والقلب يقول الله سبحانه ـ إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البريّة ـ كما كان من الاسلام انقياد باللسان والقلب، ومن الايمان تصديق ببعض وتكذيب ببعض قال الله تعالى ـ وما يؤمنُ أكثرُهم بالله الا وهم مشركون ـ يعني مشركي العرب إن سألتهم من خلقهم قالوا الله وهم مع ذلك يجعلون لله سبحانه شركاء واهل الكتاب يؤمنون ببعض الرسل ويكفرون ببعض قال الله عز وجل ـ فلم يكُ ينفعُهم إيمانُهم لمّا رأوا بأسنا ـ يعني ببعض الرسل والكتب إذ لم يؤمنوا بهم كلهم، واما قوله جل ثناؤه ـ إنّ الذين أمنوا والذين هادُوا والنصارى والصابئين ـ ثم قال ـ من آمن منهم بالله واليوم الآخر ـ فان هؤلاء قوم آمنوا بألسنتهم فقال من آمن منهم بالله واليوم الآخر كأنه قال ان المنافقين والذين هادوا يقيمون الصلاة ﴿قال ابو محمد في الغريب﴾ إقامة الصلاة ادامتها لأوقاتها والعرب تقول قامت السوق وأقمتُها أدمتها ولم أعطلها　قال الشاعر

أقامَتْ غزَالةُ سُوقَ الضِّراب   لأهل العِرَاقَيْن حَوْلاً قَبِطا

ويقولون في خلاف ذلك نامت السوق اذا عُطِلَتْ أو كسدت ﴿ش﴾ والصلاة الدعاء قال الله عز وجل ـ وصلِّ عليهم إِنَّ صلاتكَ سكنٌ لهم ـ اي وادع لهم ان ذلك مما يسكّنهم وتطمئن اليه قلوبهم وقال ـ ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق قُرُبَاتٍ عند الله وصلوَاتِ الرسول ـ يعني دعاءه وقال الاعشى يذكر الخمر والخمار

وقابلها الريح في دَنّها   وصلّى على دَنّها وارتسَمْ

أي دعا لها بالسلامة من الفساد والتغير، والصلاة من الله عز وجل الرحمة والمغفرة قال الله تعالى ـ إِنّ الله وملائكته يصلون على النبي ـ وقال ـ هو الذي يُصلّي عليكم وملائكتهُ ـ وقال ـ أولئك عليهم صلوَاتٌ من ربهم ـ أي مغفرة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ـ اللهم صل على آل أبي أوفى ـ يريد ارحمهم واغفر لهم، والصلاة الدين قال الله تعالى حكاية عن قوم شعيب ـ أصلاتُكَ تأمُرُكَ أن نترك ما يعبدُ آباؤنا ـ أي دينك ويقال قراءتُك ﴿غ﴾ (ومما رزقناهم ينفقون) أي يزكون ويتصدقون (واولئك هم المفلحون) من الفلاح واصله البقاء ومنه قول عبيد

افلحْ بما شئتَ فقد يُبْلَغُ بالضَّعْف وقد يُخْدَعُ الأريب

اي إبقَ بما شئت عشْ بما شئت من كيس أو غفلة فكأنه قيل للمؤمنين مفلحون لفوزهم بالبقاء في النعيم المقيم هذا هو الاصل ثم قيل ذلك لكل من عقل وحزَمَ وتكاملت فيه خلال الخير (ان الذين كفروا) ﴿قال ابو محمد﴾ الكفر في اللغة من قولك كفرتُ الشيء اذا غطيته يقال لليل كافر

لأنه يستر بظلمته كل شيء ومنه قوله جل وعز ـ كمثل غَيْثٍ أعجبَ الكفار نباته ـ يريد بالكفار الزراع سماهم كفارا لانهم اذا القوا البذر في الارض كفروه أي غطوه وستروه فكأنَّ الكافر ساتر للحق أو ساتر لنعم الله عز وجل (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) بمنزلة طبع الله عليها والخاتَمُ بمنزلة الطابع وانما اراد أنه أقفل عليها واغلقها فليست تعي خيرا ولا تسمعه واصل هذا أن كل شيءٍ ختمته فقد سددته وربطته ثم قال عز وجل (وعلى أبصارهم غشَاوة) ابتداءٌ وتمام الكلام عند قوله (وعلى سمعهم) والغشاوة الغطاء ومنه يقال غشَّه بثوب أي غطّه ومنه غاشية السَّرْج لأنها غطاءٌ له ومثله قوله ـ لهم من جهنم مِهَادٌ ومن فوقهم غواش ـ (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم) يريد أنهم يخادعون المؤمنين واذا خادعوا المؤمنين بالله فكأنهم خادعوا الله سبحانه ومخادعتهم إياهم قولهم لهم اذا لقوهم (آمنا واذا خلوا الى شياطينهم) أي مردتهم (قالوا إنّا معكم إنما نحنُ مستهزؤن) وما يخادعون الا أنفسَهُمْ لأنَّ وبال هذه الخديعة وعاقبتها راجعة عليهم (وهم لا يشعرون) والشيطان تقديره فيعال والنون من نفس الحرف كأنه من شطن اي بَعُدَ منه يقال شَطَنَتْ داره أي بعدت وقذفته نوى شطُونٌ أي بعيدة وشياطين الجن مردتُهُم وكذلك شياطين الانس مردتهم ايضا كان المارد منهم يخرج عن جملتهم ويبعد منهم لتمرده ومثله قولهم شاطر وشُطَّار لانهم كانوا يبعدون عن منازلهم فسمي بذلك كل من فعل مثل فعلهم وان لم يعزب عن

اهله قال طرفة *في القوم الشُّطُرْ* [١] أي البداء والدليل على ان النون من شيطان من نفس الحرف قول أمية بن ابي الصلت في وصف النبي سليمان عليه السلام

أيُّما شاطنٍ عصاهُ عَكاهُ　　ثُمَّ يُلقى في السِّجْنِ والاغلال

عكاه أوثقه فجاء به على فاعل من شطن (في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق ومنه يقال. فلان يمرّضُ في الوعد وفي القول اذا كان لا يصحّحهُ ولا يؤكده (واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناسُ) يعني المسلمين (قالوا انؤمن كما آمن السفهاء) يعني الجهلة ومنه يقال سَفِهَ فلان رأيه اذا جهله ومنه قيل للبذاء سَفَهٌ لأنه جهل (الله يستهزء بهم) أي يجازيهم جزاءَ الاستهزاء ومثله قوله ـ نسوا الله فنسيهم ـ اي جازاهم جزاء النسيان وهذا ذكره ابو محمد رحمه الله في المشكل في باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه قال ومن ذلك الجزاء عن الفعل بمثل لفظه والمعنيان مختلفان نحو قوله عز وجل ـ سَخِرَ الله منهم. ومكروا ومكر الله. وجزاء سيئة سيئة مثلها ـ هي من المبتدىء سيئة ومن الله سبحانه جزاء وقوله تعالى ـ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ـ فالعدوان الاول ظلم والثاني جزاء والجزاء لا يكون ظلما وان كان لفظه مثل لفظ الاول ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ـ اللهم إنَّ فلانا هجاني وهو يعلم اني لستُ بشاعر فأهْجهُ اللهم فالعنه عدد ما هجاني أو مكان ما هجاني اي جازه

---

(١) عجزه متعلق بآخر قبله وهما

ففداء لبني قيس على　　ما اصاب الناس من سر وضر

خالتي والنفس قدما انهم　　نعم الساعون في القوم الشطر

جزاء الهجاء وهذا الباب يتسع ولا بد من ذكره على ماذكره ابو محمد ثم نرجع الى ذكر الغريب ان شاء الله ﴿قال﴾ ومن ذلك الدعاء على جهة الذم لا يراد به الوقوع كقول الله عز وجل ـ قتل الخرّاصُون . وقتل الأنسان ما اكفره . وقاتلهم الله ـ واشباهُ ذلك ومثله قول النبي صلى الله عليه وسلم للمرأة عَقْرا حَلقا أي عقرها الله واصابها بوجع في حَلْقها ، وقد يراد بهذا التعجب من اصابة الرجل منطقه أو شعره أو رميه فيقال قاتله الله ما أحسن ماقال . وأخزاه الله ما أشعره . ولله دره ما أحسن ما احتج ، ومن هذا قول امرىء القيس في وصف رام أصاب

فهو لا تَنْمي رَمِيّتَهُ ماله لاعُدَّ من نفره

يقول اذا عُدّ نفره أي قومه لم يعدمعهم كأنه قال قتله الله ، اماته الله ، وكذلك قولهم هوَتْ أمُّهُ : وَهَبَلَتْهُ أمه وثكلته أمه قال كعب بن سعد الغنوي

هوَتْ أمهُ ما يبعثُ الصُّبحُ عاديا وماذا يودّي الليلُ حينَ يؤوبُ

ومنه ان يأتي الكلام على مذهب الاستفهام وهو تقرير كقوله عز وجل ـ ءأنت قلت للناس اتخذوني وأُمي إلهين من دون الله . وما تلك بيمينك ياموسى . وماذا أجبتم المرسلين . ومن يكلؤكُم بالليل والنهار من الرحمن ـ ومنه ان يأتي على لفظ الاستفهام وهو تعجب كقوله تعالى ـ عم يتساءلون ـ وقوله تعالى ـ لاي يوم اجلت ـ على التعجب ثم قال ـ ليوم الفصل ـ ومنه ان يأتي الكلام على لفظ الاستفهام وهو توبيخ كقوله عز وجل ـ اتأتون الذُّكران من العالمين ـ ومنه ان يأتي الكلام على لفظ الامر وهو تهدد كقوله تعالى ـ اعملوا ماشئتم ـ ويأتي على

لفظ الامر وهو تأديب كقوله عزوجل ـ وأشهدوا ذوي عدل منكم. واهجروهن في المضاجع واضربوهن ـ وعلى لفظ الأَمر وهو اباحة كقوله تعالى ـ فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا ـ فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض ـ وعلى لفظ الأمر وهو فرض كقول الله جل وعز ـ اتقوا الله. وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ـ ومنه عام يراد به خاص كقوله تعالى حكاية عن النبي صلى الله عليه وسلم ـ وانا أول المسلمين ـ وحكاية عن موسى عليه السلام ـ وانا اول المؤمنين ـ لم يرد كل المسلمين والمؤمنين لأن الانبياء عليهم السلام كانوا قبلهما مؤمنين ومسلمين وانما اراد مؤمني زمانه ومسلمي زمانه وكقوله ـ ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ـ ولم يصطفهم على محمد صلى الله عليه وسلم ولا أُمَمَهُمْ على أمته ألا تراه يقول وهو أعلى القائلين واصدقهُمْ ـ كنتم خير أمة اخرجت للناس ـ وانما اراد عالمي أزمانهم وكقوله سبحانه ـ قالت الاعراب آمنا ـ وانما قاله فريق من الاعراب وقوله ـ والشعراء يتبعهُمُ الغاوون ـ ولم يرد كل الشعراء ومنه قوله ـ الذين قالَ لهمُ الناسُ إِنّ الناسَ قد جمعوا لكم فاخشوهم ـ وانما قاله نُعَيمْ بن مسعود لأَصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس قد جمعوا لكم يعني ابا سفيان وعيينة بن حصن ومالك بن عوف وقوله ـ ماخلقتُ الجنّ والانسَ إِلا ليعبدون ـ يريد المؤمنين منهم يدلك على ذلك قوله فى موضع آخر ـ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس ـ أي خلقنا وقوله ـ يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ـ يريد النبي وحده صلى الله عليه وسلم، ومنه جمع يراد به واحد واثنان كقوله ـ وليشهدْ عذابُهما

طائفة من المؤمنين واحدفما فوق وكان قتادة يقول في قوله تعالى ـ إِنَّ الذين ينادونك من ورآءِ الحُجُرَاتِ ـ هو رجل من القوم لا يمالؤهم على اقاويلهم في النبي صلى الله عليه وسلم ويسير مجانبا لهم فسماه الله طائفة وهو واحد، وقال قتادة في قوله تعالى ـ إِنَّ الذين يُنادونكَ من وراءِ الحُجُرَاتِ ـ هو رجل ناداه يا محمد ان مدحي زين وان ذمي شَين فخرج اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ويلك ذلك الله تبارك وتعالى ونزلت الآية وقوله ـ فان كان له إِخوة فلأُمّه السُّدُسُ ـ أي أخوان فصاعدا وقوله عز وجل ـ والقى الالواح ـ جاء في التفسير أنهما لوحان ـ فقد صغت قلوبُكُما ـ وهما قلبان وقوله ـ اولئك مبرّؤن ـ يعني عائشة وصفوان ابن المُعطّل رضى الله عنهما وقال ـ بم يرْجِعُ المرسلون ـ وهو واحد يدلك على ذلك قوله ـ ارجع اليهم ـ ومنه واحد يراد به جميع، كقوله ـ هؤلاء ضيفي فلا تفضحون ـ وكقوله ـ إِنَّا رسولُ رب العالمين ـ وكقوله ـ يخرجكم طِفْلا ـ وقوله لا نفرِّق بين أحد من رسله ـ والتفريق لا يكون الا بين اثنين فصاعدا وقوله ـ فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين ـ والعرب تقول فلان كثير الدرهم والدينار يريدون الدنانير والدراهم وقال الشاعر

هُمُ المولى وقدْ جَنِفوا عَلَيْنا ... وإِنَّا من لقائِهُمُ لَزُورُ

وقال الله تعالي ـ هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله ـ أي الأَعداء ـ وحَسُنَ أُولئك رفيقاً ـ أي رُفَقَاء وقال الشاعر

فقلنا أسلموا إِنَّا اخوكُمْ ... فقدْ بَرِئتْ من الإِحَنِ الصدورُ

ومن ذلك أن تصف الجمع بصفة الواحد نحو قوله ـ وإِن كنتم جُنُباً

فاطهروا. والملائكة بعد ذلك ظهير ـ وتقول قوم عَدْلٌ قال زهير

(متى يستجر قوم تقل سرواتهم) هُمُ بيننا فَهُمْ رضاً وهُمُ عَدْلٌ

وقال الشاعر * إنَّ العواذلَ لَيْسَ لي بأمير

وقال آخر * المالُ هَدْيٌ والنساء طَالِقُ * ومنه ان يوصف الواحد بالجمع نحو قولهم بُرمةٌ أعشارٌ وثوب أهدام ونعل أسماط قال الشاعر

جاءَ الشتاء وقميصي أخْلاقْ * ومنه أن يجتمع شيئان ولأَحدهما فعل فيجعل الفعل لهما كقوله ـ فلما بلغا مَجْمَع بينهما نَسِيا حوتَهما ـ روي في التفسير ان الناسي كان يوشع بن نون ويدلك قوله لموسى ـ اني نسيت الحوت ـ وقوله ـ يا معشر الجن والأنس ألم يأتكم رُسُلٌ منكم ـ والرسل من الانس دون الجن وقوله ـ مرجَ البحريْنِ يلتقيان بينهُما برزخٌ لا يبغيان ـ ثم قال ـ يخرج منهما اللؤلؤ والمَرْجَان ـ واللؤلؤ والمرجان إنما يخرجان من الماء الملح لا من العذب وكذلك قوله ـ ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حليَةً تلبسونها ـ وقد غلط في هذا المعنى ابو ذؤيب الهذلي ولا ادري أمنْ جهة هذه الآيات غلط أَم من غيرها قال يذكر الدُّرَّة

فجاءَ بها ما شئْتَ من لَطَميَّةٍ يدومُ الفراتُ فَوْقَها ويموجُ

والفرات لا يدوم فوقها وانما يدوم الاجاج ، ومنه أن يجتمع شيئان فتجعل الفعل لأَحدهما او تنسبه الى احدهما وهو لهما كقوله ـ واذا رأوا تجارة او لهواً انفضُّوا اليها ـ وقوله ـ واللهُ ورسولهُ أحقُّ أن يرضوهُ ـ وقوله ـ استعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرةٌ إلاَّ على الخاشعين ـ وقال ـ عن اليمين وعن الشمال

قعيد ـ اراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد وقال الشاعر وهو حسان بن ثابت رحمه الله

إِنَّ شَرْخَ الشبَابِ والشَّعَرَ الأَ سْوَدَما لَمْ يُعَاصَ كانَ جُنُونا

وقال آخر

نَحْنُ بِما عِنْدنا وانتَ بما عنْ دَكَ راضٍ والرأيُ مختلِفُ

ومنه ان يخاطب الشاهد بشيء ثم يجعل الخطاب له على لفظ الغائب كقوله ـ حتى اذا كنتم في الفُلْك وجرَيْنَ بهم بريح طيبة ـ وقوله ـ وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك همُ المضْعفُون ـ وقوله ـ ولكنَّ الله حبَّبَ اليكم الايمان ـ ثم قال ـ اولئك هم الراشدون ـ قال الشاعر

يا دَارَميَّةَ بالعلْياءِ فالسَّند أقْوتْ وطالَ عليها سالف الأَبَد

وكذلك تجعل خطاب الغائب للشاهد كقول الهذلي

ياوَيحَ نفسي كان جِدَّة خالِدٍ وبياضُ وجْهِك للتراب الأعفرِ

ومنه ان تخاطب الرجل بشيء ثم تجعل الخطاب لغيره كقوله ـ فان لم يستجيبوا لكم ـ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم قال للكفار ـ فاعلموا انَّما أنزل بعلم الله ـ يدلك على ذلك قوله ـ فهل أنتم مسلمون ـ وقال ـ فمن ربكما ياموسى وقال ـ فلا يُخْرجنَّكُما من الجنة فتشقى ـ وقال ـ انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا لتؤمنوا بالله ـ وقال ـ واذ أنشأكم من الأرض ـ يريد أبا كم آدم عليه السلام ، ومنه ان تأمر الواحد والاثنين والثلاثة فما فوق أمرك للاثنين فتقول افعلا قال الله سبحانه وتعالى ـ ألقيا في جهنم كلَّ كفار عنيد ـ لخزنة جهنم أو زبانيتها

قال الفراء والعرب تقول ويلك ارحلاها وازجراها وأنشد لبعضهم

فقلتُ لصاحِبي لا تحبسَانا وبنزعِ أصولِهِ واجتزَّ شيحا

وأنشد

فان تزجُرَاني يآبنَ عفّانَ أنزَجِرْ وإن تدَعَاني أحْمِ عِرْضاً مُمنَّعا

قال الفراء ونرى ان اصل ذلك ان الرفقة ادنى ما تكون ثلاثة نفر فجرى كلام الواحد على صاحبيه الا ان الشعراء اكثر شيء قيلا يا صاحبيّ ويا خليليّ ، وقال غير الفراء قال النبي صلى الله عليه وسلم ـ الواحد شيطان والاثنان شيطانان والثلاثة رَكْبٌ ـ وتوعدمعاوية روح بن زنباع فاعتذرروح فقال معاوية خليا عنه*اذا الله سنّى عقْدَ شيءٍ تيسّرا*قوله سنى أي فتح قالوا وادنى ما يكون للآمر والناهي من الاعوان اثنان فجرى كلامهم على ذلك ووكل الله بكل عبد ملكين وامر في الشهادة بشاهدين،ومنه ان يخاطب الواحد بلفظ الجمع كقوله قال ـ رب آرجعونِ ـ وا كثر من يخاطب بهذا الملوك لأن من مذاهبهم أن يقولوا نحن فعلنا يقوله الواحد منهم يعني نفسه فخوطبوا بمثل ألفاظهم وقال الله عز وجل ـ نحن نقص عليك احسن القصص ـ وقال ـ إنّا كلّ شيءٍ خلقناه بقدر ـ ومن هذا قوله ـ على خوف من فرعون وملائهم ـ أن يفتنهم ـ وقوله ـ فان لم يستجيبوا لكم ـ وقوله ـ فأتوا بآبائنا ،ومنه ان يتصل الكلام بما قبله حتى يكون كأنه قول واحد وهو قولان نحو قوله ـ ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا أعزة اهلها أذلة وكذلك يفعلون ـ وليس هذا من قولها وانقطاع الكلام عند قولها أذلة ثم قال الله ـ وكذلك يفعلون ـ وقوله

ـ ألآن حَصْحَصَ الحقُّ أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ـ هذا قول المرأة ثم قال يوسف صلى الله عليه وسلم ـ ذلك ليعلم أني لم أخُنْهُ بالغيب ـ أي ليعلم الملك اني لم أخن العزيز بالغيب وقوله ـ يا ويلنا من بَعَثَنَا من مَرْقَدِنَا ـ انقطع الكلام ـ ثم قالت الملائكة ـ هذا ماوَعَدَ الرَّحمٰنُ وَصَدَقَ المُرْسَلونْ ـ وقوله حكاية عن ملاء فرعون ـ يُريدُ أن يُخْرِجَكُمْ من أرْضِكُمْ ـ هذا قول الملإ ثم قال فرعون ـ فما ذا تأمرون ـ ، ومنه ان يأتي الفعلُ على بنية الماضي ويقدر بحال أو مستقبل كقوله جل ثناؤه ـ كنتم خير أمة أخرجت للناس ـ أي أنتم خيرُ أمة ـ وقوله ـ وإذْ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنتَ قلتَ للناس ـ أي واذ يقول الله يوم القيامة يدلك على ذلك قوله تبارك وتعالى ـ هذا يومُ يَنْفَعُ الصادقينَ صدْقِهُمْ ـ وقوله ـ أتى أمْرُ الله فلا تَسْتَعْجِلوهْ ـ يُريدُ يوْمَ القيامة أي سيأتي قريباً فلا تستعجلوه قال ـ وقالوا كيف نُكَلِّمُ مَنْ كانَ في المَهْدِ صبيّاً ـ أي من هو صبي في المهد وكذلك قوله ـ وكانَ الله سميعاً بَصيرًا . وكانَ الله على كُلِّ شيْءٍ قديرًا ـ في أشباهٍ لهذا كثيرة في القرآن انما هو والله سميع بصير والله على كل شيءٍ قدير وقوله ـ الله الذي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بين يَدَيْ رَحْمَتِهِ ـ أي فنسوقه، ومنه ان يأتي المفعول به على لفظ الفاعل كقوله ـ لا عاصمَ اليَوْمَ من أمر الله إلاّ مَنْ رَحِمَ ـ أي لا معصوم اليوم من أمر الله وقوله ـ منْ ماءٍ دَافقٍ ـ أي مدفوق وقوله ـ في عيشَةٍ رَاضيَةٍ ـ أي مرضي بها وقوله ـ أنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمناً ـ أي مأموناً فيه ـ وقوله وَجَعلْنا

آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ـ أي مبصوراً بها والعرب تقول ليل نائم وسر كاتم
قال وَعلْةُ الجَرْميّ

ولما رأيتُ الخَيلَ تَترى أثائجاً علمتُ بانَّ اليومَ أحمَسُ فاجرُ

أي يوم صعب مفجور فيه ومنه ان يأتي فعيل بمعنى مُفْعَلٌ نحو ، قوله ـ بدِيعُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ـ أي مبدعها ـ وعذاب أليم ـ أي مؤلم وقال عمرو بن معدي كرب

أمِنْ رَيحَانةَ الداعي السميعُ يؤرّقني وأصحابي هُجوعُ

يريد الداعي المسمع ، وفعيل يراد به فاعل نحو حفيظ وقدير وسميع وعليم ومجيد وبريء الخلق أي بارئه من قوله برأ الخلق وبصير في هذا المعنى من بصر وان لم يستعمل منه فاعل الا في موضع واحد وهو قولهم رأيته لمحاً باصراً أي نظراً شديداً باستقصاء وتحديق، ومنه ان يأتي الفاعل على لفظ المفعول وهو قليل نحو قوله ـ انهُ كانَ وَعْدُهُ مأتيّا ـ أي آتياً (تم الباب بأسره والحمد لله : رجع القول الي ذكر الغريب) قوله عز وجل (ويمدّهُمْ) أي يتمادى بهم ويطيل لهم (في طغيانهم) أي في عتوهم وتكبرهم ومنه قوله ـ إنّا لمّا طغَى الماء ـ أي علا (يعمهون) يركبون رؤسهم [1] فلا يبصرون ومثله قوله ـ أفمنْ يمشي مُكبّا على وَجهِهِ أهْدَى أمّنْ يَمْشي سَوِيّاً على صِرَطٍ مُسْتَقِيمٍ ـ يقال رجل عمِهٌ وعامِهٌ أي جائر عن الطريق وأنشد أبو عبيدة

---

(١) في اساس البلاغة ومن المجاز ركب رأسه مضى على وجهه بغير روية لا يطيع مرشدا

وَمَهْمَهٍ أطرافُهُ في مَهْمَهِ * أعمى الهُدى بالجاهلين العُمَّهِ

(أُولٰئِكَ الذين اشْتَرَوا الضَّلَالَةَ بالهُدَى) أي استبدلوا وأصل هذا ان من اشترى شيأ بشيء فقد استبدل منه (فما ربحت) تجارتهم والتجارة لا تربح وانما يُرْبَح فيها وهذا على المجاز وستراه بأسره ان شاء الله ومثله ـ فإذا عزم الأمر ـ وانما يعزم عليه (الذي استوقد ناراً) أوقدها (والصيب) المطر فيعل من صاب يصوب اذا نزل من السماء ﴿ ش ﴾ (يكاد البرق) قال أبو محمد كاد بمعنى هم ولم يفعل ولا يقال كاد أن يفعل وانما يقال كاد يفعل قال الله تعالى ـ فذَبحُوها وما كادُوا يفعلُونْ ـ وقد جاء في الشعر

(ربع عفاه الدهر طولا فانمحا) قَدْ كادَ مِنْ طُولِ البلا أنْ يَمْصَحا

وأنشد الاصمعي

كادت النفسُ أنْ تفيظَ عليهِ * إذ ثوى حشوَ ريْطةٍ وبرُودِ

ولم يأت منها الا فعل يفعَلُ وتثنيتها وجمعها ولم يبن منها شيء غير ذلك وقال بعضهم قد جاءت بمعنى فعَلَ وأنشد قول الأعشي

* وكادَ يَسْمُو الى الجُرفَيْن فارتفعا * أي سما فارتفع، قال ومثله قول ذي الرمة

ولو أنَّ لقمانَ الحكيمَ تعرضتْ * لعينيهِ ميٌّ سافراً كادَ يَبْرقُ

أي لو تعرضت له لبرق أي دهش وتحير ﴿ غ ﴾ (يخطَفُ أبْصارَهُمْ) أي يذهب بها وأصل الاختطاف الاستلاب يقال اختطف الذئب شاة من الغنم ومنه يقال لما يُخْرَج به الدلو خُطّاف لأنه يختطف ما علق به قال النابغة

خَطَاطِيفُ حجنٌ في حبال متِينَةٍ (تَمُدُّ بها أيدٍ اليك نوازعُ)

والحجن المتعقفة وهذا مثل ضربه الله عز وجل للمنافقين وبينه أبو محمد في المشكل ـ فقال تعالى (مَثَلُهُمْ كَمَثلِ الذى استوْقَدَ ناراً) الآيات الذى هاهنا بمعنى الذين استوقدوا ناراً وربما جاءت مؤدية عن جميع قال الشاعر

ان الذى حانت بفلْجٍ دماؤُهم هم القوم كل القوم يا أم خالد

اراد مثل المنافقين كمثل قوم كانوا فى ظلمة فاوقدوا ناراً فلما أضاءت النار ماحولهم أطفأها الله وتركهم فى ظلمات لا يبصرون فالظلمة الاولى التى كانوا فيها الكفر واستيقادهم النار قولهم لا آله الا الله وان محمدا رسول الله فلما أضاء لهم ماحولهم واهتدوا وآمنوا خلوا الي شياطينهم فنافقوا وقالوا انما نحن مستهزؤن فسلبهم الله نور الايمان وتركهم في ظلمات الكفر لا يبصرون ثم ضرب لهم مثلاً آخر شبيها بهذا المثل فقال ـ أو كَصَيّبٍ من السماء فيه ظلماتٌ ورعدٌ وبرقٌ ـ فالصيب المطر والظلمات ظلمة الليل وظلمة السحاب والرعد دليل على شدة ظلمة الصيب وهوله اراد أو مثل قوم في ظلمات ليل ومطر فضرب الظلمات لكفرهم مثلا والبرق لتوحيدهم مثلا فقال اذا قالوا لا اله الا الله واهتدوا كما يهتدي هؤلاء القوم بالبرق اذا لمع فيمشون وجعله يكاد يخطف الابصار لشدة ضوئه واذا نافقوا واستهزؤا وخلوا بشياطينهم فتابعوهم عَمُوا وَصَمُّوا كما يظلم على هؤلاء اذا سكن لمعان البرق فيقومون ﴿ قال في الغريب ﴾ والنفاق في اللغة مأخوذ من نافقاء اليربوع وهو جحر من جُحُرته يخرج منه اذا أخذ عليه الجحر

الذي دخل فيه فيقال قد نفق ونافق شبه بفعل اليربوع لأنه يدخل من باب ويخرج من باب آخر كذلك المنافق يدخل في الاسلام باللفظ ويخرج منه بالعقد والنفاق لفظ إسلامي لم تكن العرب قبل الاسلام تعرفه (أنداداً) أي شركاء أمثالاً يقال هذا ند هذا ونديده (وأنتم تعلمون) أي تعقلون (وادعوا شُهَدَاءَكُمْ) أي ادعوهم ليعاونوكم على سورة مثله : ومعنى الدعاء ها هنا الاستغاثة ومنه دعاء الجاهلية ودعوى الجاهلية وهو قولهم ـ يا آلَ فُلَانٍ : إنما هو إستغاثتهُمْ وشُهَدَاؤُهُمْ من دونِ الله آلِهَتُهُمْ سموا بذلك لأنهم يشهدونهم ويحضرونهم والسورة تهمز ولا تهمز فمن همزها جعلها من أسأرت يعني أفضلت كأنها قطعة من القرآن ومن لم يهمزها جعلها من سورة البناء أي منزلة بعد منزلة قال النابغة في النعمان

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَعْطَاكَ سُورَةً ... تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ

والسورة في هذا البيت سورة المجد وهي مستعارة من سورة البناء والآية جماعة حروف قال الشيباني هو من قولهم خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم (التي وقودها) أي حطبها والوقود الحطب بفتح الواو والوقود بضمها توقدها (النَاسُ والحجارةُ) قال المفسرون حجارة الكبريت (جنات) بساتينُ (وتجري من تحتها الأنهارُ) ذهب الى شجرها لا إلى أرضها لأن الأنهار قد تجري تحت الشجر (كلما رُزِقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رُزِقْنا منْ قَبْلُ) أي كأنه ذلك لشبهه (وأتوا به مُتَشابِهاً) أي يشبه بعضه بعضاً في المناظر دون الطعوم (ولهم فيها أزواجٌ مُطَهَّرَةٌ) من

الحيض والغائط والبول وأقذار بني آدم ـ إِن اللهَ لا يستحي أنْ يضْربَ مثلاً ما بَعُوضةً فما فوْقَها ـ لما ضرب الله عز وجل المثل بالعنكبوت في سورة العنكبوت وبالذباب في سورة الحج قالت اليهودُ ما هذه الأَمثالُ التي لا تَليقُ باللهِ فأنزل الله جل ثناؤه ـ إِنّ اللهَ لا يستحي انْ يضرِبَ مثلاً ما بَعُوضةً فما فَوْقَها ـ من الذباب والعنكبوت وكان أبو عبيدة رحمه الله يذهب الى أن فوق ها هنا بمعنى دون على ما بينت في المشكل وهو مبين في باب المقلوب (وهذا باب المقلوب) ﴿ ش ﴾ قال أبو محمد ومن المقلوب أن يوصف الشيء بضد صفته للتطير والتفاؤل كقولهم للديغ سليم تطيراً من السقم وتفاؤلاً بالسلامة وللعطشان ناهل أي سينهل يعنون يروى وللفلاة مفازة أي منجاة وهي مهلكة وللمبالغة في الوصف كقولهم للشمسِ جَوْنَة لشدة بياضها وللغراب أعور لحدة بصره وللاستهزاء كقولهم للحبشي أبو البيضاء وللابيض أبو الجون ومن هذا قول قوم شعيب عليه السلام ـ إِنَّكَ لأَنتَ الحليمُ الرَّشيدُ ـ كما تقول للرجل تستجهله ياعاقل وتستخفه يا حليم قال الشاعر

فقُلْتُ لِسَيِّدِنَا يَا حَلِيمُ إِنَّكَ لَمْ تَأْسُ اسْواً رَفِيقا

قال قتادة ومن الاستهزاء قول الله عز وجل ـ فلما أحَسُّوا بأسَنا اذاهُمْ منها يرْكضونَ لا ترْكُضوا وارْجِعُوا الى ما أُتْرِفْتُمْ فيه ومساكِنِكُمْ لَعلَّكُمْ تُسْئَلونَ ـ وفي قول عَبيد لِكندة طرف من هذا المعنى

هَلاَّ سألْتَ جُمُوعَ كِنْدَ ةَيَوْمَ وَلَوْا أيْنَ أيْنَا

يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ حِينَ انْهَزَمُوا يُرِيدُ أَيْنَ تَذْهَبُونَ ارْجِعُوا فأما قول الله عز وجل ـ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العزيزُ الكريمُ ـ فبعض الناس يذهب به هذا المذهب أي أنت الذليل المهان وبعضهم يريد أنت العزيز الكريم عند نفسك وهو تفسير ابن عباس لأن أبا جهل قال ما بين جبليها أعز مني ولا أكرم فقيل له ـ ذُقْ انَّكَ أَنْتَ العزيزُ الكريمُ ـ ومن ذلك أن يسمى المتضادان باسم واحد والأصل واحد فيقال للصبح صريم وللليل صريم قال الله سبحانه ـ فأصبحَتْ كالصَّريمِ ـ أي سوداء كالليل لأن الليل ينصرم عن النهار والنهار ينصرم عن الليل وللظلمة سُدفة وللضوء سدفة وأصل السدفة السترة فكأن الظلام اذا أقبل ستر للضوء والضوء ستر للظلام : وللمُستغيثِ صارِخٌ وللمغيثِ صارِخٌ لأن المستغيث يصرخ في استغاثته والمغيث يصرخ باجابته : ولليَقينِ ظنٌّ وللشَّكِّ ظن لان في الظن طرفاً من اليقين قال الله جل ثناؤه ـ الذين يَظنونَ أَنَّهُمْ مُلاَقوا الله ـ أي يستيقنون وكذلك ـ إِنّي ظننْتُ أَني مُلاقٍ حسابيَهْ . ورَأى المجرِمونَ النَّار فَظنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوها . إِنْ ظنَّا أَنْ يُقيما حُدُودَ الله ـ هذا كله في معنى اليقين قال دريد بن الصمة

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ سَرَاتُهُمُ بِالْفَارِسِيِّ الْمُسَرَّدِ

أي تيقنوا باتيانهم إياكم : وكذلك جعلوا عسى شَكّاً ويقيناً : ولعل شكاً ويقيناً كقوله تعالى ـ فِجاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتدونَ أي ليهتدوا : وللمشتري شار وللبائع شار لان كل واحد منهما اشترى ـ وكذلك قولهم لِكُلِ

واحدٍ منهُما بائعٌ لأنه باع وأخذ عوضاً مما دفع فهو شار بائع قال الله عز وجل ـ وشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ـ أي باعوه وقال ـ ولبئس ماشروا به أنفسهم ـ وقال ابن مفرغ

وَشَرَيْتُ بُرْداً لَيْتَنِي ... مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هامَهْ

وبرد غلام كان له فباعه وندم عليه : ووراء يكون بمعنى خلف وبمعنى قدام ومنها المواراة والتواري فكل ما غاب عن عينك فهو وراء كان قدامك أو خلفك قال الله عز وجل ـ وكانَ وراءهُمْ مَلِكٌ يأْخُذُ كلَّ سفينة غَصْباً ـ أي أمامهم: وقالوا للكبير جلل وللصغير جلل لأن الصغير قد يكون كبيراً عند ماهو أصغر منه والكبير يكون صغيراً عند ماهو أكبر منه فكل واحد منهما صغير كبير: ولهذا جعلت بعض بمعنى كل لان الشيء يكون كله بعضاً لشيء فهو كل وبعض قال الله جل وعز ـ ولِأُبَيِّنَ لكُمْ بعضَ الذي تَخْتَلِفونَ فيه ـ وكل بمعنى بعض كقوله ـ وأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شيءٍ ـ ويأتيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مكانٍ ـ وقال ـ تدمّرُ كلَّ شيء بأمر ربها ـ وجعلت فوق بمعنى دون في قول الله عز وجل ـ إِنَّ اللهَ لا يستَحْيي أن يَضْرِبَ مثلاً ما بَعُوضَةً فما فَوْقَها ـ أي فما دونها لأن فوق قد تكون دون عند ما هو فوقها ودون قد تكون فوق عند ما هو دونها : وخشيت بمعنى علمت قال الله سبحانه وتعالى ـ فخشينا أَنْ يُرْهِقَهُما ـ أي فعلمنا وهي قراءة أبي رحمه الله فخاف ربك ومثله ـ الا ان يخافا أن لا يقيما حدود الله ـ وقوله ـ فمنْ خافَ مِنْ موصٍ جَنَفاً أَوْ إِثماً ـ أي علم ـ وأَنذرْ به الذين يخافون

أن يحشروا الى ربهم ـ لان في الخشية والمخافة طرفاً من العلم : ورجوت بمعنى خفت قال تعالى ـ مالكم لا تَرْجونَ لِلّهِ وَقاراً ـ أي تخافون عظمته لان الراجي ليس بمستيقن فمعه طرف من المخافة قال الهذلي

إِذا لسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا وَحالفَها في بيْتِ نُوبٍ عوَامِلِ

أي لم يخفه: ويئست بمعنى علمت من قول الله عز وجل ـ أفلَمْ ييْئَسِ الذينَ آمنوا أنْ لوْ يَشاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَميعاً ـ لان في علمك وتيقنك به يأساً من غيره قال الشاعر

حَتّى اذا يَئِسَ الرُماةُ وأرْسَلُوا غُضُفاً دَوَاجِنَ قافِلاً أعْصَامُهَا

أي علموا ما ظهر لهم فيئسوا من غيره وقال الآخر

أقُولُ لَهُ بالشِّعْبِ إِذْ يأسِرُونَنِي أَلَمْ ييْئَسُوا أَنِّي ابْنُ فارسِ زَهْدَمِ

أي ألم يعلموا ﴿ ومن المغلوب ﴾ أن تقدم ما يوضحه التأخير وتؤخر ما يوضحه التقديم كقول الله جل وعز ـ فلا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ـ أي مخلف رسله وعده لأن الإخلاف قد يقع بالوعد كما يقع بالرسل فتقول أخلفت الوعد وأخلفت الرسل وكذلك قوله ـ فإِنَّهُمْ عدُوٌّ لي إلا رَبَّ العالمينَ ـ أي فاني عدو لهم لان كل من عاديته عاداك وكذلك قوله ـ ثُمَّ دَنا فتَدَلّى ـ أي تدلى فدنا لانه تدلى للدنو ودنا للتدلي ومنه قوله ـ بلِ الانسانُ على نَفْسِهِ بصيرَةٌ ـ أي بل على الانسان من نفسه بصيرة يريد شهادة جوارحه عليه لأنها منه فأقامه مقامها وقال الشاعر

ترى الثّوْرَ فيها مُدْخِلَ الظِّلِّ رَأْسهُ وسائِرُهُ بادٍ إِلى الشَّمْسِ أجْمَعُ

أراد مدخل رأسه الظل فقلب لأن الظل التبس برأسه فصار كل واحد منهما داخلا في صاحبه : والعرب تقول أعرض الناقة على الحوض يريد أعرض الحوض على الناقة لأنك اذا أوردتها الحوض اعترضت بكل واحد صاحبه وقال الحطيئة

فَلَمَّا خَشِيتُ الْهُونَ وَالْعَيْرُ مُمْسَكٌ ... عَلى رَغْمِهِ ما أمْسَكَ الْحَبْلَ حافِرُهْ

وكان الوجه أن يقول ما أمسك الحبل حافره فقلب لان ما أمسك فالحافر ممسك للحبل لايفارقه ما دام به مربوطاً والحبل ممسك للحافر وقال الاخطل

عَلى الْعِيَارَاتِ هَدَّاجُونَ قَدْ بَلَغَتْ ... نَجْدَانَ أوْ بَلَغَتْ سَوْآتِهِمْ هَجَرُ

وكان الوجه ان يقول قد بلغت سوآتهم بالرفع نجدان وهجر فقلب لان ما بلغته فقد بلغك . قال الله عز وجل ـ وقدْ بَلَغَنِيَ الكِبَرُ ـ أي بلغته وقال الآخر

قَدْ خالَفَ الْحيَّاتُ مِنْهُ الْقَدَمَا ... الْأُفْعُوَانَ وَالشُّجَاعَ الشَّجْعَمَا

فنصب الأفعوان والشجاع وكان الوجه أن يرفعهما لان ماخالفته فقد خالفك فهما فاعلان ومفعولان وقال الشماخ يذكر أباه

مِنْهُ وُلِدْتُ وَلَمْ يُوشَبْ بِهِ حَسَبِي ... لَمَا كَمَا عُصِبَ الْعُلْبَاءُ بِالْعُودِ

وكان الوجه أن يقول كما عصب العود بالعلباء فقلب لأنك تقول عصبت العلباء على العود كما تقول عصبت العود بالعلباء وقال ذو الرمة

وَتَكْسُو الْمِجَنَّ الرِّخْوَ خَصْراً كَأنَّهُ ... إهانٌ ذَوَى عَنْ صُفْرَةٍ فَهْوَ أخْلَقُ

وكان الوجه أن تقول وتكسو الخصر مجناً فقلب لأن كسوت يقع على الثوب وعلى الخصر وعلى القميص ولابسه تقول كسوت الثوب عبد الله وكسوت عبد الله الثوب وقال أبو النجم * قَبْلَ دُنُوِّ الْأُفُقِ مِنْ جَوْزَائِهِ * وكان الوجه أن يقول قبل دنو الجوزاء من الافق فقلب لأن كل شيء دنا منك فقد دنوت منه وقال الراعي يصف ثوراً

فَصَبَّحَتْهُ كِلَابُ الْغَوْثِ يُوسِدُها   مُسْتَوْضِحُونَ يَرَوْنَ الْعَيْنَ كَالْأَثَرِ

وكان الوجه أن يقول يرون الأثر كالعين لعلمهم بالصيد فآثره فقلب لأنهم إذا رأوا الأثر كالعين فقد رأوا العين كالأثر وقال النابغة

وقَدْ خِفْتُ حَتّى ما تَزِيدُ مَخَافَتِي   على وَعِلٍ في ذي الْمطَارَةِ عاقِلِ

وكان الوجه أن يقول حتى ما تزيد مخافة وعل على مخافتي فقلب لان المخافتين استوتا وقال رؤبة

وَمَهْمَهٍ مُغْبَرَّةٍ أَرْجاؤُهُ   كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ

كان الوجه أن يقول كأن لون سمائه من غبرتها لون أرضه فقلب لان اللونين استويا وقال الآخر وَصارَ الْجَمْرُ مِثْلَ تُرَابِها

أيْ صارَ تُرَابُها مِثْلَ الْجَمْرِ وقال الله عز وجل ـ خُلِقَ الإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ ـ أي خلق العجل من الانسان يعني العجلة كذلك قال أبو عبيدة رحمه الله ﴿ ومن المقلوب ﴾ ما قلب على الغلط كقول خداش بن زهير

وتَرْكَبُ خَيْلٌ لاَ هَوَادَةَ عِنْدها   وتَعْصَى الرِّماحُ بالضياطِرَةِ الْحُمْرِ

أراد تعصى الضياطرة بالرماح . وهذا مالا يقع فيه التأويل الاول

لان الرماح لا تعصي بالضياطرة وانما يعصي الرجال بها أي يطعنون ومنه قول الآخر

أَسْلَمْتَهُ فِي دِمِشْقَ كَمَا أَسْلَمَتْ وَحْشِيَّةٌ وَهَقَا

أراد كما أسلم وحشيةً وهق فقلب على الغلط وقال آخر

كانَتْ فَرِيضَةَ ما تَقُولُ كَما كانَ الزِناءُ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ

أراد كما كان الرجم فريضة الزناء . وكان بعض أهل اللغة يذهب في قول الله عز وجل ـ ومَثَلُ الذينَ كفرُوا كمثل الذين ينعق بما لا يسمع الا دعاءً ونداء ـ الى أن هذا من المقلوب . ويقول وقع التشبيه بالراعي في ظاهر الكلام والمعنى للمنعوق به وهو الغنم . وكذلك قوله ـ ما إِنَّ مفاتِحه لَتَنُوءُ بالْعُصْبَةِ أُولي القُوَّةِ ـ أي تنهض بها وهي مثقلة . وقال آخر في قوله عز وجل ـ وَإِنَّهُ لحُبِّ الخيرِ لَشَدِيدٌ ـ أي وإن حبه للخير لشديد وفي قوله ـ وَاجْعَلْنا للمُتَّقِينَ إِماماً ـ أي اجعل المتقين لنا إماماً: وهذا مالا يجوز لاحد أن يحكم به على كتاب الله عز وجل لولم يجد له مذهباً . لان الشعراءَ تقلب اللفظ وتزيل الكلام على الغلط أو على طريق الضرورة للقافية أو لاستقامة وزن البيت : فمن ذلك قول لبيد رحمه الله * نَحْنُ بَنُو أُمِّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعَهْ *
قال ابن الكلبي هم خمسة فجعلهم للقافية أربعة وقال آخر يصف ابلاً

صَبَّحْنَ من كاظِمَةَ الْخُصِّ الْخَرِبْ يَحْمِلْنَ عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ

أراد عبد الله بن عباس فذكر أباه مكانه وقال الصلتان

أَرَى الْخَطَفَا بَذَّ الفَرَزْدَقَ شِعْرُهُ وَلَكِنَّ خيراً مِنْ كُلَيْبٍ مُجاشِعُ

أراد أرى جريراً بذ الفرزدق فلم يمكنه فذكر جده وقال ذو الرمة

عَشِيَّةَ فَرَّ الحارِثيُّونَ بَعْدَ ما قَضى نَحْبَهُ في مُلْتقى القَوْمِ هَوْبَرُ

قال ابن الكلبي هو يزيد بن هوبر فاضطر وقال أوس

فَهَلْ لكُمُ فيها اليَّ فإنَّني طَبيبٌ بِما أَعْيا النَّطاسِيَّ حِذْيَما

وأراد ابن حذيم وهو طبيب كان في الجاهلية . وقال ابن ميادة وذكر بعيراً

كأنَّ حَيْثُ يَلْتقي منهُ المُحَلْ مِنْ جانِبَيْه وعِلَيْن وَوَعِلْ

أراد وعلين من كل جانب فلم يمكنه فقال ووعل وقال أبو النجم

ظَلّتْ وَوِرْدٌ صادِقٌ مِنْ بالها وَظَلّ يُوفي الآكُمَ ابْنُ خالِها

أراد خلها فجعله ابن خالها وقال آخر * مِثْلُ النَّصارَى قَتَلُوا المَسيحا *

وقال آخر * وَمِحْوَرٍ أُخْلِصَ مِنْ ماءِ اليَلَبْ * واليلب سيور تجعل تحت البيض فتوهمه حديداً وقال رؤبة

* أَوْ فِضَّةٌ أَوْ ذَهَبٌ كِبْريتُ * وقال أبو النجم

* كَلَمْعَةِ البَرْقِ بِبَرْقٍ خُلَّبُهْ * أراد بخلب برقه فقلب : وقال الآخر

إِنَّ الكَريمَ وَأَبيكَ يَعْتَمِلْ إِنْ لَمْ يَجِدْ يَوْماً على مَنْ يَتّكِلْ

أراد ان لم يجد يوماً من يتكل عليه في أشباه لهذا كثيرة : ﴿ قال أبو محمد ﴾ والله جل وعز لا يضطر ولا يغلط . وإنما أراد وَمَثَلُ الذينَ كفروا ومثلها في وعظهم كمثل الناعق بما لا يسمع فاقتصر على قوله وَمَثَلُ الذينَ كفروا وحذف مثلنا لأن الكلام يدل عليه ومثل هذا كثير في الاختصار : ﴿ وقال الفراء ﴾ أراد ومثلَ وَاعِظِ الذينَ كفروا فحذف

كما قال ـ وَسلِ القريةَ ـ أي أهلها وأراد بقوله ـ ما إنَّ مفاتِحهُ لَتَنُوءُ بالعُصْبةِ ـ أي تميلها من ثقلها قال الفراء أنشدني بعض العرب

حتّى إذا ما الْتأَمَتْ مَفاصِلُهْ وَناءَ في شِقّ الشِمالِ كاهِلُهْ

يريد أنه لما أخذ القوس ونزع مال عليها ﴿ قال ﴾ ونرى قولهم ما ساءك وناءك من هذا وكأن الاصل أناءك فألقى الالف لما أتبعه ساءك كما قالوا هنأني ومرأني فأتبع مرأني هنأني ولو أفرد لقال أمرأني: وأراد بقوله وَإنَّهُ لِحُبِّ الخيرِ لشديدٌ أي انه لحب المال بخيل والشدة البخل ها هنا يقال رجل شديد ومشدد: ﴿ وقوله ﴾ واجعلنا للمتقينَ إماماً يريد اجعلنا أئمة في الخير يقتدي بنا المؤمنون كما قال في موضع آخر ـ وَجعلناهُمْ أَئمَّةً يهدُونَ بأمرِ نا لمَّا صَبَرُوا ـ أى قادة وكذلك قال المفسرون. وروي عن بعض أَحبار السلف رضى الله عنهم أَنه كان يدعو الله عز وجل أن يحمل عنه الحديث فحمل عنه: ﴿ وقال ﴾ بعض المفسرين في قوله تعالى وَاجعلْنا لِلمُتقينَ إماماً يريد اجعلنا نقتدي بمن قبلنا حتى يقتدي بنا من بعدنا فهم على هذا التأويل متبعون ومتبعون وسترى باقي الباب في التقديم والتأخير ان شاء الله وهو المستعان: ﴿ رجع القول الى ذكر الغريب ﴾ قوله عز وجل (وَما يُضلُّ به إلاَّ الفاسِقينَ) قال أبو محمد رحمه الله الفسق في اللغة الخروج عن الشيء ومنه قول الله عز وجل ـ إلاَّ ابليسَ كانَ منَ الجنّ ففسقَ عن أمرِ ربه ـ أَي خرج عن طاعته. قال الفراء ومنه يقال فسقت الرطبة اذا خرجت عن قشرها (الذينَ ينقُضُونَ عهدَ اللهِ مِنْ

بعد ميثاقه) يريد أن الله سبحانه أمرهم بأمور فقبلوها منه وبذلك أخذ الميثاق عليهم والعهد اليهم ونقضهم ذلك نبذهم اياه بعد القبول وتركهم العمل به (أولئك همُ الخاسرونَ) والخسران النقصان وكذلك الخسر ويكون بمعنى الهلكة كما قال ـ وما زادوهمْ غيرَ تخسيرٍ ـ أي هلكة وقال في موضع آخر غير تتبيب أي هلكة وَأولئكَ هُمُ الخاسِرونَ أي الهالكون (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بالله وَكُنْتُمْ أمواتاً) أي نطفاً في الارحام وكل ما فارق الجسد من شعر أو ظفر أو نطفة فهو ميتة (فأحياكُمْ)في الأَرْحامِ وفي الدنيا ثمّ (يُميتُكُمْ ثمَّ يُحْييكُمْ)في البَعْثِ ومثله حكاية عنهم ـ قالوا ربنا أمتنا اثنتينِ وَأحييتنا اثنَتَيْنِ ـ فالميتة الاولى اخراج الله النطفة وهي حية من الرجل فاذا صارت في الرحم فهي ميتة فتلك الاماتة الاولى ثم يحييها في الرحم وفي الدنيا ثم يميتها ثم يحييها يوم القيامة (ثمّ استوى الى السماء) أي عمد لها وكل من كان يعمل عملا فتركه بفراغ أو بغير فراغ وعمد لغيره فقد استوى له واستوى اليه . وقوله عز وجل (فسواهُنَّ سَبعَ سَموَاتٍ) ذهب الى السموات السبع (إِنّي جاعِلٌ في الارْضِ خليفةً قالوا أتجعَلُ فيها مَنْ يُفْسِدُ فيها) ﴿ قال أبو محمد ﴾ يرى أهل النظر من أصحاب اللغة ان الله جل وعز قال اني جاعِلٌ في الأَرْضِ خليفةً يفعل ولده كذا ويفعلون كذا فقالت الملائكة أتجعل فيها من يفعل هذه الافاعيل ولولا ذلك ما علمت الملائكة في وقت الخطاب أن خليفة الله يفعل ذلك فاختصر الله سبحانه وتعالى ذلك الكلام على ما ستراه في بابه ان شاء الله (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها) يريد

أسماء ما خلق الله في الارض (ثمّ عرضَهمْ على الملائكةِ) أي عرض أعيان الخلق عليهم (فقالَ أنبِؤُني بأسماءِ هؤلاءِ ان كُنْتمْ صادِقينَ) والملائكة من الأَلوكـ وهي الرسالة وهي المالكة . ومنه قالت الشعراء ألكني أي أرسلني وبمعنى كن رسولي واحدهم ملك بترك الهمزة لكثرة ما يجري في الكلام والهمزة في الجميع مؤخرة لأنهم رسل الله عز وجل . وابليس فيه قولان قال أبو عبيدة هو اسم أعجمي ولذلك لا ينصرف . وقال غيره هو إفعيل من أبلس الرجل اذا يئس . قال الله عز وجل ـ فاذاهُمْ مُبلِسونَ ـ أي يائسون كذلك قال ابن عباس في رواية أبي صالح عنه قالَ وَلمَّا لَعَنهُ اللهُ وَغضبَ عليهِ أبْلَسَ منْ رَحْمَتِهِ أي يئس منها فسماه الله عز وجل ابليس . وكان اسمه عزازيل قال ولم يصرف لانه لاسمي له فاستثقل (وَكُلاَ مِنها رَغَداً) أي رزقاً واسعاً كثيراً يقال أرغد فلان اذا صار في خصب وسعة (قُلْنا اهبِطُوا منها جَميعاً) قال ابن عباس في رواية أبي صالح عنه هو كما يقال هبط فلان أرض كذا (فأزَلّهُما الشيطانُ) مِنَ الزلَلِ يعني استزلهما يقال زل فلان وأزلته ومن قرأ فأزالهما أراد نحاهما من قولك أزلتك من موضع وأزلتك عن رأيك الى غيره (بَعْضُكمْ لِبعْضٍ عَدُوٌّ) يعني الانسان وابليس ويقال والحية (وَلكمْ في الأرْضِ مُستَقرٌّ) موضع استقرار (ومتاعٌ) أي متعة ومدة . ومنه يقال متع النهار أي امتد وأمتعَ اللهُ بكَ أي امد عمركـ . ﴿ ش ﴾ والمتاع الآلات التي ينتفع بها . قال الله عز وجل ـ ومما يوقِدُونَ عليه في النار ابتغاءَ حليةٍ أو متاع زبدٌ مثله ـ

والمتاع المنفعة كما قال ـ تذكِرَةً وَمتاعاً للمُقْوِينَ ـ وقال ـ متاعاً لَـكُمْ ولأنعامِكُمْ ـ وقال ـ وطعامهُ متاعاً لكم ـ وقال غير مسكونة فيها متاعٌ لَـكُمْ أي تنفعكم وتقيكم من الحر والبرد يعني الخانات ومنه متعةُ الطلاق ﴿ غ ﴾ (الى حين) يريد الى أجل (فتلقى آدَمُ مِنْ ربه كلمات) أي قبلها وأخذها كان الله سبحانه وتعالى أوحى اليه ان يستغفره أو يستقبله بكلام من عنده ففعل ذلك آدم صلى الله عليه وسلم فتاب عليه . وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتلقى الوحي من جبريل عليه السلام أي يتقبله ويأخذه (وأَوْفُوا بِعَهْدي أُوف بِعَهْدِكُمْ) أي أوفوا بما قبلتموه من أمري ونهي أوف بعهدكم اوف لكم بما وعدتكم على ذلك من الجزاء (أَتأمُرُونَ النَّاسَ بالبرِّ وتَنسَونَ أنفُسَكُمْ) أي وتتركون أنفسكم كما قال ـ نسوا اللهَ فَنَسيهمْ ـ اي تركوا الله فتركهم (وَاستَعينوا بالصَّبْرِ) اي بالصوم في قول مجاهد رحمه الله . ويقال لشهر رمضان شهر الصبر وللصائم صابر وانما سمي الصائم صابراً لانه حبس نفسه عن الأكل والشرب وكل من حبس شيئاً فقد صبره ومنه المصبورة التي نهي عنها وهي البهيمة تجعل غرضاً وترمى حتى تقتل وانما قيل للصابر على المصيبة صابر لانه حبس نفسه عن الجزع (الذينَ يَظُنُونَ أنهُمْ مُلاقوا رَبِّهِمْ) اي يعلمون . والظن بمعنيين شك ويقين على ما تقدم في باب المقلوب (وَأَني فَضلْتُكُمْ على العالمينَ) اي على عالمي زمانهم وهو من العام الذي أُريد به الخاص (واتقوا يوْماً لا تجزِي نَفْسٌ عن نَفْسٍ شيئاً) اي لا تقضي عنها ولا تغني يقال

جزى عني فلان بغير همز اي ناب عني واجزأني كذا بالالف في اوله والهمز اي كفاني (ولا يوخذ منها عدلٌ) اي فدية . قال ـ وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها ـ اي ان تفتد بكل شيء لا يؤخذ منها وانما قيل للفداء عدل لانه مثل للشيء يقال هذا عدل هذا وعديله . فأما العدل بكسر العين فهو ما على الظهر (يسومو نكم سوءَ العذابِ) قال ابو عبيدة يولونكم أشد العذاب . يقال فلان يسومك خسفاً اي يوليك إِذلالاً واستخفافا (وفي ذِلكُمْ بلاءٌ من رَبِّكُمْ عظيمٌ) اي في إِنجاء الله اياكم من آل فرعون نعمة عظيمة . والبلاء يتصرف على وجوه ﴿ ش ﴾ قال ابو محمد أصل البلاء الاختبار قال الله عز وجل ـ وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النِكاحَ ـ اي اختبروهم . وقال ـ إِنَّ هذا لهُوَ البلاءُ المبينُ ـ يعني ما أُمر به ابراهيم عليه السلام من ذبح ابنه صلوات الله عليهما وقال ـ بلوْناهُمْ بالحسنات والسيئات ـ اي اختبرناهم ثم يقال للخير بلاء وللشر بلاء لان الاختبار الذى هو بلاء وابتلاء يكون بهما قال الله عز وجل ـ ونبْلُوكُمْ بالشرِّ والخيرِ فتنةً ـ أي نختبركم بالشر لنعلم كيف صبركم وبالخير لنعلم كيف شكركم فتنة اختباراً ومنه يقال ـ اللهم لاتبلُنا إِلاَّ بالتي هي أحسنُ ـ اي لا تختبرنا الا بالخير ولا تختبرنا بالشر ويقال من الاختبار بلوته أبلوه بلواً والاسم بلاية

* ومنَ الخير ابليتُهُ إِبْلاءً * ومنه يقال يبلي يبلو وقال زهيرٌ

رعى الله بالاحسان ما فعلا بكم * فأبْلاهُما خيرَ البلاءِ الذي يبْلُو

اي خير البلاء الذي يختبر به عباده ومن الشر بلاه الله يبلوه بلاء . قالَ الله

عز وجل ـ وفي ذَلِكُمْ بلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عظيمٌ ـ اي نعمة عظيمة (وآتيناهُمْ مِنَ الآياتِ ما فيه بلاءٌ مبينٌ) اي نعم بينة . ﴿ غ ﴾ وآل فرعون أهل بيته وأتباعه واشياعه . قال الله عز وجل ـ أَدْخِلوا آلَ فرعونَ أشدَّ العذابِ ـ فتوبوا الى بارئكم أي الى خالقكم والباريء الخالق يقال برأ الله الخلق يبرؤهم والبرية الخلق وأكثر العرب والقراء على ترك همزها لكثرة ما جرت على الألسنة وهي فعيلة بمعنى مفعولة ومن الناس من يزعم انها مأخوذة من بريت العود ومنهم من يزعم انها من البراء وهو التراب اي خلق من التراب وقالوا لذلك لم يهمز . ومثل الباريء الذاريء وهو الخالق ويقال ذرأ الله الخلق يذرؤهم . وقال عز وجل ـ وَلَقَدْ ذرَأْنا لجَهَنَّمَ ـ أي خلقنا والذرية منها كأنها خلق الله من الرجل . وأكثر القراء والعرب على ترك همزها لكثرة ما يتكلم بها ومنهم من يزعم انها من ذروت أو ذريت (فاقتلوا أنْفُسَكُمْ) أي ليقتل بعضكم بعضاً وهو من الاستعارة .
﴿ ش ﴾ قال أبو محمد العرب تقول أخي وأخوك أينا أبطش يريدون أنا وأنت نصطرع فننظر أينا أشد فيكني عن نفسه بأخيه لان أخاه كنفسه قال العبدي

أخي وَأَخُوكَ بِبطْنِ النُسَيْرِ ليْسَ لَنَا مِنْ مَعَدٍّ عَرِيب

ويكني عن أخيه بنفسه . قال الله عز وجل ـ ولا تلمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ـ أي لا تعيبوا اخوانكم من المسلمين لانهم كأنفسهم . وقال ـ ولولا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ المؤْمِنونَ والمؤْمِناتُ بأَنْفُسِهِمْ خيراً ـ أي بأمثالهم من المسلمين وبعض المفسرين يقول في قوله عز وجل ـ إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا ـ أي

على أهليكم جعلهم أنفسهم على التشبيه . وقال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير ذلك البيوت المساجد اذا دخلتها سلمت على نفسك وعلى عباد الله الصالحين وقال ـ استجيبوا لِلهِ وَلِلرَّسولِ إِذَا دعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ـ أي الى الجهاد الذي يحيي دينكم ويعليكم وقال ـ ولا تقتلوا أَنْفُسَكُمْ ـ أي لا تقتلوا اخوانكم (ولا تأكلوا أموالكم بينكُمْ بالباطِلِ) أي أموال اخوانكم وان جعلته بمعنى لا يأكل بعضكم مال بعض ولا يقتل بعضكم بعضاً فهو أيضاً قريب المعنى من الاول وقال ـ ولَقَدْ خلقنا كم ثم صَوَّرْنا كُمْ ثم قلنا لِلْملائكةِ اسْجُدُوا لِآدمَ ـ أي خلقنا آدم ثم صورناه فجعل الخلق لهم اذ كانوا منه ﴿غ﴾ قوله ـ فتابَ عليكُمْ ـ أي فعلتم فتاب عليكم مختصر (نرى اللهَ جهرةً) أي علانية ظاهراً لا في نوم ولا غيره (فأخذَتكم الصاعِقَةُ) أي الموت يدل على ذلك قوله تعالى ـ ثم بعثنا كُمْ مِنْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ . ﴿ش﴾ (قال أبو محمد) الصاعقة والصعق الموت قال الله سبحانه وتعالى ـ فصَعِقَ مَنْ في السَّمَوَاتِ ومَنْ في الأَرْضِ ـ أي ماتوا وقال ـ وَخَرَّ موسى صَعِقاً ـ أي ميتاً ثم رد الله عز وجل عليه حياته قال والصاعقة العذاب كقوله تعالى ـ أنذرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وثمُودَ ـ والصاعقة نار من السحاب قال ـ ويُرْسِلُ الصواعِقَ فيُصيبُ بها مَنْ يشاء ـ وأراها سميت صاعقة لانها اذا أصابت قتلت يقال صعقتهم أي قتلتهم ﴿ش﴾ والاخذ أصله باليد ثم يستعار في مواضع فيكون بمعنى القبول كما قال ـ وَأَخذتمْ على ذَلِكُمْ إِصْرِي ـ أي قبلتم عهدي وقال ـ إِنْ أُوتِيتُمْ هذا

فَخُذوهُ ـ اي فاقبلوه وقال ـ وَيأخُذُ الصَّدَقاتِ ـ اي يقبلها وقال ـ لا يؤخذُ مِنها عَدلٌ ـ اي لا يقبل وقال خذ العفو اي اقبله .ويكون الاخذ بمعنى الحبس والاسر قال ـ نخذْ أحَدنا مكانَهُ ـ اي احبس وقال ـ فاقتلوا المشرِكينَ حَيثُ وجدْتموهُمْ وخذُوهُمْ ـ اي ءاسروهم واحصروهم اي احبسوهم ويقال للاسير أخيذ . والأخذ التعذيب قال الله سبحانه وتعالى ـ وكذلك اخذ ربّكَ اذا اخذَ القُرَى ـ اي تعذيبه وقال ـ فكُلاًّ اخَذْنا بذَنبه ـ اي عذبنا وقال ـ وهمّتْ كل أُمةٍ برسولِهمْ ليأخُذُوهُ ـ اي ليعذبوه او ليقتلوه ﴿ غ ﴾ الغمام السحاب سمي بذلك لانه يغم السماء اي يسترها وكل شيء غطيته فقد غممته ويقال جاءنا باناء مغموم اي مغطى الرأس وقيل له سحاب بمسيره لانه كأنه ينسحب اذا سار ﴿ المن ﴾ هو الترنجبين والسلوى طائر يشبه السُّمَّانا لا واحد له (وما ظلمونا) اي نقصونا (ولكن كانوا أنفُسَهُمْ يظلِمونَ) اي ينقصون ﴿ ش ﴾ قال ابو محمد أصل الظلم في كلام العرب وضع الشيء في غير موضعه ومنه يقال من اشبه اباه فما ظلم اي فما وضع الشيء في غير موضعه وظلم السقاء هو ان يشرب قبل ادراكه. وظلم الجزور ان يعتبط اي ينحر من غير علة وارض مظلومة اى حفرت وليست موضع حفر . ويقال الزم الطريق ولا تظلمه اي لا تعدل عنه ثم قد يصير الظلم بمعنى الشرك لان من جعل لله شريكاً فقد وضع الربوبية في غير موضعها يقول الله سبحانه وتعالى ـ إنَّ الشرْكَ لَظلْمٌ عظيمٌ ـ وقال عز من قائل ـ ولَمْ يلبسوا ايمانَهُمْ بِظُلْمٍ ـ اي بشرك . ويكون الظلم الجحد قال

ـ وآتينا ثمودَ الناقةَ مُبْصِرَةً فظلموا بها ـ اى جحدوا بأنها من الله عز وجل وقال ـ بما كانوا يَظْلِمونَ ـ اي يجحدون. ﴿ غ ﴾ (وقولوا حطة) رفع على الحكاية وهي كلمة أُمروا ان يقولوها في معنى الاستغفار من حططت اي حط عنا ذنوبنا (فَبَدَّلَ الذينَ ظلَموا قوْلاً غيرَ الَّذى قيلَ لَهُمْ) اى قيل لهم قولوا حطة فقالوا حطاً سمقاثاً يعني حنطة حمراء (رجزاً من السماءَ) ﴿ ش ﴾ الرجز العذاب كما قال عز وجل ـ لَئِنْ كَشَفْتَ عنا الرِّجْزَ ـ أي العذاب ـ والرجز فاهجر ـ يعني الأوثان سماها رجزاً لانها تؤدي الى العذاب والرجس بالسين النتن ثم قد يسمى الكفر والنفاق رجساً لانه نتن قال الله عز وجل ـ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً الى رِجْسِهِمْ ـ أي كفراً الى كفرهم أو نفاقاً الى نفاقهم قال (ويَجْعَلُ الرِّجْسَ على الَّذينَ لا يَعْقِلونَ) ﴿ غ ﴾ (ولا تَعْثَوْا في الأرْضِ مُفْسِدينَ)عثى يعثى ويقال أيضاً عثا وفيه لغة أخرى عاث يعيث وهو أشد الفساد وكان بعض الرواة ينشد بيت ابن الرقاع

لولا الحياءُ وَأنَّ رَأْسِي قَدْ عثَا … فِيهِ الْمَشِيبُ لَزُرْتَ أُمَّ الْقَاسِمِ

وينكر على من يرويه عسا . وقال كيف يعسو الشيب وهو الى أن يرق في كبر الرجل ويلين أقرب منه الى أن يغلظ ويعسو ويصلب واحتج بقول الآخر * وَأنْبَتَتْ هامَتُهُ الْمِرْعِزَّى * يريد أنه لما أن شاخ رق شعره ولان فكأنه مرعزى والمرعزى نبت أبيض (وَبَاؤُا بِغَضَبٍ منَ اللهِ) أي رجعوا يقال بؤت بكذا فأنا أبوء به ولا يقال باءَ إلا بشيء . والفوم فيه أقاويل يقال هو الحنطة والخبز جميعاً . وقال الفراء هي لغة قديمة يقول أهلها

فوموا أي اختبزوا . ويقال الفوم الحبوب ويقال هو الثوم والعرب قد تبدل الثاء بالفاء فيقولون جدث وجدف والمغاثير والمغافير ﴿ قال أبو محمد ﴾ وهو أعجب الاقاويل اليّ لانها في مصحف عبد الله رضي الله عنه وثومها (وَالَّذِينَ هادُوا) همُ اليهودُ (وَالصَّابِئِينَ) قال قتادة همّ قوم يعبدون الملائكة ويصلون القبلة ويقرؤن الزبور وأصل الحرف من صبأت اذا خرجت من شيء الى شيء ومن دين الى دين ولذلك كانت تقول قريش في الرجل يسلم ويتبع النبي صلى الله عليه وسلم قد صبأ فلان بالهمز أي خرج عن ديننا الى دينه والطور الجبل ورفعه مبين في سورة الاعراف (اعتدوا منكم في السبت) أي ظلموا وتعدوا ما أمروا به من ترك الصيد في يوم السبت (فقُلْنا لَهُمْ قِرَدَةً خاسِئِينَ) أي مبعدين يقال خسأت فلاناً عني وخسأت الكلب أي باعدته ومنه يقال للكلب اخسأ أي تباعد (فجعلناها نكالاً) أي فجعلنا قرية أصحاب السبت نكالاً أي عبرة (لما بين يديها) من القرى (وما خلفها) ليتعظوا بهم ويقال لما بين يديها من ذنوبهم وما خلفها من صيدهم الحيتان يوم السبت وهو قول قتادة والاول أعجب اليّ (لا فارِضٌ ولا بِكْرٌ) أي لا مسنة يقال فرضت البقرة فهي فارض اذا أسنت قال الشاعر

يارُبَّ ذي ضِغْنٍ وضَبٍّ فارِضِ لَهُ قُرُوءٌ كَقُرُوءِ الْحائِضِ

أي ضغن قديم ولا بكر أي ولا صغيرة لم تلد ولكنها عوان بين تينك ومنه يقال في المثل العوان لا تعلم الخمرة يراد أنها ليست بمنزلة الصغيرة التي لا تحسن أن تختمر (صفْرَاءُ فاقِعٌ لَوْنُها) أي ناصع صاف . وقد ذهب قوم

الى أن الصفراء السوداء وهذا غلط في نعوت البقر وانما يكون ذلك في نعوت الابل يقال بعير أصفر أي أسود وذلك أن السود من الابل يشوب سوادها صفرة قال الاعشي

تِلْكَ خَيْلِي مِنْه وَتِلْكَ رِكَابِي ... هُنَّ صُفْرٌ أَوْلَادُها كالزَّبِيبِ

أي سود ومما يدلك على أنه أراد الصفرة بعينها قوله تعالى ـ فاقِعٌ لَوْنُها ـ والعرب لا تقول أسود فاقع في ما أعلم انما يقال أسود حالك واحمر قانيء وأصفر فاقع (لا ذلول) يقال في الدواب دابة ذلول بينة الذل بكسر الذال وفي الناس رجل ذليل بين الذل بضم الذال(تثير الارض) أي تقلبها للزراعة ويقال للبقرة المثيرة (ولا تسقي الحرث) أي لا يسنى عليها فيستقى بها الماء لسقي الزرع(مسلمة) من العمل (لا شية فيها)أي لا لون فيها يخالف معظم لونها كالقرحة والرثمة والتحجيل وأشباه ذلك . والشية مأخوذة من وشيت الثوب فأنا أشيه وشياً وهي من المنقوص أصلها وشية مثل زنة وعدة (فقلنا اضرِبوهُ ببعضِها) أي اضربوا القتيل ببعض البقرة قال بعض المفسرين فضربوه بالذنب وقال بعضهم بالفخذ فحيي (ادارأتم فيها) أي اختلفتم والاصل تدارأتم فأدغمت التاء في الدال وأدخلت الالف ليسلم السكون للدال الاولى يقال كان بينهم تدارؤٌ في كذا أي اختلاف ومنه قول القائل في رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شريكي فكان خير شريك لا يماري ولا يداري اي لا يخالف(ثم قست قلوبكم) اي اشتدت وصلبت (وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعلَمونَ الكتابَ إلاَّ أَمانيَّ)اي لا يعلمون الكتاب الا ان يحدثهم كبراءهم بشيء فيقبلوه

ويظنوا انه الحق وهو كذب ومنه قول عثمان رضي الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت أي ما اختلقت الباطل . وتكون الاماني التلاوة قال الله عز وجل ـ وما ارسلنا من قبلك مِنْ رسولٍ ـ ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته يريد اذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته يقول فهم لا يعلمون الكتاب الا تلاوة ولا يعملون به وليسوا كمن يتلوه حق تلاوته فيحل حلاله ويحرم حرامه ولا يحرفه عن مواضعه (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ) أي يزيدون في كتب الله سبحانه وتعالى ما ليس منها لينالوا بذلك عرضاً حقيراً من الدنيا (وقالوا لَنْ تمسنا النارُ إِلاَّ أياماً مَعْدُودَةً) قالوا انما نعذب أربعين يوماً قدر ما عبد أصحابنا العجل (قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْداً) أي اتخذتم بذلك وعداً من الله (وإِذْ أَخَذْنا مِيثَاقَ بَنِي اسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ) أي أمرناهم بذلك فقبلوه وهو أخذ الميثاق عليهم (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً) أي وصيناهم بالوالدين احساناً مختصر كما قال ـ وقضى ربك الاَّ تعبُدوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ احْسَاناً ـ أي ووصى بهما (وَإِذْ أَخَذْنا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ) أي لا يسفك بعضكم دم بعض ولاَ تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ) أي لا يخرج بعضكم بعضاً من داره ويغلبه عليها . ثم أقررتم أي ثم قبلتم ذلك وأقررتم به وأنتم تشهدون على ذلك (ثُمَّ أَنْتُم هَؤُلاَءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ) أي ثم أنتم يا هؤلاء تقتلون أنفسكم . ﴿ ش ﴾ أي لا يقتل بعضكم بعضاً (وتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنكُمْ مِنْ دِيارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالاثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يأتُوكُمْ

أُسارَى تُفادُوهُمْ وهو محرمٌ عليكمْ إِخراجُهُمْ مِنْ دِيارِهِمْ أفتؤمنونَ ببعضِ الكِتابِ) في فك الاسير (وتكفرُونَ ببعضٍ): في إخراجكُمْ من أخرجتُمْ من دِيارِهِمْ : (فماجزاءمن يفعلُ ذلكَ منكُمْ إلاّ خزيٌ في الحياةِ الدنيا) فجوزي بنو النضير بأن أخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (مِنْ دِيارِهِمْ لِأَولِ الحشر) وجوزي بنو قريظة بقتل المقاتلة وسبي الذرية لان الآية فيهم نزلت ﴿ ش ﴾ والتظاهر التعاون ومنه قوله ـ إِن تَتُوبا إلى الله فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظاهَرَا عليه ـ أي تعاونا عليه ـ واللهُ ظَهِيرٌ ـ أي عون . وأصل التظاهر من الظهر فكأن التظاهر أن يجعل كل واحد من الرجلين أو من القوم الآخر له ظهراً يتقوي به ويستند اليه . ﴿ غ ﴾ (وَقَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ بالرُسُلِ) أي أتبعناه بهم وأردفناه اياهم وهو من القفا مأخوذ ومنه يقال قفوت الرجل اذا سرت في إثره . (قلوبناغلف) جمع أغلف أي كأنها في غلاف لا تفهم عنك ولا تعقل شيئاً مما تقول وهومثل قوله ـ قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه ـ يقال غلفت السيف اذا جعلته في غلاف فهو سيف أغلف ومنه قيل لمن لم يختن أغلف ومن قرأه غلف مثقلا أراد جمع غلاف أي هي أوعية للعلم (وكانوا مِنْ قبلُ يَسْتَفْتِحونَ على الّذِينَ كَفرُوا) يقول كانت اليهود اذا قاتلت أهل الشرك استفتحوا عليهم أي استنصروا عليهم الله فقالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث الينا فلما جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم وعرفوه كفروا به والاستفتاح الاستنصار ومنه عسى الله أن يأتي بالفتح أي بالنصر . ﴿ ش ﴾ قال أبو محمد

أصل الفتح أن يفتح المغلق كقوله ـ حتى إِذا جاؤُها وفُتِحَتْ أبوابُها ـ والفتح النصر كما تقدم في الغريب لان النصر يفتح الله به أمراً كان مغلقاً . والفتح القضاء لأَن القضاء فصل الأُمور وفتح لما أشكل منها قالَ ـ ويقولون متى هـذا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صادِقِينَ : قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا تنـفَعُ الَّذِينَ كَـفَرُوا ايمانُهُمْ ـ يعني يوم القيامة لأَنه يوم يقضي الله فيه بين عباده ويقال أراد فتح مكة ـ لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ـ من خوف السيف فلم ينفعهم ذلك وقتلهم خالد بن الوليد رحمه الله وقال ـ ثمّ يَـفْتَحُ بَيْنَنا بالحقِّ ـ أي يقضي ـ وَهُوَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ ـ أي القضاة . وقال اعرابيٌّ لآخر نازعه بيني وبينك الفتاح يعني الحاكم وقال ابن عباس في قول الله سبحانه وتعالى ـ إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبيناً ـ كنت أقرؤها ولا أدري ما هي حتى تزوجت بنت مشرح فقالت فتح الله بيني وبينك أي حكم الله بيني وبينك . ﴿ غ ﴾ (فَـلَعْـنَةُ اللهِ على الْـكافِرِينَ) أصل اللعن في اللغة الطرد ولعن الله إِبليس طرده حِينَ قالَ لَهُ ـ اخْرُجْ مِنْها مَذْؤُماً مَدْحوراً ـ ثم انتقل فصار قولا قال الشماخ وذكر ماءً

ذَعَرْتُ بِهِ الْـقَطا وَنَفَيْتُ عَنْهُ مقامَ الذِّئبِ كالرَّجُـلِ اللَّعِينِ

أي مقام الذئب اللعين أي الطريد كالرجل فكأَن القائل لعنه الله أي طرده الله عنه باعده الله منه أسحقه الله هـذا أو نحوه . ﴿ غ ﴾ (وَأُشْرِبوا في قُـلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُـفْرِهِمْ) أي حب العجل بكفرهم على الحذف والاختصار كما قال ـ وَسلِ الْـقَرْيَةَ ـ أراد أهل القرية ونذكر باب الحذف والاختصار

﴿ ش ﴾ قال أبو محمد الحذف والاختصار أن يحذف المضاف ويقام المضاف اليه مقامه ويجعل الفعل له كما قال وسل القرية . ـ والْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ـ أي وقت الحج وكما قال ـ إِذاً لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحياةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ـ أي ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات وقوله ـ لهدّمت صوامع وبيع وصلواتٌ ومساجدُ ـ والصلوات لا تهدم وانما أراد بيوت صلوات . وقال المفسرون الصوامع للصابئين والبيع للنصارى والصلوات كنائس اليهود والمساجد للمسلين . وقوله ـ مِنْ قَرْيَتِكَ التي أَخْرَجَتْكَ أَهلَكْنَاهُمْ ـ أي أخرجك أهلها وقوله ـ بلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ ـ أي مكركم في الليل والنهار وقوله ـ أجعلتُمْ سِقايةَ الْحاجِّ وَعِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ باللهِ ـ أي جعلتم صاحب سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله . ويكون أن يريد اجعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن بالله وجهاده كما قال ـ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ ـ قال الهذليُّ

يُمَشِّي بَيْننا حانوت خَمْرٍ مِنَ الْخُرْسِ الصَّراصِرَةِ الْقِطاطِ

أراد صاحب حانوت خمر فأقام الحانوت مقامه وكذلك قول أبي ذؤيب

تَوَصَّلَ بالرُّكْبانِ حيناً وَتُؤْلِفُ الجِوَارَ وَيُغْشِيها الأَمانَ ربابُها

اللفظ للخمر والمعنى للخمار أي يتوصل الخمار بالركب يسير معهم ويأمن بهم وكذلك قوله

أَتَوْها بِرِبْحٍ حاوَلَتْهُ فأصبحَتْ تُكَفِّتُ قَدْ حَلَّتْ وَساغَ شَرابُها

يريد أتوا صاحبها بربح فأقامها مقامه وقال كثير يذكر الأظعان

جُزِيَتْ لي بِحَزْمِ فَيْدَةَ تُحْدَى   كاليَهُودِيِّ من نَطَاةَ الرِّقالِ

جزيت سيقت ومثله حذيت أراد كنخل اليهودي من خيبر فأقامه مقامها ومثله ـ فليدع ناديه ـ أي أهله وقال الشاعر

لهُمْ مَجْلِسٌ صُهْبُ السِّبالِ أذِلَّةٌ   سَوَاسِيَةٌ أحْرَارُها وَعَبيدُها

ومن ذلك ﴿ أن توقع الفعل للاثنين ﴾ وهو لأحدهما وتضمر للآخر فعله كقوله عز وجل ـ يَطُوفُ عليهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ بأكْوابٍ وأباريقَ وكأسٍ مِنْ مَعِينٍ ـ ثم قال ـ وفاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ وحُورٍ عِينٍ ـ والفاكهة واللحم والحور لا يطاف بها انما أراد ويؤتَوْنَ بلَحْمِ طَيْرٍ ومثله قوله ـ فأجمِعوا أمْرَكُمْ وشُرَكاءَكُمْ ـ أي وادعوا شركاءكم وكذلك هو في مصحف عبد الله رحمه الله وقال الشاعر

تَرَاهُ كأنَّ اللهَ يَجْدَعُ أنفَهُ   وَعَيْنَيْهِ إنْ مَوْلاهُ ثابَ لَهُ وَفْرُ

أي يجدع أنفه ويفقأ عينيه وأنشد الفراء

عَلَفْتُها تِبْناً وَماءً بارِدا   حتى شَتَتْ هَمَّالَةً عَيْناها

أي علفتها تبناً وسقيتها ماء بارداً وقال الآخر

إذا ما الغانِياتُ بَرَزْنَ يَوْماً   وَزَجَّجْنَ الحواجِبَ وَالعُيُونا

والعيون لا تزجج إنما أراد وزججن الحواجب وكحلن العيونا وقال الآخر

وَرَأيْتُ زَوْجَكِ في الوَغا   مُتَقَلِّداً سَيْفاً وَرُمْحَا

أي متقلداً سيفاً وحاملا رمحاً ﴿ ومن ذلك ﴾ أن يأتي الكلام مبنياً على أن له جواباً فيحذف الجواب اختصاراً لعلم المخاطب به كقوله عز وجل ـ وَلَوْ أنَّ

قرْآناً سُيِّرَتْ به الجبالُ أوْ قُطِّعَتْ به الأرضُ أو كُلِّمَ به المَوْتى بلْ لِلهِ الأَمْرُ جميعاً ـ أراد لكان هذا القرآن فحذف . وكذلك قوله جل ثناوه ـ ولوْلا فَضْلُ اللهِ عليْكُمْ ورحمتُهُ وأنَّ اللهَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ ـ أراد لعذبكم فحذف : وقال الشاعر وهو أمرؤُ القيس

فأقسِمُ لوْ شيءٌ أتانا رَسولُهُ سِواكَ ولكنْ لمْ نجدْ لكَ مَدْفعا

أي لرددناه . وقال تعالى جدُّهُ ـ لَيْسُوا سواءً مِنْ أهلِ الكِتابِ أُمَّةٌ قائمةٌ يتلونَ آياتِ اللهِ آناءَ اللَّيْلِ وَهمْ يَسْجُدُونَ ـ فذكر أمة واحدة ولم يذكر بعدها أخرى وسواء تأتي للمعادلة بين اثنين فما زاد . وقال ـ أمَّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً ـ ولم يذكر ضدها لأن في قوله تبارك اسمه ـ قلْ هلْ يستَوِي الَّذِينَ يَعلَمونَ والذين لا يَعلَمونَ ـ دليلاً على ما أراد وقال الشاعر

أرَاكَ فما أدْري أهمٌّ هَمَمْتَهُ وذُو الهَمِّ قِدْماً خاشِعٌ مُتَضائلُ

ولم يأت بالأمر الآخر : وقال أبو ذؤيب

عَصَيْتُ إليْها القَلْبَ إني لأَمْرِهِ سَمِيعٌ فما أدْري أرُشْدٌ طِلابُها

أراد أرشد هو أم غي فحذف . ﴿ومن ذلك حذف الكلمة﴾ والكلمتين كقوله جل ثناؤه ـ فأما الذينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أكَفَرْتمْ بعدَ إيمانِكُمْ ـ والمعنى فيقال لهم أكفرتم ـ ولو ترى إذِ المُجْرِمونَ ناكِسو رُؤُسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ربّنا أبْصَرْنا وَسمِعنا ـ والمعنى يقولون ربنا ـ وإذْ يرْفَعُ إبراهيم القوَاعِدَ مِنَ البيتِ وإسمعيلُ رَبّنا تقبلْ مِنا ـ والمعنى يقولان ربنا تقبل

منا : وقال ذو الرمة يصف حميراً

فلما لَبِسْنَ اللَّيْلَ أوْ حِينَ نَصَّبَتْ لَهُ مِنْ حَذَاءٍ أذَانِها وَهْوَ جانِحُ

أراد أو حين أقبل والحذاء الاسترخاء : وقال

وقَدْ بَدَا لِذي نُهْيَةٍ ألاَّ إلى أمِّ سالِمِ

أراد ألا سبيل الي أم سالم . وقال الله سبحانه وتعالي ـ وقضى رَبُّكَ ألاَّ تَعبُدُوا إلاَّ إياهُ وبالوالدينِ احساناً ـ أي ووصي بالوالدين احساناً : وقال النمر بن تولب

فإنَّ المنيَّةَ مَنْ يَخْشَها فَسَوْفَ تُصادِفُهُ أيْنَما

أراد أينما ذهب : وقال جل وعز ـ كَرَمادٍ اشتَدَّتْ بِهِ الرِّياحُ في يوْمٍ عاصِفٍ ـ أراد في يوم عاصف الريح فحذف لأن ذكر الريح تقدم فكان فيه دليل : وقال ـ وما أنتمْ بِمُعجِزِينَ في الارضِ ولا في السماء ـ أراد ولا من في السماء بمعجز وقال ـ وَأدْخِلْ يَدَكَ في جيبكَ تَخْرُجْ بيضاءَ مِنْ غَيْرِ سوءٍ في تِسعِ آياتٍ الى فِرعونَ ـ أراد في تسع الى هذه الآية أي معها ثم قال الى فرعون ولم يقل مرسل ولا مبعوث لأن ذلك معروف ومثله ـ وإلى ثمودَ أخاهمْ صالحاً ـ أي أرسلنا : قال الشاعر

رأتني بِحَبْلَيها فَصَدَّتْ مخافَةً وفي الحبلِ روْعاء الفؤادِ فَرُوقُ

أراد رأتني مقبلا بحبليها : وقال عز وجل ـ لِيَسوؤا وُجُوهَكُمْ ـ أراد بعثناهم ليسوؤا وجوهكم فحذفها لأنه قال قبل ـ فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم ـ فاكتفى بالأول من الثاني اذ كان يدل عليه وكذلك قوله ـ عنِ اليمينِ وعنِ

الشِمالِ قَعيدٌ ـ اكتفى بذكر الثاني من الأوّل

﴿قال أبو محمد وقد يشكل الكلام ويغمض﴾ بالاختصار والاضمار كقوله ـ أفَمَنْ زيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فانَّ اللهَ يُضِلُّ من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهَبْ نفسك عليهم حسرات ـ. والمعنى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً ذهبت نفسك حسرة عليه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وكقوله ـ إِني لا يَخافُ لَدَيَّ المرْسلونَ إلاَّ مَنْ ظَلَمَ ثم بدل حسناً بعد سوء فاني غفور رحيم ـ لم يقع الاستثناء من المرسلين وانما وقع من معنى مضمر في الكلام كأنه قال لا يخاف لدي المرسلون بل غيرهم الخائف إلا من ظلم ثم تاب فانه لا يخاف. هذا قول الفراء وهو يبعد لأن العرب انما تحذف ما يدل عليه ما يظهر وليس في ظاهر هذا الكلام على هذا التأويل دليل على باطنه ﴿قال أبو محمد﴾ والذي عندي فيه والله أعلم أن موسى عليه السلام لما خاف الثعبان وولى ولم يعقب قال الله عز وجل له ـ لا تَخَفْ إِني لا يَخافُ لَدَيَّ المرْسلُونَ ـ وعلم أن موسى مستشعر خيفة أخرى من ذنبه في الرجل الذي وكزه فقضى عليه فقال ـ إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء ـ أي توبة وندماً فانه لا يخاف واني غفور رحيم. وبعض النحويين يجعل الا من ظلم بمعنى ولا من ظلم كقوله ـ لِئلاَّ يَكُونَ لِلناسِ عليكُمْ حُجة إلاَّ الذينَ ظلمُوا ـ على مذهب من تأول هذا في إلا وكقوله في سورة الانفال بَعْدَ وَصف المؤمنينَ ـ كما أخرجَكَ رَبُّكَ مِنْ بيتِكَ بالحقِ ـ ولم يشبه قصة المؤمنين

باخراج الله إياه ولكن الكلام مردود الى معنى في أول السورة ومحمول عليه وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى يوم بدر قلة المسلمين وكراهة كثير منهم للقتال فنفّل كلَّ أمريء ما أصاب وجعل لكل من قتل قتيلا كذا ولمن أتى بأسير كذا فكره ذلك قوم فتنازعوا واختلفوا وحاجوا النبي صلى الله عليه وسلم وجادلوه فأنزل الله تبارك وتعالى ـ يَسئلونك عنِ الانفال قل الانفالُ لله والرسول ـ يجعلُها لِمنْ يشاء ـ فاتقوا اللهَ وأصلِحوا ذاتَ بينِكُمْ ـ أي فرقوها بينكم على السواء ـ وأطِيعوا اللهَ ورسولَهُ ـ في ما بعدُ ـ إِنْ كنتمْ مؤمنينَ ـ ووصف المؤمنين ثم قال ـ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقاً من المؤمنين لكارهون ـ يريد أن كراهتهم لما فعلته في الغنائم ككراهتهم للخروج معك كأنه قال من كراهتهم كما أخرجك وإياهمْ رَبكَ وإنهم لِكارِهونَ . ومن تتبع هذا من كلام العرب وأشعارها وجده كثيراً : قال الشاعر

فَلاَ تَدْفِنوني انَّ دَفْني مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ ولَكِنْ خامِري أَمَّ عامِرِ

يريد لا تدفنوني ولكن دعوني للتي يقال لها اذا صيدت خامري أم عامر يعني الضبع لتأكلني : وقال عنترة

هَلْ تُبْلِغَنّي دَارَها شَدَنيَّةٌ لُعِنَتْ بمَحْرُومِ الشّرابِ مُصَرَّمِ

يريد دعي عليها بأن يحرم ضرعها ان يدر فيه لبن فاستجيب للداعي فلم تحمل ولم ترضع ومثل قول الآخر

[تخدى بنا كلُّ خنوف فاسج] مَلْعُونَةٌ بِعُقْرٍ أَوْ خادِجِ

أي دعى عليها الا تحمل وان حملت ان تلقي ولدها لغير تمام واذا لم تحمل الناقة ولم ترضع كان أقوى لها . ﴿ ومن أمثال ﴾ عسى الغوير أبؤسا أي عسى أن يأتينا من قبل الغوير بأس ومكروه والغوير ماء ويقال هو تصغير غار . ومنه قوله جل ثناؤه ـ قلْ هي للذينَ آمنوا في الحياةِ الدّنيا خالِصةً يومَ القيامةِ ـ أي هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا مشتركة وفي الآخرة خالصة . ﴿ ومنه قوله ﴾ ـ إنما ذلِكُمُ الشيطانُ يخوّفُ أولياءَهُ ـ أي يخوفكم بأوليائه كما قال ـ ليُنذِرَ بأساً شديداً ـ أي لينذركم ببأس شديد ـ ويومئذٍ يتبعونَ الداعيَ لا عوَجَ لهُ ـ أي لاعوج لهم عنه ـ ومَنْ كانَ يُرِيدُ العِزّةَ ـ أي ان يعلم العزة لمن هي و ـ ما أريدُ منهُمْ منْ رِزْقٍ ـ أي ما أريد أن يرزقوا أنفسهم و ـ ما أريدُ أنْ يطعمون ـ أي أن يطعموا أحداً من خلقي . وأصل هذا ان البشر عباد الله وعياله فمن أطعم عيال رجل ورزقهم فقد رزقه وأطعمه اذ كان رزقهم عليه . ﴿ ومنه ﴾ ـ ألا ياسجُدُوا للهِ الذي يُخرجُ الخَبْءَ في السمواتِ ـ أراد ألا يا هؤلاء اسجدوا : وقال الشاعر

* يا دارَ سَلْمَى يا سَلِمِي ثم اسْلَمِي * ﴿ ومن الاختصار ﴾ القسم بلا جواب اذا كان في الكلام بعده مايدل على جواب كقوله عز وجل ـ قَ والقرآن المجيد. بلْ عَجِبوا أنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنهُمْ فقالَ الكافرُونَ هذا شيءٌ عَجِيبٌ . أئذَ مِتْنا ـ نبعث ثم قالوا ذلك ـ رَجْعٌ بَعِيدٌ ـ أي لا يكون وكذلك قوله ـ والنّازعات غرْقاً ـ الى قوله ـ فالمُدَبّرَات أمراً ـ ثم قال ـ يومَ ترْجُفُ الرّاجِفَةُ ـ ولم يأت بالجواب لعلم السامع به إذ كان فيما

تأخر من قولهم دليل عليه كأنه قال والنازعات وكذا وكذا لتبعثن فقالوا اذا كنا عظاماً نخرة نبعث . ومن الاختصار قوله جل وعز ـ إلاّ كَباسِطِ كفّيْهِ إلى الماءِ لِيَبْلُغَ فاهُ ـ أراد كباسط كفيه الى الماء ليقبض عليه فيبلغه فاه : وقال ضابيء

فإنّي وإيّاكُمْ وَشوْقاً إليْكُمُ ... كَقابِضِ ماءٍ لَمْ تَسِقْهُ أناملُهْ

تسقه من الوسق وهو الحمل لم تسقه لم تحمله والعرب تقول لمن تعاطى مالايجد هو كالقابض على الماء ﴿ومنه﴾ أن تحذف لا والمعنى اثباتها كقوله تعالى ـ تاللهِ تَفْتَأُ تذْكُرُ يُوسُفَ ـ أي لا تزال تذكر يوسف وهي تحذف مع اليمين كثيراً : قال امروءُ القيس * فقُلْتُ يَمِينَ اللهِ أبْرَحُ قاعِداً وقال الآخر

فَلاَ وَأبي دَهْماءَ زالَتْ عَزِيزَةً ... على قوْمِها ما فَتَّلَ الزَّنْدَ قادِحُ

وَمِنهُ ـ يُبَيّنُ اللهُ لَكُمْ أن تَضِلُّوا ـ أي لئلا تضلوا وَانْ اللهَ يُمْسِكُ السمواتِ والارضَ أنْ تزُولا ـ أي لئلا تزولا وقوله ـ كجهرِ بَعضِكُمْ لِبَعضٍ انْ تَحْبَطَ أعمالُكُمْ ـ ألاّ تحبط أعمالكم . ﴿ومن الاختصار﴾ أن تضمر لغير مذكور كقول الله جل وعلا ـ حتى تَوارَتْ بالحجابِ ـ يعني الشمس ولم يجر لها ذكر قبل ذلك وقوله ـ وَلَوْ يؤاخذُ اللهُ الناسَ بما كَسَبوا ما ترك على ظهرها من دابة ـ يريد على ظهر الارض وقال ـ فأثَرْنَ بهِ نَقْعاً ـ يعني بالوادي وقال ـ إنْ كادَتْ لَتُبْدي بهِ ـ أي بموسى عليه السلام أنه ابنها . وقال ـ وَالنهارِ إذَا جَلاَّها ـ يعني الدنيا أو الارض وكذلك قوله ـ فَلا يخافُ عُقْباها ـ أي عقبى هذه الفعلة وقال ـ إنا أنزلْناهُ في لَيْلَةِ

القدرِ ـ يعني القرآن فكنى عنه في أول السورة وقال حميد بن ثور في أول قصيدة

وَصَهْبَاءَ مِنْهَا كالسَّفِينَةِ نَضَّجَتْ ... بِهِ الْحَمْلَ حَتَّى زَادَ شَهْراً عَدِيدُها

أراد وصهباء من الابل : وقال حاتم

أماوِيّ مايُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى ... إِذَاحَشْرَجَتْ يَوْماً وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

يعني النفس : وقال لبيد رحمه الله

حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَداً فِي كافِرٍ ... وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلامُها

يعني الشمس بدت في المغيب : وقال طرفة

[على مثلها أمضي اذا قال صاحبي] ... أَلاَ لَيْتَنِي أَفْدِيكَ مِنْهَا وَأَفْتَدِي

يعني الفلاة : وأنشد الفراء

إِذَا نُهِيَ السَّفِيهُ جَرَى الَيْهِ ... وخالفَ والسَّفِيهُ إِلى خِلاَفِ

أراد جرى الى السفه : وقال الله عز وجل في أول سورة الرحمن ـ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبانِ ـ ثم ذكر قبل ذلك الانسان ثم خاطب الجان معه لأنه ذكرهم فقال ـ وخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ ـ ومثله قول المثقب العبديّ

فَمَاأَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضاً ... أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي

أَأَلْخَيْرُ الذي أنا أَبْتَغِيهِ ... أَمِ الشَّرُّ الذِّي هُوَ يَبْتَغِينِي

فكنى عن الشر وقرنه في الكناية بالخير قبل أن يذكره ثم أتى به بعد ذلك .

﴿ ومن ذلك ﴾ حذف الصفات كقول الله عز وجل ـ وَإِذَا كالوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ـ أي كالوا لهم أو وزنوا لهم . وقوله ـ وَاخْتَارَ

موسى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقاتِنا ـ أي اختار منهم : قال العجاجُ

* تَحْتَ الَّتِي اخْتارَ لَهُ اللهُ الشَّجَرْ * أي التي اختار له من الشجر وكقوله ـ مَكَّناهُمْ في الأَرْضِ ـ أي مكنالهم والعرب تقول عددتك مائة أي عددت لك وأستغفر الله ذنبي أي من ذنبي : قال الشاعر

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْباً لَسْتَ مُحْصِيَهُ ... رَبَّ الْعِبادِ الَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

وشبعت خبزاً ولحماً وشربت ورويت ماء ولبناً وتعرضت معروفك ونزلتك وتأتيك وبت القوم وغاليت السلعة وثويت البصرة وسرقتك مالا وشغبت القوم واستجبتك : قال الشاعر

وَدَاعٍ دَعا يا مَنْ يُجِيبُ إِلى النَّدَى ... فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ

وقوله عز وجل ـ إِن العهدَ كانَ مسؤُلاً ـ أي مسئولا عنه قال أبو عبيدة يقال لتسئلن عهدي . ﴿ ومن الاختصار ﴾ قوله ـ أَلَمْ تَرَ إِلى الذينَ أُوتوا نَصِيباً مِنَ الكتابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ ويريدون أن تضلوا السبيل ـ أراد يشترون الضلالة بالهدى فحذف الهدى أي يستبدلون هـذا بهذا . ومنه ـ أولئكَ الذينَ اشتَرَوُا الضلالةَ بالهدى ـ . ﴿ ومن الاختصار ﴾ قوله ـ لكنِ اللهُ يشهدُ بما أنزلَ اليكَ أنزلهُ بعلمه ـ لانه لما أنزل عليه ـ إِنا أوحينا إِليكَ كما أوحينا إِلى نوحٍ ـ قال المشركون ما نشهد لك بهذا فمن يشهد لك به فترك ذكر قولهم وأنزل الله لكنِ اللهُ يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه يدلك على هذا أن لكن انما تجيء بعد نفي للشيء فتوجب ذلك الشيء بها . ﴿ ومنه ﴾ قوله ـ وتركنا عليهِ في الآخرينَ ـ كأنه قال تركنا

ثناء حسناً لحذف الثناء الحسن لعلم المخاطب بما أراد . ﴿ ومن الاختصار ﴾ قوله ـ فبعثَ اللهُ غُراباً يبحثُ في الارضِ ـ أراد فبعث الله غراباً يبحث التراب على غراب ميت ليواريه ليريه كيف يواري سوءة أخيه . ﴿ ومنه ﴾ قوله ـ فترى الذينَ في قلوبهمْ مرض يُسارِعونَ فِيهمْ ـ أي في مرضاتهم « تمَّ الباب والحمد لله » ﴿ غ ﴾ (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) يعني اليهود (وَمِنَ الذينَ أشرَكوا) يعني المجوس وشركهم أنهم قالوا ـ بإلهَيْنِ النورِ والظُلمةِ (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) أراد معنى قولهم للموكهم في تحيتهم عش ألف نوروز (وما هو بمزَحزِحه مِنَ العذابِ أنْ يُعمَّرَ) أي بمباعده من العذاب طول عمره لأن عمره منقض وان طال ويصير الى عذاب الله (قُل منْ كانَ عدُوّاً لجبريلَ منَ اليهودِ) وكانوا قالوا لا نتبع محمداً وجبريل يأتيه لانه يأتي بالعذاب (فانه نزله) يعني فان جبريل نزل القرآن (على قلبك) (نبذه فريق منهم) تركه ولم يعمل به (واتبعوا ما تتلوا الشياطِينُ على ملْكِ سليمانَ) أي ما ترويه الشياطين على ملك سليمان والتلاوة والرواية شيء واحد وكانت الشياطين دفنت تحت كرسيه سحراً وقالت للناس بعد وفاته انما ملك بالسحر يقول فاليهود تتبع السحر وتعمل به (إنما نحنُ فِتنةٌ) أي اختبار وابتلاء ﴿ ش ﴾ قال أبو محمد يقال فتنت الذهب في النار اذا أدخلته إياها لتعلم جودته من رداءته قال الله جل وعز ـ ولقدْ فتنّا الذينَ مِنْ قبلهمْ ـ أي اختبرناهم . وقال لموسى عليه السلام ـ وفتناكَ فتوناً ـ ﴿ ومنه ﴾ قوله ـ ثم لم تكنْ فِتنتُهُمْ إلاَّ أنْ قالوا وَاللهِ رَبِّنا ما كنا مشرِكينَ ـ

أي جوابهم لأنهم حين سئلوا اختبر ما عندهم بالسؤال فلم يكن الجواب عن الاختبار الا هـذا القول . والفتنة التعذيب قال الله عز وجل ـ إِنَّ الذينَ فتَنوا المؤمنينَ والمؤمناتِ ثم لَمْ يتوبوا فلهمْ عذَابُ جهنمَ ـ أي عذبوا بالنار وقال ـ يوم هم على النار يفتنون ـ أي يعذبون ـ ذوقوا فتنتكم ـ يراد هذا العذاب بذاك وقال ـ فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ـ أي جعل عذاب الناس وأذاهم كعذاب الله. والفتنة الصد والاستزلال ـ قال واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ـ أي يصدوك ويستزلوك . وقال ـ وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك ـ وقال ـ وما أنتمْ عليهِ بفاتِنينَ إلاَّ منْ هو صالي الجحيمِ ـ أي صادين والفتنة الاشراك والكفر والاثم كقوله ـ وقاتِلوهمْ حتى لا تكونَ فتنةٌ ـ أي شرك وقال ـ والفتنة أشد من القتل ـ يعني الشرك . وقال ـ ألا في الفتنة سقطوا ـ أي في الاثم وقال ـ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ـ أي كفر أو اثم. وقال ـ ولكنكم فتنتم أنفسكم ـ أي كفرتم وأثمتموها . والفتنة العبرة كقوله ـ ولا تجعلْنا فِتنةً لِلذينَ كفروا ـ أي يعتبرون أمرهم بأمرنا فاذا رأونا في ضر وبلاء ورأوا أنفسهم في غبطة ورخاء ظنوا أنهم على حق ونحن على باطل . وكذلك قوله ـ فَتَنَّا بعضَهُمْ ببَعضٍ ـ .

﴿غ﴾ والخلاق الحظ من الخير ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ليؤيدن الله هذا الدين بقوم لا خلاق لهم أي لا حظ لهم في الخير (شروا به أنفسهم) أي باعوها يقال شريت الشيء وأنت تريد اشتريته وبعته وهو حرف من حروف الأضداد . والمثوبة الثواب والثواب والأجر هما الجزاء

على العمل (لا تقولوا راعنا)من راعيت الرجل اذا تأملته وتعرفت أحواله
ومنه يقال أرعني سمعك وكان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه
وسلم راعنا وأرعنا سمعك وكان اليهود يقولون راعنا وهي بلغتهم سب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالرعونة وينوون بها السب فأمر الله
عز وجل المؤمنين ان لا يقولوها لئلا يقولها اليهود وان يجعلوا مكانها
أنظرنا أي انتظرنا يقال نظرتك وانتظرتك بمعنى . ومن قرأ راعناً بالتنوين
أراد اسماً مأخوذاً من الرعن والرعونة أي لا تقولوا حمقاً ولا جهلاً .
(ماننسخ من آيةأو ننسها)أراد أو ننسكها من النسيان ومن قرأها أو ننسأها
بالهمز أي نؤخرها ولا ننسخها الى مدة ومنه النسيئة في البيع انما هو البيع
بالتأخير ومنه النسيء في الشهور انما هو تأخير تحريم المحرم (نأتِ بخيرٍ منها)
أي بأفضل منها ومعنى فضلها سهولتها وخفتها (فقدضلّ سواءَ السبيلِ) أي
ضل عن وسط الطريق وقصده (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر
فيها اسمه) نزلت في الروم حين ظهروا على بيت المقدس فخربوه فلا يدخله
أحد منهم أبداً الا خائف(لهم في الدنيا خزي)أي هوان . وذكر بعض
المفسرين أنه فتح مدينتهم رومية نزلت في ناس من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانوا في سفر فعميت عليهم القبلة فصلى ناس قبل المشرق
وآخرون قبل المغرب وكان هذا قبل ان تحول القبلة الى الكعبة (كل له
قانتون)مقرون بالعبودية موجبون للطاعة (بديعُ السموات والارض)أي
مبتدعهما (لولا يكلمنا)أي هلا يكلمنا الله (تشابهت قلوبهم)أي في الكفر

والفسق والقسوة (ولا تنفعها شفاعة) هـذا للكافر ليس له شافع فينفعه ولذلك قال الكافرون ـ فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ـ حين رأوا شفيع الله في المسلمين (ابتلى ابراهيمَ ربهُ بكلماتٍ) أي اختبر الله ابراهيم بكلمات يقال هي عشر من السنة (فأتمهن) أي عمل بهن كلهن . ﴿ ش ﴾ (اني جاعلُكَ للناسِ إماماً) أي يؤتم بك ويقتدى بسنتك هذا هو الاصل في الامام ثم يجعل الكتاب إماماً يؤتم بما أحصاه . قال ـ يوم ندعو كل أناس بامامهم ـ أي بكتابهم الذي جمعت فيه أعمالهم في الدنيا وقال ـ وكلَّ شيءٍ أحصيناهُ في إمامٍ مبينٍ ـ يعني كتاباً أو يعني اللوح المحفوظ . وقد يجعل الطريق إماماً لان المسافر يأتم به ويستدل قال الله عز وجل ـ وإنهما لبإمامٍ مبينٍ ـ أي بطريق واضح . ﴿ غ ﴾ (ويعلمهُمُ الكتابَ والحكمةَ) الحكمة العلم والعمل لا يسمى الرجل حكيماً حتى يجمعهما (ويزكيهم) التزكية من رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الزكاة قال (يتلوا عليهم آياته ويزكيهم) فأصل الزكاة النماء والزيادة يقال زكا الزرع ومنه يقال للصدقة عن المال زكاة لانها تثمره وتنميه ومنه يقال زكا الزرع وزكت النفقة اذا بورك فيها (جعلنا البيت مثابة للناس) أي معاذاً لهم من قولك ثبت الى كذا أي عدت اليه وثاب جسمه بعد العلة أي رجع أراد أن الناس يعودون اليه مرة بعد مرة (العاكفين) المقيمين يقال عكف على كذا أي أقام عليه ومنه ـ قوله وانظر الى إلهك الذي ظلتَ عليه عاكفاً ـ ومنه الاعتكاف انما هو الاقامة في المسجد على الصلاة والذكر لله والقواعد من البيت إساسه واحدتها قاعدة . فاما

قواعد النساء فواحدتها قاعد وهي العجوز (أرنا مناسكنا) أي أعلمنا . ﴿ ش ﴾ الرؤية ههنا بمعنى العلم ومنه ـ ويرى الذينَ أوتوا العلمَ ـ أي ويعلم وقال ـ لتَحكُمَ بينَ الناس بما أراكَ اللهُ ـ أي أعلمك الله . وقوله ـ أولَمْ يرَ الذينَ كفروا أنَّ السموات والأرضَ كانتا رتقاً ففتقناهما ـ وقال المفسرون في قوله ـ ألم ترالى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب ـ ألم تخبر وكذلك أكثر ما في القرآن . والرؤية المعاينة في غير هذا في قوله ـ ترى الذينَ كذَبوا على اللهِ وُجوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ . وإذَا رأيتَ ثَمَّ رأيتَ نَعيماً ـ أي اذا عاينت . ﴿ غ ﴾ (إلا من سفه نفسه) أي سفهت نفسه كما يقال غبن فلان رأيه والسفه الجهل (فانما هم شقاق) أي في عداوة ومباينة (الحنيف) المستقيم وقيل للرّجل حنيف تطيراً الى الاستقامة (صبغة الله) يقال دين الله أي إلزم دين الله . ويقال الصبغة الختان وهو من الاستعارة سمي الختان صبغة لأن النصارى كانوا يصبغون أولادهم في ماء ويقولون هذا طهر لهم كالختان للحنفاء فقال الله عز وجل ـ صِبْغَةَ الله ـ أي الزموا صبغته لا صبغة النصارى وردها على ملة ابراهيم عليه السلام (جعلناكم أمة وسطاً) أي عدلا خياراً ومنه قوله في موضع آخر ـ قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون ـ أي خيرهم وأعد لهم : قال الشاعر هو زهير

هُمُ وَسَطٌ يَرْضَى الأَنامُ بِحُكْمِهِمْ إِذَا نَزَلَتْ إِحدَى اللَّيَالي بمُعْظَمِ

ومنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هو أوسط قريش حسباً . وأصل هذا أن خير الاشياء أوساطها وأن العلو والتقصير مذمومان (لتكونوا شهداء

على الناس) أي على الأمم المتقدمة لأنبيائهم (شطر المسجد الحرام) نحوه وقصده (ولكل وجهة) أي قبلة (هو موليها) أي موليها وجهه أى مستقبلها يريد أن كل ذي ملة له قبلة (لِئلاّ يَكونَ لِلنّاسِ عليكُمْ حُجّةٌ الا الّذِينَ ظَلَمُوا) أى الا ان يحتج عليكم الظالمون بباطل من الحجج وهو قول اليهود كنت أنت وأصحابك تصلون الى بيت المقدس فان كان ذلك ضلالا فقد مات أصحابك عليه وان كان هدى فقد حولت عنه فأنزل الله تعالى ـ وما كانَ اللهُ لِيُضيعَ إِيمانَكُمْ ـ أي صلاتكم الي بيت المقدس أي فلم تكن لأحد حجة (أولئك عليهم صلوات من ربهم) أى مغفرة (فلا جناح عليه ان يطوف بهما) أى ان يتطوف فأدغمت التاء في الطاء وكان المسلمون في صدر الاسلام يكرهون الطواف بينهما لصنمين كانا عليهما حتى أنزل الله وقرأ بعضهم أن لا يطوف بهما وفي هذه القراءة وجهان أحدهما أن يجعل الطواف مرخصاً في تركه بينهما والوجه الآخر أن تجعل لا مع أن صلة كما قال ـ ما مَنَعَكَ أن لا تَسْجُدَ ـ هذا قول الفراء (ويَلْعَنُهُمُ اللاّعِنونَ) قال ابن مسعود إذا تلاعن اثنان وكان أحدهما غير مستحق للعن رجعت اللعنة على المستحق بها فان لم يستحقها أحد منهما رجعت على اليهود . وقد ذكر أصل اللعن فيما تقدم (الا الذينَ تابوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنوا) أى بينوا التوبة بالاخلاص والعمل : (والفلك) السفن واحد وجمع بلفظ واحد : (وتقطعت بهم الاسباب) يعني الاسباب التي كانوا يتواصلون بها في الدنيا (لو أنَّ لنا كرة) أى رجعة (كذلك يريهمُ الله أعمالهم حسرات عليهم) يريد

انهم عملوا في الدنيا أعمالا لغير الله فضلت وبطلت ـ ولا تتبعوا خُطوات الشيطان ـ أى لا تتبعوا سُبُلَهُ ومسلكه وهي جمع خطوة والخطوة ما بين القدمين بضم الخاء والخطوة الفعلة الواحدة بفتح الخاء : واتباعهم خطواته أَنهم كانوا يحرمون أشياء قد أحلها الله ويحلون أشياء حرمها الله (بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا) أى وجدنا عليه آباءنا (ومَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الذي يَنْعِقُ بِما لا يَسْمَعُ) أَراد ومثل الذين كفروا ومثلنا في وعظهم فحذف ومثلنا اختصاراً إِذ كان في الكلام ما يدل عليه على ما تقدم كمثل الذي ينعق بما لا يسمع هو الراعي يقال نعق بالغنم ينعق بها إِذا صاح بها بما لا يسمع يعني الغنم لا تسمع (الا دعاء ونداء) حسب ولا تفهم قولا (فمن اضطُرَّ غير باغ) أَى غير باغ على المسلمين مفارق لجماعتهم (ولا عاد) عليهم بسيفه ويقال غير عاد عليهم في الأكل حتى يشبع ويتزود(وما أُهِلَّ به لغير الله)أي ما ذبح لغير الله وانما قيل ذلك لأنه يذكر عند ذبحه غير اسم الله فيظهر ذلك أو يرفع الصوت به : وإِهلال الحج مثله انما هو إِيجابه بالتلبية : واستهلال الصبي منه اذا ولد أَي صوته بالبكاء (فما أَصبرهم على النار) أى ما أجرأَهم : وحكى الفراء عن الكسائي انه قال أخبرني قاضي اليمن أَنه اختصم اليه رجلان فحلف أحدهما على حق صاحبه فقال له الآخر ما أَصبرك على النار : ويقال ومنه قوله ـ اصبروا أَو لا تصبروا ـ قال مجاهد رحمه الله ما أَصبرهم على النار ما أعملهم بعمل أهل النار وهو وجه حسن يريد ما أدومهم على أعمال اهل النار بحذف الأَعمال وقال أبو عبيدة ما أَصبرهم على النار بمعنى

ما الذي أصبرهم على ذلك ودعاهم اليه وليس بتعجب (ابن السبيل) الضيف (والصابرين في الباساء) أي في الفقر وهو من البؤس (والضراء) المرض والزمانة يقال فلان ضرير بين الضر ﴿ ش ﴾ قال أبو محمد فأما الضر بفتح الضاد فهو ضد النفع كما قال جل وعز ـ هل يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تدعونَ أو ينفعونَكُمْ أو يضرونَ ـ والضر بضم الضاد الشدة والبلاء كقوله جل وعز ـ وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ . ومسني الضر. وإذا مس الانسان الضر دعانا ـ والضر أيضاً قد يكون النقص كقوله ـ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شيئاً وسَيُحْبِطُ أعمالَهُمْ ـ هكذا هو في الكتابين ﴿ غ ﴾ (وحين البأس) يعني حين القحط قال الله عز وجل ـ وَإِذَا أَذَقْنا الناسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ ـ أي قطر من بعد قحط وجدب ومنه أيضاً الضر (كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصاصُ في القَتْلى) قال ابن عباس كان القصاص في بني اسرائيل ولم تكن الدية فقال الله عز وجل لهذه الأمة (فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنَ أخيه شَيْءٌ) قال قَبولُ الدِّيَةِ في العَمْدِ وَالعَفْوُ عَنِ الدَّمِ (فاتِّباعٌ بالمَعْرُوفِ) أي مطالبة بالمعروف يريد ليطالب آخذ الدية الجاني مطالبة جميلة لا يرهقه فيها (وأداء اليه باحسان) أي ليؤد المطالب ما عليه أداء باحسان لا يبخسه ولا يمطله مطل مدافع (ذلك تخفيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ) مما كان على من كان قبلكم يعني القصاص (ورحمة) لكم (فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذلك) أي قتل بعد أخذ الدية (فلهُ عذابٌ أليمٌ) قال قتادة يقتل ولا تقبل منه الدية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أعافي رجلا بعد أخذ الدية (ولَكُمْ في القِصاصِ حياةٌ) يريد أن سافك الدم

اذا أقيد منه ارتدع من كان يهم بالقتل فلم يقتل خوفاً على نفسه أن يقتل فكان في ذلك حياة ﴿ قال أبو محمد ﴾ في صدر المشكل وهذا من معجز القرآن ومما جمع الكثير من معانيه في القليل من لفظه وذلك معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلام : وقال الشاعر

أَبْلِغْ أبا مالِكٍ عَنِّي مُغَلْغَلَةً ... وَفي العِتابِ حياةٌ بَيْنَ أَقْوَامِ

يريد أنهم اذا تعاتبوا أصلح ما بينهم العتاب فكفوا عن القتل وكان في ذلك حياة وأخذه المتمثلون فقالوا بعض القتل إحياء للجميع وقالوا القتل أقل للقتل . ﴿ غ ﴾ (كُتِبَ عليكمْ إِذَا حضَرَ أحدكم الموْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً) أي مالاً (الوصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بالمعْرُوفِ) ان يوصي لهم ويقتصد في ذلك ولا يسرف ولا يضر وهذه منسوخة بالمواريث (فمن بدله بعد ماسمعه) أي بدل الوصية فإثم ما بدل عليه : الجَنَفُ الميل عن الحق يقال جنف يجنف جنفاً : يقول إِن خاف أى علم من الرجل في وصيته ميلا عن الحق فأصلح بينه وبين الورثة وكفه عن الجنف فلا إِثم عليه أي على الموصي قال طاوس هو الرجل يوصي لولد ابنته يريد ابنته (كُتِبَ عليكُمُ الصيامُ) أي فرض (فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أو على سَفرٍ فَعِدَّةٌ مِنَ أيامٍ أُخَرَ) أي فعليه عدة من أيام أخر مثل عدة ما فاته (وعلى الذين يُطِيقونه فِدْيَةٌ طَعامُ مسكينَ فَمَنْ تَطوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ) وهذا منسوخ بقوله ـ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ـ والشهر منصوب لأنه ظرف ولم ينصب بإيقاع شهد عليه كأنه قال فمن شهد منكم في الشهر ولم يكن مسافراً فليصم

لأن الشهادة للشهر وقد تكون للحاضر والمسافر (فليستجيبوا لي) أي يجيبوني هذا قول أبي عبيدة وأنشد

وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلى النَّدَى ... فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ

أى فلم يجبه : الرفث الجماع ورفث القول هو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه من ذكر النكاح (تختانون أنفسكم) أي تخونونها بارتكاب ما حرم الله عليكم ﴿ ش ﴾ . قال أبو محمد الخيانة أن يؤتمن الرجل على شيء فلا يؤدي الامانة وفيه يقال كل خائن سارق وليس كل سارق خائناً والقطع يجب على السارق ولا يجب على الخائن لأنه مؤتمن قال النمر بن تولب

وَإِنَّ بَنِي رَبِيعَةَ بَعْدَ وَهْبٍ ... كَرَاعِي البَيْتِ يَحْفَظُهُ فَخَانَا

ويقال لناقض العهد خائن لأنه أمن بالعهد وسكن اليه فغدر ونكث قال الله عز وجل ـ وَإِما تخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانةً فانبذ اليهم ـ أى نقضاً للعهد وكذلك قوله ـ عَلِمَ الله أَنَّكُمْ كنتم تختانُونَ أَنْفُسَكُمْ ـ أى تخونونها بالمعصية . ومن المشكل ايضاً من باب الاستعارة قوله تعالى (هنّ لباسٌ لكم وَأَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ) لما كانت المرأة والرجل يتجردان ويجتمعان في ثوب واحد ويتضامان كان كل واحد منهما للآخر بمنزلة اللباس قال الجعدي

إِذَا مَا الضَّجِيعُ ثَنَى عِطْفَهَا ... تَدَلَّتْ عَلَيْهِ فَكَانَتْ لِبَاسا

﴿ غ ﴾ (وابتغوا ما كتب الله لكم) يعني من الولد أمر تأديب لا فرض (وَكُلوا وَاشْرَبوا) أَمْرُ إِباحةٍ (حتى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الابْيَضُ) وهو

بياض النهار من الخيط الأَسود وهو سواد الليل ويتبين هذا من هذا عند الفجر الثاني (عاكِفُونَ في المساجد) أي مقيمون العاكف المقيم في المسجد الذي أوجب العكوف فيه على نفسه (ولا تأكلوا أموالَكُمْ بينَكُمْ بالباطِلِ) أي لا يأكل بعضكم مال بعض بشهادات الزور (وتدلوا بها الى الحكام) أي تدلي بمال أخيك الى الحاكم ليحكم لك به وأنت تعلم أنك ظالم له فان قضاءه لك باحتيالك في ذلك عليه لا يحل لك شيئاً محرماً عليك ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار. وقوله (وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها) قال الزهري كان ناس من الانصار اذا أهلوا بالعمرة لم يحل بينهم وبين السماء شيء يتحرجون من ذلك فكان الرجل منهم يخرج مهلا بها فتبدوله الحاجة فيرجع فلا يدخل من باب الحجرة من أجل [إهلاله] ولكنه يقتحم الجدار من وراء ثم يقوم في حجرته فيأمر بحاجته وكانت قريش وحلفاؤها الحمس لا يبالون بذلك فأنزل الله سبحانه وتعالى ـ وليس البرّ بأن تأتوا البيوتَ من ظُهُورِها وَلَكِنِ البِرّ مَنِ اتقَى ـ أي بر من اتقى كما قال ـ ولَكِنّ البرَّ مَنْ آمَنَ باللهِ واليومِ الآخرِ ـ أي بر من آمن بالله (وقاتِلوا في سَبيلِ الله الَّذِين يُقاتِلونَكُمْ ولا تعتدوا) أي لا تعتدوا على من وادعكم بخير وعاقدكم (واقتلوهم حيثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) أي حيث وجدتموهم (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) يعنى من مكة. (والفتنة أشد من القتل) يقول الشرك أشد من القتل وكذلك قوله (وقاتِلوهُمْ حتى لا تكونَ

فِتنةٌ) أي شرك وقد تقدم في باب الفتنة ووجوهها من المشكل . وقوله (فإنِ انتهوْا فلا عُدْوَانَ إلاَ على الظالمينَ) أي لا سبيل وأصل العدوان الظلم وأراد بالعدوان الجزاء يقول لا جزاء ظلم الا على ظالم (الشهرُ الحرامُ بالشهرِ الحرامِ والحرمات قصاص) قال مجاهد نخرت قريش أن صدت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيت الحرام في الشهر الحرام في البلد الحرام فأقصه الله عز وجل فدخل عليهم من قابل في الشهر الحرام في البلد الحرام الى البيت الحرام وأنزل الله تعالى ـ الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص ـ (فان أحصرتم) من الاحصار وهو أن يعرض للرجل ما يحول بينه وبين الحج من مرض أو كسر أو عدو يقال أحصر الرجل إحصاراً فهو محصر فإن حبس في سجن أو دار قيل قد حصر فهو محصور (فما استَيْسَرَ مِنَ الهَدْي) أي فما تيسر من الهدي وأمكن والهدي ما أهدي الى البيت وأصله هدي مشددة نخفف وقد قرىء حتى يبلغ الهديُّ محله بالتشديد واحده هدية ثم يخفف فيقال هدية (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهَدْيُ محله) هو من حل يحل والموضع المحل الذي يحل فيه نحوه (فمن كان منكمْ مريضاً أو به أذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ) أراد فحلق ففدية (من صيام) فحذف فحلق اختصاراً (أو نُسُكٍ) أي ذبح يقال نسكت لله أي ذبحت لله (ألْحَجُّ أشْهُرٌ مَعْلوماتٌ) شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة ﴿ قال أبو محمد ﴾ في صدر الغريب وحج البيت مأخوذ من قولك حججت فلاناً اذا عُدت اليه مرةً بعد مرة قال الشاعر

وَأَشْهَدُ مِنْ عَوْفٍ حُلُولاً كَثِيرَةً يَحُجُّونَ سِبَّ الزِّبْرِقانِ المُزَعْفَرَا

أي يكثرون الاختلاف اليه لسودده ولا يكون ذلك لغيره ونحوه قوله ـ وَإِذْ جعلنا البيتَ مثابةً للناسِ ـ أي يثوبون اليه يعني يعودون اليه في كل عام(فمنْ فرضَ فِيهنّ الحجّ) أي أحرم. ﴿ ش ﴾ قال أبو محمد الفرض أصله وجوب الشيء يقال فرضت عليك كذا أي أوجبته عليك وفرض الحجأي أوجبه على نفسه وقال ـ فنصف ما فرضتم ـ أي الزمتم أَنفسكم وقال ـ قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم ـ أَي الزمناهم ومنه قوله في آية الصدقات بعدَ أنْ عَدّدَ أهلها ـ فَرِيضةً مِنَ اللهِ ـ وقيل للصلاة المكتوبة فريضة وقيل لسهام الميراث فريضة وقال ـ قد فرضَ اللهُ لكمْ تحِلةَ أَيما نِكُمْ ـ أي اوجب لكم ان تكفروا إِذا حلفتم وبعض المفسرين يجعلها بمعنى بين لكم كيف تكفرون عنها قال ومثله ـ سورةٌ انزلناها وفرضناها ـ أي بيناها. ويجوز في اللغة ان يكون فرضناها معناه اوجبنا العمل بما فيها وقال ـ إِنَّ الذى فرضَ عليكَ القرآنَ لَرَادُّكَ إِلى مَعادٍ ـ قال المفسرون فيه انزل عليك القرآن وقد يجوز في اللغة ان تكون اوجب عليك العمل بما فيه . وقال ـ ما كانَ على النَّبي مِنْ حرَجٍ فيما فرضَ اللهُ لَهُ ـ قال المفسرون فيما أُحل الله له وقد يجوز ان يكون فيما اوجب له من النكاح بعد نكاح اكثر من اربع . ﴿ غ ﴾ (فلارفث)اى فلا جماع(ولا فسوق)اى لا سباب (ولاجدال) اى لا مراء (ليسَ عليكمْ جُناحٌ ان تَبتَغُوا فَضلاً مِنْ رَبِّكُمْ) اى نفعاً بالتجارة في حجكم(فاذا أفضتم من عرفات) اي دفعتم من عرفات (فاذكروا الله)

(ثم أَفيضوا من حيثُ أفاضَ النـاسُ) كانت قريش لا تخرج من الحرم ويقولون لسنا كسائر الناس نحن أهل الله وقطان حرمه فلا تخرج منه وكان الناس يقفون خارج الحرم ويفيضون منه فأمر الله سبحانه وتعالى أن يقفوا حيث يقف الناس ويفيضوا أفاض النـاس (فاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أَوْ أَشدَّ ذِكراً) كان النـاس في الجاهلية اذا فرغوا من حجهم ذكروا آباءهم بأحسن أفعالهم فيقول أحدهم كان يقري الضيف ويصل الرحم ويفعل كذا وكذا قال الله تبارك وتعالى فاذكروني كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً فأنا فعلت ذلك بهم (آتِنا في الدنيا حسنةً) أي نعمة وقال في موضع آخر ـ إِنْ تُصِبْكَ حسنةٌ تَسُؤْهُمْ ـ أي نعمة (أولئك لهمْ نَصيبٌ ممـا كسبوا) أي لهم نصيب من حجهم بالثواب.﴿ش﴾ (واللهُ سريعُ الحسابِ) أي المحاسبة كما قال ـ فسوفَ يحاسَبُ حِساباً يسيرا ـ أي محاسبة يسيرة سريعـة. والحساب أيضاً الجزاء لانه يكون بالحساب والحساب الـكثير قال الله عز وجل ـ عطاءً حِساباً ـ أي كثيراً ويقال أحسبت فلاناً أعطيته ما يحسبه أي يكفيه. ومنه قول الهذلي * حِسابٌ ورَجْلٌ كالْجَرَادِ يَسُومُ * ﴿غ﴾ (وَاذْكرُوا اللهَ في أيامٍ مَعْدُودَاتٍ) أيام التشريق. والايام المعلومات عشر ذي الحجة. (ألد الخصام) أشدهم خصومة يقال رجل ألد بين اللدد وقوم لد والخصام جمع خصم ويجمع على فعول وفعال يقال خصم وخصام (إِذا توَلّى) أي فارقك. سعى في الارض أي أسرع فيها ليفسد. ﴿ش﴾ والسعي المشي قال فلما بلغ معه السعي يعني المشي ويقال المعاونة له على أمره

وقال ـ فاسعَوا الى ذكرِ الله ـ أي امشوا وقرأ بعض السلف فامضوا الى ذكر الله وقال ـ ثمّ ادعُهُنّ يأتينَكَ سَعياً ـ أي مشياً كذلك قال بعض المفسرين والسعي العمل قال ـ فأولئكَ كانَ سَعيُهُمْ مشكوراً ـ وقال ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها أي عمل لهـا عملها وقال ـ والذينَ سعوْا في آياتِنا مُعاجزِينَ ـ أي جدوا في ذلك وقال ـ إنّ سَعْيَكُمْ لَشَتّى ـ أي مختلف وأصل هذا كله المشي والاسراع فيه . ﴿غ﴾ (ويهلك الحرث) يعني الزرع والنسل يريد الحيوان أي يحرق ويقتل ويخرب (ولَبِئسَ المِهادُ) أي الفراش ومنه يقال مهدت فلاناً إذا أوطأت له ومهد الصبي منه (ومِنَ الناسِ منْ يَشْرِي نفسهُ ابتغاءَ مرْضاتِ اللهِ) أي يبيعها يقال شريت الشيء بعته واشتريته وهو من الأَضداد . (ادخلوا في السلم كافة) يعني في الاسلام ويقرأ في السلم بفتح السين وأصل السلم والسلم الصلح فإذا نصبت اللام فهو الاستسلام . قال ـ ولا تقولوا لمنَ ألقى اليكمُ السَّلَمَ ـ أي استسلم وانقاد هذا في الغريب وقال في المشكل يقال سلم فلان لأمرك واستسلم وأسلم أي دخل في السلم كما تقول أشتا الرجل دخل في الشتاء وأربع دخل في الربيع وأقحط دخل في القحط فمن الاسلام متابعة وانقياد باللسان دون القلب ومنه قول الله عز وجل ـ قالتِ الأَعرابُ آمنا قُلْ لَمْ تؤمنوا ولـكنْ قولوا أَسْلمنا ـ أي انقدنا من خوف السيف وكذلك قوله ـ ولهُ أَسلمَ مَنْ في السموات والارضِ طوعاً وكرهاً ـ أي انقاد له وأقر به المؤمن والكافر ومن الاسلام متابعة وانقياد باللسان والقلب ومنه قوله عز وجل حكاية عن

ابراهيم عليه السلام - قالَ أَسلمتُ لِربِّ العالمينَ وقالَ فإِنْ حاجُّوكَ فقُلَ أَسلمتُ وجهِيَ لِلّهِ ومَنْ اتّبعَنِ - أي انقدت له بلساني وعقدي والوجه زيادة كما قال - كلُّ شيْءٍ هالِكٌ إِلاَّ وجهَهُ - يريد إلا هو - إِنما نُطعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ - أي لله . قال زيد بن عمرو بن نفيل في الجاهلية

أَسلَمتُ وَجهِي لِمَنْ أَسلَمَتْ لَهُ المُزْنُ تَحمِلُ عَذباً زُلالاَ

أي انقادت له المزن. ﴿ ع ﴾ (كافة) أي جميعاً (هل ينظرونَ الا أنْ يأتيهمُ الله) أي هل ينتظرون الا ذلك يوم القيامة (وقُضيَ الأَمرُ) أي فرغ منه (كانَ الناسُ أُمَّةً واحدَةً) اي ملةً واحدة يعني كانوا كفاراً كلهم .

﴿ ش ﴾ قال ابو محمد أصل الامة الصنف من الناس والجماعة فمعنى قوله كان الناس أمة واحدة اي صنفاً واحداً في الضلال فبعث الله النبيين وكذلك - الا أمم امثالكم - اي اصناف كل صنف من الدواب والطير مثل بني آدم في المعرفة بالله جلت قدرته وطلب الغذاء وتوقي المهالك والتماس الذرء مع اشباه لهذا كثيرة ثم تصيز الأَمة الحين كقوله جل ثناءه - وادَّكَرَ بعدَ أمةٍ - وكقوله - ولَئِنْ أَخرْنا عنهُمُ العذابَ الى أمةٍ معدودَةٍ - اي سنين معدودة كأن الأَمة من الناس القرن ينقرضون في حين فتقام الأَمة مقام الحين ثم تصير الامة الإِمام والرباني كقوله - إِنَّ ابراهيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلّهِ - اي إِماماً يقتدي به الناس لانه ومن اتبعه أمة فسمي أمة لانه سبب الاجتماع وقد يجوز ان يكون سمي أمة لانه اجتمع عنده من خلال الخير ما يكون مثله في أمة ومن هذا يقال فلان أمة وحده أي هو يقوم مقام أمة وقد تكون أمة

لجماعة العلماء وكقوله ـ ولتكن منكم أمةٌ يدعونَ إلى الخيرِ ـ اي معلمون . والأمة الدين قال ـ انا وجدنا آبانا على أمة ـ أي على دين قال النابغة

[حلفت ولم أترك لنفسك ريبة] وهَلْ يا ثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ وَهوَ طائِعُ

أي ذو دين. والاصل أن يقال للقوم يجتمعون على دين واحد أمة فتقام الامة مقام الدين ولهذا قيل للمسلمين أمة محمد لانهم على أمر واحد فقال ـ وإنَّ هذه أُمتكُمْ أُمةً واحدةً ـ أي مجتمعة على دين واحد وشريعة واحدة قال ـ ولو شاءَ اللهُ لجَعَلَكُمْ أمةً واحدةً ـ أي مجتمعة على الاسلام. ﴿ غ ﴾ (مستهم البأساء) أي الشدة (والضراء) البلاء. (وزلزلوا) أي خوفوا وأرهبوا (يسلونكَ ماذا يُنْفِقونَ) أي ماذا يعطون ويتصدقون (قلْ ما أنفقتمْ) أي ما أعطيتم (من خير) أي من مال (كُتِبَ عليكمْ القتالُ) أي فرض عليكم الجهاد (وهُوَ كُرْهٌ لكمْ) أي مشقة (يسألونك عنِ الشهرِ الحرامِ قِتالٍ فيهِ) أي يسألونك عن القتال في الشهر الحرام هل يجوز فأبدل قتالا من الشهر الحرام (قلْ قِتالٌ فيه كبيرٌ) أي القتال فيه عظيم عند الله وتم الكلام . ثم قال (وَصَدٌّ عَنْ سبيلِ اللهِ وكفرٌ بهِ والمسجدِ الحرامِ) وخفض المسجد الحرام نسقاً على سبيل الله فكأنه قال وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام (وكفر به) أي بالله (واخراج أهله) أي أهل المسجد (منه أكبر عند الله) يريد من القتال في الشهر الحرام (والفتنة أكبر من القتل) أي الشرك أعظم من القتل (حبطت أعمالهم) أي بطلت والميسر القمار (ويسألونك ماذا ينفقون) أي ماذا يتصدقون ويعطون (قل العفو) يعني فضل المال يريد أن يعطي مافضل عن قوته وقوت عياله يقال

خذ ما عفالك أي ما أتاك بلا اكراه ولا مشقة ومنه قوله عز وجل - خذ العفوَ وأمرْ بالعرفِ - أي اقبل من الناس عفوهم وما تطوعوا به من أموالهم ولا تستقص عليهم (ويسألونَكَ عَنِ اليتامى قلْ اصلاحٌ لهم) أي تثمير أموالهم والتنزه عن أكلها لمن وليها خير (وان تخالطوهم) فتؤاكلوهم فهم اخوانكم حكمهم في ذلك حكم اخوانكم من المسلمين (واللهُ يعلمُ المفسدَ مِنَ المصلحِ) أي من يخالطهم على جهة الخيانة والافساد لأموالهم ومن كان يخالطهم على جهة التنزه والاصلاح (ولو شاءَ اللهُ لَأَعنتكمْ) أي ضيق عليكم وشدد ولكنه لم يشأ الا التسهيل عليكم ومنه يقال أعنتني فلان في السؤال إذا شدد علي وطلب عنتي وهو الاضرار يقال عنتت الدابة وأعنتها البيطار اذا ظلعت (ولا تنكِحوا المشرِكاتِ حتى يؤمِنَّ) أي لا تتزوَّجوا الاماء المشركات (ولا تنكحوا المشركينَ حتى يؤمنوا) أي لا تزوجوا المشركين حتى يؤمنوا (ولا تقربوهن حتى يطهرنَ) أي ينقطع عنهن الدم يقال طهرت المرأة وطهرت إذا رأت الطهر وان لم تغتسل بالماء ومن قرأ يطهرنَ أراد يغتسلن بالماء والاصل يتطهرن فأدغم التاء في الطاء (نساؤكم حرث لكم) كناية وأصل الحرث الزرع فاستعير لأن المرأة مزدرع للولد كما تزدرع الارض. (فأتوا حرثكم أنى شئتم) كيف شئتم ﴿ش﴾ ومثله - أنّى يحيي هذه الله بعد موتها - أي كيف يحيي هذه الله بعد موتها وتكون أنى بمعنى من أين نحو قوله - قاتلَهُمُ اللهُ أني يوفكُونَ - أي من أين يوفكون وقوله - أنى يكون لي ولدٌ - أي من أين يكون لي ولد والمعنيان

متقاربان يجوز أن يتأول في كل واحد منهما الآخر : قال الكميت

أَنَّي وَمِنْ أَيْنَ آبَكَ الطرَبُ   مِنْ حَيْثُ لاَ صَبْوَةٌ وَلاَلَعِبُ

﴿ غ ﴾(وقدموا لأنفسكم) في طلب الولد(ولا تجعلوا اللهَ عُرْضَةً لأَيمانِكم أن تبروا وتتقوا) يقول لا تجعلوا الله بالحلف به مانعاً من أن تبروا وتتقوا ولكن اذا حلفتم على ان لا تصلوا رحماً ولا تتصدقوا ولا تصلحوا وعلى أشباه ذلك من أبواب البر فكفروا وأتوا الذى هو خير واللغو في اليمين ما يجري في الكلام على غير عقد ويقال اللغو أن تحلف على الشيء ترى أنه كذلك وليس كذلك يقول لا يؤاخذكم الله بهذا ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم أى ما تحلفون عليه وقلوبكم تتعمده ويعلم أنكم فيه كاذبون(يؤلون من نسائهم) يحلفون يقال آليت من امرأتي أولى إيلاء إذا حلف أن لا يجامعها والاسم ألألية . (فإن فاؤا) أى رجعوا الى نسائهم (يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) وهي الحيض وهي الاطهار أيضاً واحدها قرء ويجمع أقراء أيضاً وقال الاعشى

وفي كُلِّ عامٍ أَنْتَ جاشِمُ غَزْوَةٍ   تَشُدُّ لِأَقْصاها عَزِيمَ عَزَائِكا

مُوَرِّثَةً مالاً وَفي الْحَيِّ رِفْعَةً   لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكا

فالقروء في هذا البيت الاطهار لانه لما خرج للغزو لم يغش نساءه فأضاع قروءهن أى أطهارهن وقال النبي صلى الله عليه وسلم في المستحاضة تقعد عن الصلاة أيام أقرائها أراد أيام حيضتها : وقال الشاعر

يارُبَّ ذِى ضِغْنٍ عليَّ فارِضِ   لهُ قُرُوءٌ كَقُرُوءِ الْحَائِضِ

فالقروء في هذا البيت الحيض يريد أن عداوته تهيج في أَوقات معلومة كما تحيض المرأة في أوقات معلومة وانما جعل الحيض قرأ والطهر قرأ لان أصل القرء في كلام العرب الوقت يقال رجع فلان لقرئه أي لوقته الذي كان يرجع فيه ورجع لقارئه أيضاً : قال الهذلي

كَرِهتُ العُقْرَ عُقْرَ بَنِي شُلَيْلٍ اذَا هَبّتْ لقَارِئِهَا الرِّيَاحُ

أي لوقتها فالحيض يأتي لوقت والطهر يأتي لوقت (ولا يحلُّ لهن أن يكتمنَ ما خلق اللّهُ في أرحامهن) يعني الحمل (وبعولتهن أحقُّ بردهن في ذلك) يعني الرجعة مالم تنقض الحيضة الثالثة ولهن على الازواج مثل الذي للازواج عليهن (وللرِّجالِ عليهنّ) في الحقّ (درجةٌ) أى فضيلة (الطلاق مرتان) يقول الطلاق الذي تملك فيه الرجعة تطليقتان (فامساكٌ بمعروف) بعد ذلك (أو تسريح باحسان) أي تطليق الثالثة باحسان (إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود اللّه) أي يعلمان أنهما لا يقيمان حدود الله (فإِن خفتمْ) أي علمتم ذلك (فلا جناح عليهما) أي لا جناح على المرأة والزوج فيما افتدت به المرأة نفسها من الزوج (إِنْ ظنَّا أن يُقِيما حُدُودَ اللّهِ) أي علما انهما يقيمان حدود الله (ولا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً) كانوا اذا طلق الرجل امرأته فهو أحق برجعتها مالم تغتسل من الحيضة الثالثة . فاذا أراد أن يضر بامرأته تركها حتى تحيض الحيضة الثالثة ثم راجعها . ويفعل ذلك في التطليقة الثالثة فتطويله عليها هو الضرار (ولا تعضلوهُنَّ) أي لا تحبسوهن يقال عضل الرجل أيمه اذا منعها من التزويج (إِذَا تراضوْ بينَهُمْ بالمعْرُوفِ) يعني تزويجاً صحيحاً

(وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) أي على الزوج إطعام المرأة والولد والكسوة على قدر الجدة (لا تكلف نفس الا وسعها) أي طاقتها (لا تضار والدة بولدها) يعني لا تضارر ثم أدغم الراء في الراء أي لا ينزع الرجل ولدها منها فيدفعه الى مرضع أخرى وهي صحيحة لها لبن (ولا مولود له بولده) يعني الاب يقول اذا أرضعت المرأة صبيها وألفها دفعته الى أبيه تضاره بذلك . (وعلى الوارث مثل ذلك) يقول اذا لم يكن للصبي أب فعلى الوارث نفقته: والفصال الفطام يقال فصلت الصبي اذا فطمته ومنه قيل للحوار اذا قطع عن الرضاع فصيل لانه فصل عن أمه وأصل الفصل التفريق (فاذا بلغن أجلهن) أي منتهى العدة (فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف) أي لا جناح عليهن في التزويج الصحيح (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء) وهو أن يعرض للمرأة في عدتها بتزويجه لها من غير تصريح بذلك فيقول لها والله إنك لجميلة وإنك لشابة وإن النساء لمن حاجتي ولعل الله أن يسوق اليك خيراً هذا وما أشبهه

﴿ ش ﴾ (باب التعريض)

قال أبو محمد والعرب تستعمل التعريض في كلامها كثيراً فتبلغ إرادتها بوجه هو ألطف وأحسن من الكشف والتصريح ويعيبون الرجل إذا كان يكاشف في كل شيء ويقولون لا يحسن التعريض الا ثلباً وقد جعله الله في خطبة النساء في عددهن جائزاً كما ذكر وروى بعض أصحاب اللغة أن قوماً من الأعراب خرجوا يمتارون فلما صدروا خالف رجل في بعض الليالي الى

عكم صاحبه فأخذ منه برًّا وجعله في عكمه فلما أرادا الرحلة وقاما يتعا كمان رأى عكمه يشول وعكم صاحبه يثقل : فأنشأ يقول

عِكْمٌ تَعَشَّى بَعْضَ اعْكَامِ الْقَوْم   لَمْ أَرَ عِكْماً سَارِقاً قَبْلَ الْيَوْمْ

نخون صاحبه بوجه هو ألطف من التصريح : وروي في بعض الحديث أن رجلا كتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه من مغزى كان فيه

أَلاَ أَبْلِغْ أَبَا حَفْصٍ رَسُولاً   فِدًى لَكَ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ إِزَارِي

قَلاَئِصَنَا هَدَاكَ اللهُ انَّا   حُبِسْنَا عَنْكُمُ زَمَنَ الْحِصَارِ

فَمَا قُلُصٌ وُجِدْنَ مُعَقَّلاتٍ   قَفَا سَلْعٍ بِمُخْتَلَفِ التِّجَارِ

يُعَقِّلُهُنَّ جَعْدٌ شَيْظَمِيٌّ   وَبِئْسَ مُعَقِّلُ الذَّوْدِ الظُّؤَارِ

فإنما كنى بالقلص وهي النوق الشواب عن النساء وعرض برجل يقال له جعدة يخالف الي المغيبات من النساء ففهم عمر رضي الله عنه ما أراد وجلد جعدة ونفاه : وقال عنترةُ

يا شَاةَ مَا قَنَصٍ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ   حَرُمَتْ عَلَيَّ ولَيْتَهَا لَمْ تَحْرُمِ

يعرض بجارية يقول أي صيد أنت لمن حل له ان يصيدك فأما أنا فإن حرمة الجوار قد حرمتك عليَّ ﴿ومن التعريض﴾ في القرآن العزيز ما خبر الله جل ثناؤه من نبإِ الخصم ـ إِذْ دخلوا على داوُدَ ففزِعَ مِنهُمْ قالوا لا تخفْ خصمانِ بَغى بعضُنَا على بعْضٍ فاحكُمْ بيننا بالحقّ ـ ثم قال ـ انَّ هذا أخي له تِسعٌ وتِسعونَ نعجةً ولي نعجةٌ واحدةٌ فقال أَكْفِلْنيها وعزَّني في الخطابِ ـ إِنما هوَ مثلٌ ضرَبَهُ اللهُ ونبَّهَهُ على خطيئته به ـ وورى عن

ذ كر النساء بذكر النعاج كما كنى الشاعر عن جارية بشاة وكنى الآخر عن النساء بالقلص وروى المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قول الله جل وعز حكاية عن موسى صلى الله عليه وسلم ـ لا تؤاخذني بما نسيت ـ لم ينس ولكنها من معاريض الكلام أراد ابن عباس رضي الله عنه أنه لم يقل له اني نسيت فيكون كاذباً ولكنه قال لا تؤاخذني فأوهمه النسيان تعريضاً ولم ينس ولم يكذب . ولهذا قيل ـ بأنَّ المعاريض لمندوحةٌ عن الكذب ـ ومنه قول ابراهيم صلى الله عليه وسلم إني سقيم أي سأسقم لأن من كتب عليه الموت لا بد من أن يسقم ومنه قول الله عز وجل ـ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ـ أي ستموت وسيموتون فأوهمهم بمعاريض الكلام انه عليل ولم يكن عليلا ولا كاذباً . وكذلك ما روي في الحديث من قوله حين خاف على نفسه وامرأته بأنها أختي لان بني آدم أجمعين يرجعون الى أبوين فهم اخوة ولان المؤمنين اخوة قال الله عز وجل ـ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ـ وكذلك قوله ـ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ـ أراد بل فعله الكبير ان كانوا ينطقون فسئلوهم فجعل النطق شرطاً للفعل ان كانوا ينطقون فقد فعله وهو لا يفعل ولا ينطق . وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن ابراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات ما منها واحدة الا وهو يماحل بها عن الاسلام فسماها كذبات لانها شابهت الكذب وصارعته : قال بعض السلف رضي الله عنهم لأبيه يا بني لا تكذبن ولا تشبهن بالكذب فنهاه عن المعاريض لئلا يجري على

اعتيادها فيتجاوزها الى الكذب وأحب أن يكون حاجز من الحلال بينه وبين الحرام وسأذكر ما بقي من الباب في المواضع التي ذكرها ابن قتيبة ان شاء الله ﴿ غ ﴾ (ولكن لا تواعدوهن سراً) أي نكاحاً يقول لا تواعدوهن بالتزويج وهن في العدة تصريحاً بذلك وهذا من باب الاستعارة لان النكاح يكون سراً ولا يظهر فاستعير له السر: قال رؤبة

* فَعَفَّ عَنْ أَسْرَارِهَا بَعْدَ الْعَسَقْ * العسق الملازمة (الا أن تقولوا قولا معروفاً) لا تذكروا فيه نكاحاً ولا رفثاً (ولا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ) أي لا تواقعوا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله يريد حتى تنقضي العدة التي كتب على المرأة أن تعتدها أي فرض عليها (واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما في أَنْفُسِكُمْ فاحذَرُوهُ) أي يعلم ما تحتالون به في ذلك على مخالفة ما أراد فاحذروه (أو تفرضُوا لهنَّ فريضةً) يعني المهر (ومتعوهنَّ على الموسِعِ قَدَرُهُ) أي اعطوهن متعة الطلاق على قدر الغنى والفقر (فنصفُ مافرضتم) من المهر أي فلهن نصف ذلك (الا أَنْ يعفون) أي يهبن (أو يعفوَ الذي بيده عقدة النكاح) يعني الزوج وهذا في المرأة تطلق قبل أن يدخل بها وقد فرض لها المهر فلها نصف ما فرض لها الا أن تهبه أو يتمم لها الزوج الصداق كاملا وقد قيل ان الذي بيده عقدة النكاح الأب يريد الا أن يعفو النساء عما يجب لهن من نصف المهر أو يعفو الأب عن ذلك فيكون العفو جائزاً عن ابنته (وان تعفُوا أَقربُ للتقوى ولا تنسوُا الفضلَ بينَكم) حضهم الله عز وجل على العفو ﴿ ش ﴾ قال أبو محمد والنسيان ها هنا الترك أي

لا تتركوا الفضل بينكم قوله ـ ولَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ من قَبْلُ فَنَسِيَ ولَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ـ أي ترك عهده والنسيان أيضاً ضد الحفظ كقوله تعالى ـ إِني نَسِيتُ الْحَوتَ. ولا تؤاخِذْني بما نَسِيتُ ـ ﴿ غ ﴾ (والصلاةُ الوسطى) صلاة العصر لأنها بين صلاتين في النهار وصلاتين في الليل وأعيد ذكر الصلاة الوسطى وهي من الصلوات ترغيباً فيها وتشديداً لأمرها وهو من باب التكرير والزيادة المستعمل في كلامهم ونظيره قوله ـ فيها فاكِهَةٌ ونَخْلٌ وَرُمَّانٌ ـ وهما من الفاكهة فأعيد النخل والرمان لفضلهما وحسن موقعهما وسترى باب التكرار والزيادة ان شاء الله (وقُومُوا لِلّهِ قانِتِينَ) أي مطيعين ويقال قائمين ويقال ممسكين عن الكلام. ﴿ ش ﴾ وسئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الصلاة أفضل فقال طول القنوت يعني طول القيام. وقال الله عز وجل ـ أمَّنْ هو قانِتٌ آناء الليل ساجداً وَقائماً ـ أي أمن هو مصل فسمى الصلاة قنوتاً لانها بالقيام تكون. وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القانت الصائم يعني كمثل المصلي الصائم ثم قيل للدعاء قنوت لانه إنما يدعو به قائماً في الصلاة قبل الركوع أو بعده. وقيل للامساك عن الكلام في الصلاة قنوت لان الامساك عن الكلام يكون في القيام لا يجوز لأحد أن يأتي فيه بشيء غير القرآن. قال زيد بن أرقم كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فنهينا عن الكلام وأمرنا بالسكوت. ﴿ والقنوت ﴾ الاقرار بالعبودية كقوله ـ وله منْ في السموات والأرْضِ كلٌّ لَهُ قانِتونَ ـ أي مقرون

بعبوديته . والقنوت الطاعة كقوله ـ والقانتين والقانتات ـ أي المطيعين والمطيعات . وقوله ـ إنَّ ابرَاهيمَ كانَ أمَّةً قانِتاً لِلّهِ ـ فمعناه كان مطيعاً . قال أبو محمد ولا أرى أصل هذا الحرف إلا الطاعة لان جميع هـذه الخلال من الصلاة والقيام فيها والدعاء وغير ذلك يكون عنها . ﴿غ﴾ (فإن خفتم) يريدان خفتم عدوًّا (فرجالاً) أي مشاة جمع راجل مثل قائم وقيام (أو ركباناً) يقول تصلي ما أمنت قائماً فإذا خفت صليت راكباً أو ماشياً والخوف ها هنا بالتيقن لا بالظن (ألم تَرَ الى الذينَ خرَجوا مِنْ دِيارِهِمْ) على جهةِ التَّعجُّبِ كما تقول ألا ترى ما يصنع فلان (الملاء من بني اسرائيل) وجوههم وأشرافهم (وزاده بسطةً في العلمِ والجسمِ) وهو من قولك بسطت الشيء اذا كان مجموعاً ففتحته ووسعته (إنَّ آيةَ ملكه) أي علامة ملكه السكينة فعيلة من السكون (وبقية مما تركَ آلُ موسى وآلُ هرونَ) يقال بقية من المن الذي كان ينزل عليهم وشيء من رضاض الألواح (مُبْتَليكُمْ بِنَهَرٍ) أي مختبركم (قالَ الذينَ يَظُنُّونَ أنّهُمْ مُلاَقُوا اللّهِ) أي يعلمون : الفئة الجماعة (أفرِغْ علينا صبَراً) أي صبه علينا كما يفرغ الدلو (ولا خُلّةَ) أي ولا صداقة تنفع يومئذ ومنه الخليل : والسنة النعاس من غير نوم قال ابن الرفاع

وَسْنَانَ أقْصَدَهُ النُّعاسُ فَرَنَّقَتْ في عَيْنِهِ سِنةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ

فاعلمك أنه وسنان أي ناعس وهو غير نائم وفرق الله سبحانه وتعالى بين السنة والنوم يدلك على ذلك (ولا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا) أي لا يثقله يقال آده الشيء يؤوده وآده يئيده والوأد الثقل (لا انفصامَ لها) لا انكسار لها يقال

فصمت القدح إذا كسرته وقصمته (أَلَمْ تَرَ الى الذي حاجَّ إِبْرَاهِيمَ في رَبّهِ أَنْ أتاهُ اللهُ الْمُلْكَ) فأعجب بنفسه وملكه (قال أنا أحيي وأميت) أي أعفو عمن استحق القتل فأحييه وأميت أقتل من أريد قتله فيموت (فَبُهِتَ الذي كَفَرَ) أي انقطعت حجته (أَوْ كالذي مرَّ على قَرْيَةٍ وَهِيَ خاوِيَةٌ على عُرُوشِهَا) أي خراب عروشها سقوفها وأصل ذلك أن تسقط السقوف ثم تسقط الحيطان عليها (ثم بَعَثَهُ) أي أحياه (لم يتسنه) لم يتغير بمر السنين عليه واللفظ مأخوذ من السنة يقال سانهت النخلة إذا حملت عاماً وخابت عاماً: قال الشاعر

لَيْسَتْ بِسَنْهَاءَ وَلا رجَبيّةٍ ولَكِنْ عَرَايَا في السّنِينَ الْجَوَائحِ

وكأن سنة من المنقوص وأصلها سنهة فمن ذهب الى هـذا قرأها في الوصل والوقف بالهاء يتسنه . وقال أبو عمرو الشيباني لم يتسنن لم يتغير من قوله ـ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ـ فأبدلوا النون من يتسنن فاء كما قالوا تظلت وقصيت أظفاري وخرجنا نتلعى أى نأخذ اللعاع وهو بقل ناعم (ولِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلناسِ) أي دليلا وعلماً على قدرتنا وأضمر فعلنا ذلك (كيف ننشرها) بالراء أي نحييها يقال أنشر الله الميت فنشر وقال ـ ثم إذا شاء أنشره ـ ومن قرأ ننشزها بالزاي فمعناه نحرك بعضها الى بعض ونزعجه: ومنه يقال نشز الشيء ونشزت المرأة على زوجها وقرأ الحسن ننشُرها كأنه من النشر عن الطي أو على أنه يجوز أنشر الله الميت ونشره إذا أحياه . قال أبو محمد ولم أسمع به في فعل وأفعل (قالَ اوَلَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) بالنظر

كأَن قلبه كان معلقاً بأن يرى ذلك فإِذا رآه اطمأن وسكن وذهبت عنه محبة الرؤية(فصُرهنّ اليك)أَي فضمهنّ اليكَ يقال صرت الشي فانصار أَي أَملته فمال وفيه لغة أُخرى صرته بكسر الصاد (ثم اجْعَلْ على كُلِّ جَبَلٍ مِنهُنَّ جُزْأً) أَي ربعاً من كل طائر فأضمر فقطِّعْهن واكتفى بقوله ثم اجعل على كل جبل من قوله ـ فقطعهن ـ لانه يدل عليه وهذا كما تقول خذ هذا الثوب واجعل على كل رمح عندك منه علماً (ثم ادْعُهُنَّ يأْتِينَكَ سَعْياً) يقال عدواً ويقال مشياً على أرجلهن ولا يقال للطائر إِذا طار سعي: والصفوان الحجر:والوابل أَشد المطر:والصلد الأَملس (وتثبيتاً من أَنفسهم) أَي تحقيقاً من أَنفسهم:الربوة:الارتفاع ويقال رِبوة ورَبوة أَيضاً (أُكلها)ثمرها الطل اضعف المطر : الإِعصار ريح شديدة تعصف وترفع تراباً الى السماء كأَنه عمود قال الشاعر

* إِن كُنْتَ رِيحاً فَقَدْ لاَقَيْتَ إِعْصَارا * أَي لاقيت ما هو أَشد منك .

﴿غ﴾ قال أَبو محمد قوله(أَيودُّ أَحدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ) الى قوله فاحترقت هذا مثل ضربه الله للمنافقين والمرائين بأعمالهم) لا يريدونه بشيء منها يقول يردون يوم القيامة على أَعمالهم قد محقها الله وأَبطلها ووكلهم في ثوابها الى ما عملوا لهأَحوج ما كانوا إِلى أعمالهم فمثلهم كمثل رجل كانت له جنة فيها من كل الثمرات واصابه الكبر فضعف عن الكسب وله أُطفال لا يجدون عليه ولا ينفعونه فأصابها إِعصار فيه نارفاحترقت ففقدها أَحوج ما كان اليها عند كبر السن

وضعف الحيلة وكثرة العيال وطفولة الولد وهذا معنى قول ابن عباس وغيره وقد ضرب الله جل ثناؤه لهم مثلا قبل هذا فيه هذا المعنى بعينه فقال (كالذي يُنفِقُ مالَهُ رِئاءَ النّاسِ ولا يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ. فمثلُهُ كمثلِ صفوانٍ عليه ترابٌ فأصابَهُ وابلٌ فتركَهُ صلداً لا يقدرونَ على شيءٍ مما كسبوا) يريد أنه محق كسبهم فلم يقدروا عليه حين حاجتهم اليه كما أذهب المطر التراب عن الصفا ولم يوافق في الصفا منبتاً ثم ضرب مثلا للمخلصين فقال (الذينَ يُنفِقُونَ أموَالَهُمْ ابتغاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وتَثْبِيتاً مِنْ أنفُسِهِمْ) أي تحقيقاً من أنفسهم (كمثلِ جنةٍ بربوةٍ) وأحسن ما يكون الجنان والرياض على الربا (أصابَها وابلٌ) وهو أشد المطر فأضعفت في الحمل ثم قال (فان لَمْ يُصِبْها وَابِلٌ) (فأصابها طل) وهو أضعف المطر فتلك حالها في النزل وتضاعف الثمرة ولا تنقص بالطل عن مقدارها بالوابل ﴿ غ ﴾ (أنفِقُوا مِنْ طيّبَاتِ ما كسَبْتُمْ) يقول تصدقوا من طيبات ما تكسبون الذهب والفضة (ومما أخرجنا لَكُمْ مِنَ الأرضِ ولا تيمَّمُوا الخَبيثَ مِنهُ تُنفِقُونَ) أي لا تقصدون للردي والحشف من التمر ومالا تأخذونه أنتم إلا بالاغماض فيه أي بأن تترخصوا (يوفَّ اليكم) أي توفون أجره (يَحْسَبُهُمُ الجاهِلُ أغنياء) لم يرد الجهل الذي هو ضد العقل وانما أراد الذي هو ضد الخبرة يقول يحسبهم من لا يخبر أمرهم (لا يَسْئَلُونَ النّاسَ إلحَافاً) أي إلحاحاً يقال الحف في المسئلة اذا ألح (الذينَ يأكُلُونَ الرّبا لا يقومون) من قبورهم يوم القيامة (إلا كما يقومُ الذي يَتَخَبَّطُهُ الشيطانُ من المسِّ) أي من

الجنون يقال رجل ممسوس ﴿ش﴾ قال أبو محمد فالناس اذا بعثوا من قبورهم خرجوا مسرعين يقول الله تبارك وتعالى ـ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الاجدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلى نُصُبٍ يوفِضونَ ـ أي يسرعون الا أكلة الربا فإنهم يقومون ويسقطون كما يقوم الذي يتخطبه الشيطان ويسقط لأنهم أكلوا الربا في الدنيا فأرباه الله في بطونهم يوم القيامة حتى أثقلهم فهم ينهضون ويسقطون ويريدون الاسراع فلا يقدرون (فأْذَنوا بِحَرْبٍ مِنَ الله) أي اعلموا ومن قرأها فآذنوا أراد آذنوا غيركم من أصحابكم يقال آذنني فآذنت (فَنَظِرَةٌ الى ميسرةٍ) أي انتظار الى اليسار (وأن تصدقوا) بمالكم على المعسر (خير لكم) (وَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بالْعَدْلِ) أي وليُّ الحق (أنْ تَضِلَّ إِحْدَاهما) أي تنسى احداهما الشهادة (فتذكرها الاخرى) ومنه قول موسى عليه السلام ـ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأنا مِنَ الضَّالِّينَ ـ أي من الناسين (ولا تسأَمُوا) أي لا تملوا (أنْ تكتبوهُ صغيراً) من الدين كان (أو كبيراً) (أقسط عند الله) أعدل (وأقوم للشهادة) لان الكتابة تذكر الشهود جميع ما شهدوا عليه (وأدْنى أنْ لا تَرْتابوا) أن لا تشكُّوا (الا أنْ تَكُونَ تِجارَةً حاضِرَةً تُديرُونَهَا) أي تتبايعونها (ولا يُضَارَّ كاتِبٌ) فيكتب مالم يملل عليه (ولا شَهِيدٌ) فيشهد عالم يشهد عليه ويقال هو أن يمتنعا إذا دعيا ويقال لا يضار كاتب أي يأتيه فيشغله عن سوقه وضيعته هذا قول مجاهد رحمه الله والكلبي (فَرِهَانٌ مقبوضةٌ) جمع رهن ومن قرأ فرهُن أراد جمع رهان فكأنه جمع الجمع (لا نُفَرِّقُ بينَ أحدٍ مِنْ رُسُلِهِ) أحد في معنى جميع كأنه قال لا نفرق بين رسله

فنؤمن بواحد ونكفر بواحد (وُسْعَها) طاقتها والإصر الثقل أي لا تثقل علينا من الفرض ما ثقلته على بني اسرائيل (أنتَ مولانا) أي ولينا ﴿ ش ﴾ قال أبو محمد المولى المعتق والمولى المعتق والمولى عصبة الرجل ومنه قول الله عز وجل ـ إِنّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائي ـ أراد القرابات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة نكحت بغير أمر مولاها فنكاحها باطل أي بغير أمر وليها وقد يقال لمن تولاه الرجل وان لم يكن قرابة مولى قال الله عز وجل ـ ذلك بأنّ اللهَ مولى الذينَ آمنوا وأَنّ الكافِرينَ لا مَوْلى لهمْ ـ وقال تبارك اسمه ـ يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شيْئاً ـ أي ولي عن وليه شيئاً إما بالقرابة أو بالتولي والحليف أيضاً مولى : قال النابغة الجعدي

مَوَالِيَ حِلفٍ لا مَوَالي قَرَابَةٍ ولَـكِنْ قَطِيناً يَسْئَلُونَ الأَتَاوِيَا

وقال الله جل ثناؤه ـ النَّبِيُّ أَوْلى بالمؤمِنينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ـ يريد إذا دعاهم الى أمر ودعتهم أنفسهم الى خلاف ذلك الامر كانت طاعته أولى بهم من طاعتهم لأنفسهم

﴿ غريب سورة آل عمران ومشكلها ﴾

قد تقدم القول في الٓمٓ وأخواتها بما أغنى عن اعادته قوله (وأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ والانجيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنّاسِ) قال أبو محمد في الغريب أما التوراة فإن الفراء يجعلها من وريَ الزنديري إذا خرجت ناره وأوريته يريد أنها ضياء . والانجيل من نجلت الشيء إذا أخرجته وولد الرجل نجله وإنجيل

إفعيل من ذلك كأن الله أظهر به عافياً من الحق دارساً . قال والقرآن من قولك ما قرات الناقة سلاً قط أي ما ضمت في رحمها ولداً قط وكذلك ماقرأت جنيناً : وأنشد أبو عبيدة * هجان اللون لم تقرأ جنينا * وقال في قوله عز وجل ـ إنّ علينا جمعه وقرآنه ـ أي تأليفه . قال وانما سمي قرآناً لانه جمع السور وضمها ويكون القرآن مصدراً كالقراءة يقال قرأت قراءة حسنة وقرآناً حسناً وقال الله جل وعز ـ وقرآن الفجر إنّ قرآن الفجر كان مشهوداً ـ أي قراءة الفجر يعني صلاة الفجر : وقال الشاعر في عثمان رضي الله عنه

ضَحّوْا بأشمطَ عُنْوانُ السُّجُودِ به   يُقَطِّعُ اللّيْلَ تَسبِيحاً وقُرْآنا

أي تسبيحاً وقراءة والزبور بمعنى زبر الكتاب يزبره إذا كتبه وهو فعول بمعني مفعول كما قالوا حلوب وركوب بمعنى محلوب ومركوب . قال ومن صفاته القيوم والقيَّام وقد قرىء بهما جميعاً وهما فيعول وفيعال من قمت بالشيء إذا وليته كأنه القائم بكل شيء ومثله في التقدير قولهم ما فيها ديُّور ولا ديَّار (في قلوبهمْ زَيْغٌ) أي جور يقال قد زغت عن الحق ومنه قوله (زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصارُ) أي عدلت ومالت (هوَ الذي أَنْزَلَ عليْكَ الْكِتَابَ منه آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكتابِ وأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) قال أبو محمد في المشكل أما قولهم ما أراد بإنزال المتشابه في القرآن من أراد بالقرآن لعباده الهدى والبيان : فالجواب عنه أن القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها ومذاهبها في الإيجاز والاختصار والإطالة للتوكيد

والإشارة الى الشيء وإغماض بعض المعاني حتى لا يظهر عليه الا اللقِن وإظهار بعضها وضرب الا مثل لما خفي ولو كان القرآن كله ظاهراً مكشوفاً حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل لبطل التفاضل بين الناس وسقطت المحنة وماتت الخواطر ومع الحاجة تقع الفكرة والحيلة ومع الكفاية يقع العجز والبلادة . وقالوا عيب الغنى أنه يورث البله وفضيلة الفقر انه يبعث الحيلة . وقال أكثم بن صيفي ما يسرني أني مكفي كل أمر الدنيا قيل ولم قال أكره عادة العجز . وكل باب من أبواب العلم من الفقه والحساب والفرائض والنحو فمنه ما يدق ومنه ما يجل ليرتقي فيه المتعلم رتبة بعد رتبة حتى يبلغ منتهاه ويدرك أقصاه ولتكون للعالم فضيلة النظر وحسن الاستخراج ولتقع المثوبة من الله عز وجل على حسب العناية ولو كان كل فن من العلم شيئاً واحداً لم يكن عالم ولا متعلم ولا خفي ولا جلي لأن فضائل الاشياء تعرف باضدادها فالخير يعرف بالشر والنفع بالضر والحلو بالمر والقليل بالكثير والصغير بالكبير والباطن بالظاهر قال وعلى هذا المثال كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام صحابته والتابعين وأشعار الشعراء وكلام الخطباء ليس منه شيء الا وقد يأتي فيه المعنى اللطيف الذي يتحير فيه العالم المتقدم ويقر بالتقصير عنه النقَّاب المبرز . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون الناس كإبل مائة ليس فيها راحلة . وقال لا تستضيئوا بنار المشركين . وقال إن مما ينبت الربيع ما يقتل حَبَطاً ويُلِمّ . وقال للضحاك ابن سفيان حين بعثه الى قومه اذا أتيتهم فأربض في ديارهم ظبياً . وقال

الـكاسيات العاريات لا يدخلن الجنة . وكتب في كتاب صلح وان بيننا وبينكم عيبة مكفوفة . وقال أجد نفس ربكم من قِبَل اليمين . وقال أبو بكر الصديق رضوان الله عليه نحن حفنة من حفنات الله . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعريف الذي أتاه بالمنبوذ عسى الغوير أبؤساً . وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه من يطل أير أبيه ينتطق به . قال أبو محمد وحُدثت عن الأصمعي أنه قال أعياني أن أعلم معنى قول عمر رضي الله عنه أيما رجل بايع عن غير مشاورة فلا يؤُمَّر واحد منهما تَغِرَّةَ أنْ يقتلا . وقال المازني سألت الأَخفش عن حرف رواه سيبويه عن الخليل في باب من الابتداء يضمر فيه ما بني على الابتداء وهو قولهم ما أغفله عنك شيئاً أي دع الشك فقال الاخفش أنا منذ خلقت أسأل عن هذا . وقال المازني سألت الأَصمعي وأبا زيد وأبا مالك عنـه فقالوا ما ندري ما هو . والعرب تقول حور في محارة وجَرْيُ المَذْكيات غِلاب . وعيل ما هو عائله . وإنه لشراب بأنقع . وعاط بغير أنواط . وإلادَهْ فلادَهْ . والنفاض يقطر الجلب . وبه داء ظبي . وأراك بشر ما أحار بشر . وأفلت فلان بجريعة الذقن . وغبار ذيل المرأة يورث السل . وهو كبارح الاروى . وعبد وخلي في يديه وخلا في يديه . ورمّدت المعزى فرَنّقْ ورنق . وأفواهها مجاسُّها ونجارها نارها في أشباه لهذا كثيرة لولا العلماء المنقبون في البلاد المنقرون عن الخبء الناظرون للخلوف الطالبون أعقاب الأَحاديث ولسان الصدق في الباقين لطال في الباقين ان يطلع على خفياتها ويظهر مستورها . قال أبو محمد وحدثني أبو حاتم عن الاصمعي انه

قال سألت عيسى بن عمر عن قول أمية بن أبي الصلت

وَالارضَ نَوَّخَهَا الإِلَهُ طَرُوقَةً   لِلْمَاءِ حَتَّى كُلُّ زَنْدٍ مُسْفَدُ

فقال لا أعرفه وقد سألت عنه ولم أجد من يعرفه فهذا الأَصمعي وعيسى ومن سأله عيسى من أهل اللغة لم يعرفوا هذا البيت وفسره من هو دونهم فقال معناه ان الله جل وعز جعل الارض كالأَنثى وجعل الماء كالذكر الأَرض فاذا مطرت أنبتت ثم قال وهكذا كل شيء حتى الزنود فإِن أعلى الزندين ذكر والأَسفل أنثى والنار لهما كالولد ومسفد منكح تقول سفد الذكر الأَنثى والله أسفده كما تقول نكح والله أنكحه : ومثل هذا قول ذي الرمة

وَسِقْطٍ كَعَيْنِ الدِّيكِ عاوَرْتُ صُحْبَتِي   أَبَاهَا وَهَيَّأْنَا لِمَوْقِعِهَا وَكْرَا

مُشَهَّرَةٍ لَا تُمْكِنُ الْفَحْلَ أُمُّهَا   إِذَا هِيَ لَمْ تُمْسَكْ بِأَطْرَافِهَا قَسْرَا

أراد بالسقط النار وأراد بالاب الزند الأَعلى وبالأُم الزند الأَسفل قال أبو حاتم عن الأَصمعي أيضاً عن عيسى أنه قال ما أدري ما معني قول أُمية بن أبي الصلت ولا رأيت أحداً يحسنه

عَسَلٌ مَا وَمِثْلُهُ عُشَرٌ   مَا عَايِلٌ مَا وَعَالَتِ الْبَيْقُورَا

هكذا رواه عسل ما وإِنما هو سلع ما : ومعنى البيت أنهم كانوا يستمطرون بالسلع والعشر وهما ضربان من الشجر فيعقدونهما بأذناب البقر ويضرمون فيهما النار . وقوله عالت البيقورا يعني سنة الجدب أثقلت البقر بما حملت من هذا الشجر والنار فيها والعائل الفقير . والدليل على أن الرواية سلع مّا

قول الآخر

أجاعِلٌ أنتَ بَيْقُوراً مُسَلَّعَةً ذَرِيعَةً لَكَ بين اللهِ وَالْمَطَرِ

قال أبو محمد وحدثني أبو حاتم عن الاصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال في بيت أمرىء القيس

نَطْعُنُهُمْ سُلْكَى وَمَخْلُوجَةً لَفْتَكَ لَامَيْنِ عَلَى نَابِلِ

ذهب من يحسن هذا الكلام وقال مثل ذلك في بيت الحارث بن حلزة

زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعَيْرَ مَوَالٍ لَنَا وَأَنَا الْوَلَاءُ

وفسره الأصمعي فقال أراد نطعنهم طعنة سلكى أي مستوية ومخلوجة عادلة ذات اليمين وذات الشمال تكر سهمين على صاحب سهام قد دفعهما اليك لتنظر اليهما وإذا أنت ألقيتهما اليه لم يقعا جميعاً مستويين على جهة واحدة ولكن أحدهما يعوج ويستوي الآخر فشبه جهتي الطعنتين بجهتي هذين السهمين . وقال الزيادي كان زيد بن كثوة العنبري يقول الناس يغلطون في لفظ هذا البيت ومعناه وإنما هو كر كلامين على نابل أي نطعن طعنتين متواليتين لا نفصل بينهما كما تقول للرامى ارم ارم فهذان كلامان لا فصل بينهما شبه بهما الطعنتين في موالاته بينهما وكان يستحسن هذا المعنى . وأما العير فقد اختلفوا فيه فكان بعضهم يجعله الوتد سماه عيراً لنتوه مثل عير نصل السهم وهو الناتىء وسطه يريد كل من ضرب خباء من أهل العمد فضرب له وتداً ألزمونا ذنبه . وقال بعضهم هو كليب وابل : والعير سيد القوم سمي بذلك لان العير أكبر الوحش ولذلك قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم لأبي سفين كل الصيد في جوف الفرا . وقال آخر العير جبل بالمدينة ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم ما بين عير الى ثور يريد كل من ضرب الى ذلك الموضع أو بلغه . وقال آخر هو الحمار نفسه يريدون أنهم يضيفون الينا ذنوب كل من ساق حماراً ومعنى هذا كله أنهم يلزموننا ذنوب الناس جميعاً ويجعلوننا أولياءهم : وقال الأصمعي لا أدري ما معنى قول رؤبة * يَغْمِسْنَ مَنْ غَمَسْنَهُ في الأَهْيَغِ * ثم قال بعد يوم أن ثم ماء . وقال ابن الأعرابي يقال فلان منغمس في الاهيغين يراد الأكل كأنه حامل جنب أخضعا ولا أدري ما معنى قول رؤبة في صفة الثور * كأنَّهُ حَامِلُ جَنْبٍ أَخْضَعَا * وقال ابن الأعرابي أراد كأنه ضرب بالسيف ضربة فتعلقت جنبه فهو حاملها وذلك لميله من نفسه على أحد جانبيه والخضع الميل ومثل هذا كثير وفي ما ذكرنا منه ما أقنع ودل على ما أردناه إن شاء الله . قال أبو محمد ولسنا ممن يزعم أن المتشابه في القرآن لا يعلمه الراسخون في علمه وهذا غلط من متأوليه على اللغة والمعنى ولم ينزل الله شيئاً من القرآن إلاَّ لينفع به عباده ويدل به على معنى أراده فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره للزمنا للطاعن مقال وتعلق علينا بعلة وهل يجوز لأحد أن يقول بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف المتشابه واذا جاز أن يعرفه مع قول الله جل وعز لا يعلمه إلا الله جاز أن يعرفه الربانيون من صحابته رضي الله عنهم فقد علم علياً رضي الله عنه التفسير ودعا لابن عباس رضي الله عنه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم علمه

التأويل وفقهه في الدين . وروى عبد الرزاق عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس انه قال كل القرآن أعلم إلا أربعاً غسلين وحناناً والأَواه والرقيم وهذا كان من قول ابن عباس في وقت ثم علم ذلك بعد قال أَبو محمد حدثني محمد بن عبد العزيز عن موسى بن مسعود عن شبل عن مجاهد رحمة الله عليهم قال يعلمونه ويقولون آمنا به ولو لم يكن للراسخين في العلم حظ في المتشابه إلاَّ أَن يقولوا آمنا به كل من عند ربنا لم يكن للراسخين فضل على المتعلمين بل على جهلة المسلمين لانهم جميعاً يقولون آمنا به كل من عند ربنا . وبعد فإنا لم نر المفسرين توقفوا عن شيء من القرآن فقالوا هذا متشابه لا يعلمه إلاَّ الله بل أمرُّوه كله على التفسير حتى فسروا الحروف المقطعة في أوائل السور مثل حم وطه وقد تقدم ذكر هذا أَول سورة البقرة على حسب ما أَورده أَبو محمد هنالك ﴿قال أَبو محمد﴾ فان قال قائل كيف يجوز في اللغة أَن يعلمه الراسخون . والله تعالى يقول (لَا يَعْلَمُهُ إِلاَّ اللهُ والرَّاسِخُونَ في الْعِلْمِ يقولونَ آمَنَّا بِهِ) وأَنت إذا أَشركت الراسخين في العلم انقطعوا عن يقولون وليست هاهنا واونسق توجب للراسخين فعلين وهذا مذهب كثير من النحويين في هذه الآية ومن جهته غلط قوم من المتأولين قلنا له إن يقولون هاهنا في معنى الحال كأنه قال والراسخون في العلم قائلين آمنا به ومثله في الكلام لا يأتيك إلا عبد الله وزيد يقول أَنا مسرور بزيارتك يريد لا يأتيك إلا عبد الله وزيد قائلا أَنا مسرور بزيارتك ومثله لابن مفرغ الحميري يرثي رجلا في

قصيدة أولها

أَصَرَمْتَ حَبْلَكَ مِنْ أَمَامَهْ مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ بِرَامَهْ
فقال الرِّيحُ تَبْكِي شَجْوَها وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ مِنْ غَمَامَهْ

أراد البرق لامعاً في غمامة تبكي شجوه أيضاً ولولم يكن البرق يشرك الريح في البكاء لم يكن لذكره البرق ولمعه معنى وأصل التشابه أن يشبه اللفظ اللفظ في الظاهر والمعنيان مختلفان قال الله عز وجل في وصف ثمر الجنة ـ وأتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً ـ أي متفق المناظر مختلف الطعوم وقال ـ تشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ـ أي أشبه بعضها بعضاً في الكفر والقسوة ومنه يقال أشبه عليّ الأمر إذا أشبه غيره فلم يكد يفرق بينهما وشبهت عليّ أي ألبست الحق بالباطل ومنه قيل لأصحاب المخاريق أصحاب الشبه لأنهم يشبهون الحق بالباطل ثم قد يقال لما غمض ودق متشابه وان لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره ألا ترى أنه قيل للحروف المقطعة في أوائل السور متشابه وليس الشك فيها والوقوف عندها لمشاكلتها غيرها والتباسها بها ومثل المتشابه المشكل سمي بذلك لانه أشكل أي دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله ثم قد يقال لما غمض وان لم يكن غموضه من هذه الجهة مشكل

﴿ تم الباب والحمد لله ﴾ ورجع القول الى ذكر الغريب ﴿ غ ﴾

(في قلوبهمْ زَيْغٌ) أي جور يقال قد زغت عن الحق ومنه قوله عز وجل ـ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ ـ أي عدلت ومالت (ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ) أي الكفر (أولو الالباب) أولو العقول وواحد أولي ذو وذي وواحد أولات ذات

(كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ) كعادتهم يريد كفر اليهود ككفر من قبلهم يقال هذا دأبه ودينه وديدنه (القناطيرِ) واحدها قنطار وقد اختلف في تفسيرها فقال بعضهم القنطار ثمانية آلاف مثقال ذهب بلسان أهل افريقية. وقال بعضهم ألف مثقال. وقال بعضهم ملء مَسك ثور ذهباً. وقال بعضهم مائتا رطل (المقنطرة) المكملة وهذا كما يقال بدرة مبدَّرة وألف مؤلفة. وقال الفراء المقنطرة المضعفة كأن القناطير ثلاثة والمقنطرة تسعة (والخيلِ المسوَّمةِ) الراعية يقال سامت الخيل فهي سائمة إذا رعت وأسمتها فهي مسامة وسومتها فهي مسومة إذا رعيتها. والمسومة في غير هذا الموضع المعلمة في الحرب بالسومة بالسيما أي بالعلامة. وقال مجاهد رحمه الله الخيل المسومة المطهمة الحسان وأحسبه أراد بها ذات سيما كما يقال رجل له سيما وله شارة حسنة (والأنعام) الابل والبقر والغنم واحدها نعم وهو جمع لا واحد له من لفظه (والحرث) الزرع (واللهُ عندهُ حسنُ المآبِ) أي المرجع من آب يؤوب إذا رجع (والمنفقين) المتصدقين (قائماً بالقِسْطِ) أي بالعدل (وغرّهُمْ في دينِهِمْ ما كانوا يَفْتَرُونَ) أي يختلقون من الكذب (تولِجُ الليْلَ في النهارِ) تدخل هذا في هذا فما زاد في واحد نقص من الآخر مثله (وتُخْرِجُ الحيَّ مِنَ الميّتِ) يعني الحيوان من النطفة والبيضة (وتخرج الميت من الحي) يعني النطفة والبيضة وهما ميتان من الحي (وتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) أي بغير تقدير وتضييق (محرَّراً) أي عتيقاً لله عز وجل يقال عتقت الغلام وحررته سواء وأرادت إني نَذَرْتُ أَنْ أَجْعَلَ ما في بَطْني مُحَرَّراً من التعبيد للدنيا ليعبدك ويلزم بيتك

(فلما وَضَعَتْهَا قالَتْ رَبِّ إِنِي وَضَعْتُهَا أُنْثَى) وكان النذر في مثل هذا يقع للذكور (ثُمَّ قالَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كالأُنْثَى) وقول الله عز وجل (والله أَعْلَمُ بما وَضَعَتْ) في قراءة من قرأ بجزم التاء وفتح العين مقدم ومعناه التأخير كأنه إِني وضعتها أُنثى وليس الذكر كالانثى والله أَعلم بما وضعت ومن قرأه والله اعلم بما وضعت بضم التاء فهو كلام متصل من كلام مريم عليها السلام (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) ضمها اليه والمحراب الغرفة وكذلك روي في التفسير أَن زكريا كان يصعد اليها بسلم والمحراب أَيضاً المسجد قال ـ يعملونَ له ما يشاءُ مِنْ محاريبَ ـ أَي مساجد . وقال أَبو عبيدة المحراب أَشرف المجالس ومقدمها وكذلك من المسجد (أَنَّى لَكِ هذا) من أَين لك هذا (وَسَيِّداً وحصوراً) قال ابن عيينة السيد الحليم . وقال هو وغيره الحصور الذي لا يأْتي النساء وهو فعول بمعنى مفعول كأنه محصور عنهن أي مأخوذ محبوس عنهن وأَصل الحصر الحبس ومثله مما جاء فيه فعول بمعنى مفعول ركوب بمعنى مركوب وحلوب بمعنى محلوب وهيوب بمعنى مهيب (إِجعلْ لي آيةً) أَي علامة (قالَ آيَتُكَ الاّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلاّ رَمْزاً) أَي وحياً وإِيماء باللسان أَو باليد أَو بالحاجب يقال رمز فلان إِليَّ إِذا أَشار اليَّ بواحدة من هذه . ومنه قيل للفاجرة رامزة ورمازة لأَنها ترمز وتومىء ولا تعلن . قال قتادة إِنما كان عقوبة عوقب بها اذ سأَل الآية بعد مشافهة الملائكة إِياه بما بشر به (يُلْقُونَ أَقلامَهُمْ) أَي قداحهم يقترعون على مريم أَيهم يكفلها ويحضنها والأَقلام واحدها قلم وهي الأَزلام واحدها زَلم وزُلم (وَجِيهاً في الدنيا

والآخِرَةِ) أي ذا جاه فيهما . والأكمه الذي يولد أعمى والجمع كمه (قال مَنَ انصاري الى الله) أي من أعواني مع الله (متوفيك) قابضك من الارض من غير موت (فقل تعالوا) قال ابو محمد في المشكل . تعالى تفاعل من علوت ويقال للاثنين من الرجال والنساء تعاليا وللنساء تعالين . قال الفراء أصلها عال البناء وهو من العلو ثم ان العرب لكثرة استعمالهم اياها صارت عندهم بمنزلة هلم حتى استجازوا ان يقولوا للرجل وهو فوق شرف تعال أي اهبط وانما أصلها الصعود ولا يجوز أن ينهى بها ولكن اذا قال تعال قلت قد تعاليت والى أي شيء أتعالى ﴿غ﴾ (وأَنْفُسَنَا وأَنْفُسَكُمْ) أي اخواننا واخوانكم (ثُمَّ نَبْتَهِلْ) أي نتداعى باللعن يقال عليه بهلة الله وبهلته أي لعنته (إلى كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) أي نصف يقال دعك الى السواء أي الى النصفة وسواء كل شيء وسطه ومنه يقال للنصفة سواء لانها عدل وأعدل الامور أوسطها اذا كانت مفتوحة ممدودة بمعنى عدل ووسط وكذلك ـ الى سواء الجحيم ـ أي وسط الجحيم وقد جاءت بمعنى وسط مكسورة الاول مقصورة قال الله عز وجل ـ وَلا أَنْتَ مَكَاناً سُوًى ـ أي وسط (آمِنُوا بالذي أُنْزِلَ على الذينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ) أي صدر النهار . قال قتادة قال بعضهم لبعض اعطوهم الرضى لدينهم أول النهار واكفروا بالعشي فانه أجدر ان يصدقكم الناس ويظنوا انكم قد رأيتم منهم ماتكرهون فرجعتم وأجدر ان يرجعوا عن دينهم ﴿ش﴾ (إِلاَّ مَادُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً) أي مواظباً بالاقتضاء والمطالبة وأصلها ان المطالب بالشيء يقوم فيه ويتصرف فالتارك له يقعد عنه

قال الاعشي

يَقُومُ على الرَّغْمِ في قَوْمِهِ فَيَعْفُو إِذَا شَاء أَوْ يَنْتَقِمْ

أي يطالب بالذحل ولا يقعد عنه كما قال عز من قائل (لَيْسوا سَوَاءً مِنَ أهلِ الكتابِ أُمةٌ قائمةٌ) أي عاملة غير تاركة وقال ـ أفمنْ هُوَ قائمٌ على كُلِّ نَفسٍ بما كَسَبَتْ ـ وهو من الاستعارة ﴿غ﴾ (ذَلِكَ بأنَّهُمْ قالوا لَيسَ علينا في الأُمِّيِّينَ سَبيلٌ) كان أهل الكتاب إذا بايعهم المسلمون قال بعضهم لبعض ليس للأُميين يعنون العرب حرمة أهل ديننا وأموالهم تحل لنا إذ كانوا مخالفين لنا واستجازوا الذهاب بحقوقهم (يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بالكتابِ) أي يقلبون ألسنتهم بالتحريف والزيادة (الربانيُّون) واحدهم رباني وهم العلماء المعلمون (وأَخَذْتُمْ على ذلكم إِصْري) أي عهدي وأصل الاصر الثقل فسمي العهد إِصراً لانه منع من الامر الذي أخذ له وثقل (كُلُّ الطعامِ كانَ حِلاًّ لبَني اسْرَائيلَ) أي حلالا ومثله الحرم والحرام واللبس واللباس (إِلاّ ما حَرَّمَ إِسرائيلُ على نَفْسِهِ من قَبْلِ انْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ) قالوا لحوم الابل (بكة) ومكة شيء واحد والباء تبدل من الميم يقال سمد رأسه وسبده إذا استأصله وشر لازم ولازب . ويقال بكة موضع المسجد ومكة البلد حوله . قال مجاهد في قوله (ومَنْ كَفَرَ فَانَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العالَمِينَ) قال من إنْ حج لم يره براً وان قعد لم ير قعوده مأثماً (ومنْ يَعْتَصِمْ باللهِ) أي يمتنع بالله . وأصل العصمة المنع ومنه يقال عصمه الطعام أي منعه من الجوع (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جميعاً) أي بدينه وعهده ﴿ش﴾ قال أبو محمد

والسبب والحبل أصلهما واحد فالسبب أصله الحبل ثم قيل لكل شيء وصلت به الى موضع أو حاجة تريدها تقول فلان سببي اليك أي وصلتي وما بيني وبينك سبب أي آصرة رحم أو عاطفة مودة ومنه قيل للطريق سبب لأنك بسلوكه تصل الى الموضع الذي تريده قال الله جل وعز ـ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ـ أي طريقاً وأسباب السماء أبوابها لان الوصول الى السماء يكون بدخولها قال الله جل ثناؤه حكاية عن فرعون ـ لَعَلِّيَ أَبْلُغُ الأسبابَ. أَسْبَابَ السَّمَوات ـ : وقال زهيرٌ

ومَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنِيَّةِ يَلْقَهَا ولَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

يعني أبوابها فكذلك الحبل فقوله عز وجل واعتصموا بحبل الله جميعاً أي بعهده أو بكتابه يريد تمسكوا به لأنه وصلة لكم اليه والى جنته . ويقال للأمان أيضاً حبل لأن الخائف مستتر مقموع والآمن منبسط بالأمان متصرف فهو له حبل الى كل موضع يريده قال الله عز وجل ـ ضُرِبَتْ عليهِمُ الذلةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إلا بحبلٍ مِنَ اللهِ وحبلٍ مِنَ الناسِ ـ أي بأمان قال الأعشى

واذا تُجَوزها حِبَالَ قَبِيلَةٍ أَخَذَتَ منَ الأُخْرَى إِلَيْكَ حِبَالَهَا

فأما قول امريء القيس

إِنِّي بِحَبْلِكَ وَاصِلٌ حَبْلِي وبِرِيشِ نَبْلِكَ رَائش نَبْلِي

فإنه يريد إني واصل بيني وبينك : قال أبو محمد وأصل هذا في البعيرين يكونان مفترقين وعلى كل واحد منهما حبل فيقرنان بأن يوصل حبل هذا

بحبل هذا: وقال أبو زبيد وذكر رجلا سرى ليلة كلها

نَاطَ أَمْرَ الضِّعَافِ فاجْتَعَلَ اللَّيْـــلَ كَحَبْلِ العَارِيَّةِ المَمْدُودِ

يريد أن مسيره اتصل الليل كله فكان كالليل الممدود ﴿غ﴾ (على شفا حُفْرَةٍ) أي حرف حفرة ومنه يقال أشفى على كذا اذا أشرف عليه (ولتكُنْ منكُمْ أمةٌ يَدْعونَ إلى الخيرِ) أي معلمون للخير (إلاَّ أَذًى) أي لم تبلغ عداوتهم لكم أن يضروكم في أنفسكم انما هو أذى بالقول (أُمَّةٌ قَائمةٌ) أي مواظبة على أمر الله (رِيحٌ فِيها صِرٌّ) أي برد ونهي عن الجراد ما قتله الصر أي البرد (أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ) أي زرعهم (لا تتخِذُوا بطانةً مِنْ دونِكُمْ) أي دخلاء من دون المسلمين يريد من غيرهم (لا يألونَكُمْ خَبَالاً) أي شراً (وَدُّوا ما عَنِتُّمْ) أي ودوا عنتكم وهو ما نزل بكم من مكروه وضر (ها أَنتمُ أولاءِ تُحِبُّونَهمْ) أي ها أنتم يا هؤلاء تحبونهم (إنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنة تَسُؤْهُمْ) أي نعمة (وإنْ تُصِبْكُمْ سيئةٌ) أي مصيبة ومكروه (لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شيئاً) أي مكرهم (تُبَوِّئُ المُؤمنينَ مقاعِدَ لِلقِتالِ) العسكر والمصاف (أن تفشلا) ان تجبنا (مسوِّمين) أي معلمين. لامة الحرب وهو من السيما مأخوذ يقال كانت سيما الملائكة عليهم السلام يوم بدر عمائمَ صفراً وكان حمزة رضي الله عنه مسوماً يوم أحد بريشة. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه رضي الله عنهم يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت. ومن قرأ مسومين بالفتح أراد به فعل ذلك بهم والسومة العلامة التي يعلم بها الفارس نفسه. قال أبو زيد سوَّم الرجل خيله

اذا أرسلها في الغارة وسوموا خيلهم اذا شنوا الغارة وقد يجوز أن يكون النصب من هذا أيضاً (لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الذينَ كَفَرُوا) بأسر وقتل. (أَوْ يَكْبِتَهُمْ) قال أبو عبيدة الكبت الإهلاك وقال غيره هو أن يغيظهم ويحزنهم وكذلك قال في قوله عز وجل في سورة المجادلة ـ كُبِتوا كما كُبِتَ الذينَ مِنْ قبلهِمْ ـ ويقال كبت الله عدوك وهو بما قال أبو عبيدة أشبه واعتبارها قوله ـ وَرَدَّ الله الذين كَفَرُوا بغَيْظِهِمْ ـ ولان أهل النظر يرون التاء فيها منقلبة عن دال كأن الاصل فيه يكبدهم أي يصيبهم في أكبادهم بالحزن والغيظ وشدة العداوة ومنه يقال قد أحرق الحزن كبده وأحرقت العداوة كبده والعرب تقول للعدو أسود الكبد قال الأعشى

فَمَا أَجْشَمْتُ مِنْ إِتيَانِ قَوْمٍ هُمُ الاعْدَاءِ والاكبَادُ سودُ

كأن الاكباد لما احترقت بشدة العداوة اسودت ومنه يقال للعدو كاشح لانه يخبأ العداوة في كشحه والكشح الخاصرة وانما يريدون الكبد لان الكبد هنالك قال الشاعر * وَأَضْمَرَ اضْغَاناً عليَّ كُشُوحُهَا * والتاء والدال متقاربتا المخرجين والعرب تدغم احداهما في الاخرى وتبدل احداهما من الاخرى كقولهم هرت الثوب وهرده اذا خرقه كذلك كبت الله العدو وكبده ومثله كثير (لاَ تأْكُلُوا الرِّبا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً) يريد ما تضاعف منه شيئاً بعد شيء وقال ابن عيينة هو أن تقول أنظرني وأزيدك وقوله (وجنةٍ عَرضُها السموات والارضُ) يريد سعتها ولم يرد العرض الذى هو خلاف الطول * والعرب تقول بلاد عريضة اى واسعة وفي الارض العريضة

مذهب : وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد للمنهزمين لقد ذهبتم فيها عريضة . وقال الشاعر

كأَنَّ بِلَادَ اللهِ وَهِيَ عَرِيضَةٌ عَلَى الْخَائِفِ المطلُوبِ كِفَّةُ حَابِل

وأصل هذا من العرض الذي هو خلاف الطول واذا عرض الشيء اتسع واذا لم يعرض ضاق ودق (الكاظمين الغيظ) الصابرين وأصل الكظم والصبر حبس الغيظ (ولم يصبروا على ما فعلوا) أي لم يقيموا عليه (ولا تهنوا) أي لا تضعفوا وهو من الوهن . ﴿ش﴾ (وأَنتمْ الأَعلَوْنَ إِنْ كُنتُمْ مؤمنين أي بمعنى إِذ كنتم . ﴿ قال أبو محمد ﴾ انْ الخفيفة قد تكون بمعنى ما كقوله تعالى ـ إِنِ الكافرونَ الاَّ في غرورٍ .وَإِنْ كانتْ إِلاَّ صيحةً وَاحدَةً . وَإِنْ كلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَليْهَا حَافِظٌ ـ وقال المفسرون وتكون بمعنى لقد قال الله عز وجل ـ إِنْ كانَ وَعدُ رَبِّنَا لمفعولاً . وتالله إِنْ كنا لفي ضلال مبين . وتاللهِ انْ كدتَ لتردين . وَكفى باللهِ شهيداً بيننا وبينكم إِنْ كنا عنْ عبادتكمْ لغافلين ـ وقالوا أيضاً تكون بمعنى اذ كقوله تعالى ـ وَلاَ تَهِنُوا ولاَ تحزنُوا وَأَنتمْ الأعلونَ إِن كنتمْ مؤمنين ـ وقوله ـ والله ورسوله أحقُّ أن يُرْضوه ان كانوا مؤمنين ـ وقوله ـ وذرُوا ما بقيَ من الربا إِنْ كنتم مؤمنين ـ وهي عند أهل اللغة إِن بعينها لا يجعلونها في هذه المواضع بمعنى اذ ويذهبون الى أنه أراد من كان مؤمناً لم يهن ولم يدع الى السلم ومن كان مؤمناً لم يخش الا الله ومن كان مؤمناً ترك الربا . ﴿ غ ﴾: القَرح الجراح والقُرح أيضاً وقد قريء بهما جميعاً ويقال القرح بالضم ألم الجراح (وليمحِّص

اللهُ الذين امنوا) أي يختبرهم والتمحيص الاختبار والابتلاء قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهم

رَأَيْتُ فُضَيْلاً كانَ شيئاً ملفَّفاً فَكَشَّفَهُ التمحيصُ حتّى بَدَاليَا

يريد الاختبار (ولقدْ كنتم تمنَّون الموتَ من قبلِ أن تلقوْه فقدرأيتموه وأنتم تنظرون)أي رأيتم أسبابه يعني السيف والسلاح (انقلبتم على أَعقابكم) أي كفرتم ويقال لمن كان على شيء ثم رجع عنه قد انقلب على عقبيه وأصل هذا أرجعه القهقرى ومنه يقال للكافر بعد إسلامه مرتد . (وكأَيّنٍ مِن نبيّ) أي كم من نبي ﴿ ش ﴾ قال أبو محمد وفيها لغتان كأَيّنٍ بالهمز وتشديد الياء وكائن على تقدير قائل وبائع وقد قريء بهما جميعاً في القرآن والاكثر والافصح تخفيفها . قال الشاعر

وكأين أرَينا الموْتَ مِنْ ذي تحيَّةٍ إِذَا مَا أَزْدَرَانَا أَوْ أَصَرَّ لمأْثَمِ

وقال آخر

وكأَيْن ترَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ في التَكلُّمِ

(قُتل معه رِبيُّون) أي جماعات كثيرة ويقال الألوف:واصله من الربة وهي الجماعة يقال للجمع ربي كأنه نسب الى الربة ثم يجمع ربي بالواو والنون فيقال ربيون(فما وَهنوا)أي ضعفوا(وما استكانوا)ماخشعوا وذلواومنه أخذ المستكين (مالم ينزّل به سلطانا)أي حجة ﴿ ش ﴾ قال أبو محمد السلطان الملك والقهر والسلطان الحجة كما قال ـ وما كان لي عليكم من سلطان ـ أي من حجة وقال ـ أوْ ليأْتِيني بِسُلطَانٍ مبينٍ ـ أي بحجة واضحة وهو كثير ﴿ غ ﴾

(إِذ تَحَسُّونهم بإِذنه) أي تستأصلونهم بالقتل ويقال سنة حسوس اذا أتت على كل شيء وجراد محسوس اذا قتله البرد (اذ تُصْعِدون) أي تبعدون في الهزيمة يقال أصعد في الارض اذا أمعن في الذهاب وصعد الجبل والسطح (فأثابكم غَمًّا بغم) أي جازاكم غمًّا مع غم أو غمًّا متصلا بغم: الغم الاول الجراح والقتل والغم الثاني أنهم سمعوا بان النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل فأنساهم الغم الاول (الأَمَنة) الأمن يقال وقعت الأمنة في الارض ومنه يقال أعطيته أمانًا أي عهداً يأمن به و(استزلَّهمُ الشيطانُ) طلب زللهم كما يقال استعجلت فلانا أي طلبت عجلته واستعملته أى طلبت عمله ﴿ ش ﴾ (ضَربوا في الارض) تباعدوا ومنه قوله ـ وآخرُونَ يضربونَ في الارضِ ـ أي يسيرونَ: والضرب التبيين والوصف قال الله عز وجل ـ ضَرَبَ اللهُ مثلاً ـ وقال ـ فلا تضربوا لله الأَمثال ـ أي لا تصفوه بصفات غيره ولا تشبهوه به: والضرب الضرب باليد كقوله ـ فضربَ الرقاب ـ وقوله ـ فاهجرُوهُنّ في المضاجع واضربوهُنَّ ـ ﴿ غ ﴾ (غزًّا) جمع غاز مثل صائم وصوم ونائم ونوم وعاف وعفًى (فبما رحمةٍ من الله لنتَ لهم) أي فبرحمة وما زائدة (لانفضُّوا من حولك) أى تفرقوا (وما كان لنبيٍّ ان يغُل) أي يخون في الغنائم (ومن يغلُلْ يأت بما غلّ يوم القيامة) معناه قول النبي صلى الله عليه وسلم لأَعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة على عنقه شاة لها ثُغاء لأَعرفن كذا لأعرفن كذا فيقول يا محمد فأقول لا أملك لك شيئاً قد بلغت يريد أن من غل شاة أو بقرة أو ثوباً أو غير ذلك انه يأتي يوم القيامة يحمله. ومن قرأ يُغَل أراد يخان ويجوز أن يكون يلفى خائناً يقال

أغللت فلانا أي وجدته غالا كما يقال احمقته وجدته أحمق وأحمدته وجدته محموداً. وقال الفراء من قرأه اراد يخون ولو كان المراد هذا المعنى لقيل يغلّل كما يقال يفسق ويخون ويفجر (همْ درجاتٌ عندَ الله) اي هم طبقات في الفضل فبعضهم أرفع من بعض (أوَ لمَّا أصابتْكم مصيبةٌ قد اصبتم مِثليها) يقول أصابتكم مصيبة يوم أحد قد أصبتم مثليها من المشركين يوم بدر ﴿ ش ﴾ قال أبو محمد لما تكون بمعنى لم في قوله ـ لما يذوقوا عذاب ـ أي بل لم يذوقوا عذابي وتكون بمعنى الا قال الله سبحانه ـ إِنْ كلُّ نفسٍ لمَا عليهَا حافظٌ ـ أي الا عليها حافظ وهي لغة هذيل مع ان الخفيفة التي تكون بمعنى ما ومن قرأ ـ إِنْ كلُّ ذلك لمَا متاعُ الحياةِ الدنيا ـ بالتخفيف ـ وان كل نفسٍ لما عليها حافظ ـ جعل ما صلة واراد وان كل ذلك لمتاع وان كل نفس لعليها حافظ فاذا رأيت للما جواباً فهي لأمر يقع لوقوع غيره بمعنى حين كقوله فلما آسفونا انتقمنا منهم أي حين انتقمنا منهم ـ ولمَّا جاءَ أمرُ رَبكَ ـ أي حين جاء ﴿ غ ﴾ (قلْ هو مِن عندِ أنفسكم) أي لمخالفتكم وذنوبكم يريد مخالفة الرماة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد (قاتِلوا في سبيلِ الله أو ادفعوا) يقول كثروا فانكم اذا كثرتم دفعتم القوم بكثرتكم (فادرؤا عنْ أنفسِكم الموتَ) أي ادفعوه يقال درأ الله عنك الشر أي دفعه (انما ذلكُمْ الشيطانُ يخوِّفُ أولياءَه) أي يخوفكم بأوليائه كما قال ـ لينذرَ بأساً شديداً ـ أي لينذركم ببأس شديد (نملي لهم) أي نطيل لهم يعني الامهال والنظرة ومنه قوله ـ واهجرني مليا ـ (حتى يميز الخبيثَ من الطيبِ) يقول حتى يخلص المؤمنين من الكفار (سيطوّقون

مابخلوا به يومَ القيامة) أي تلزم أعناقهم إثمه ويقال هي الزكاة يأتي مانعها يوم القيامة قد طُوِّقَ شجاعاً أقرع يقول انا الزكاة (لقدْ سمعَ اللهُ قولَ الذين قالوا إنَّ الله فقيرٌ ونحنُ أغنياء) قال رجل من اليهود حين نزلت ـ من ذا الذي يقرضُ الله قرضاً حسناً ـ انما يستقرض الفقير من الغني والله الغني فكيف يستقرض فأنزل الله هذه الآية (زُحزِحَ عن النار) أي نحي عنها وأُبعد. (لَتُبْلَوُن في أموالِكمْ وأَنفسكمْ) أي لتختبرن ويقال لتصابن والمعنيان متقاربان. (بمفازةٍ من العذاب) أي بمنجاة ومنه يقال فاز فلان أي نجا. (لا يغرّنكَ تقلُّبُ الذينَ كفرُوا في البلادِ) أي تصرفهم في التجارات وإصابتهم الاموال (ولبئس المهادُ) أي بئس الفراش والقرار (نُزُلاً من عند الله) أي ثواباً ورزقاً. (يا أيُّها الَّذِينَ آمنُوا اصْبرُوا وَصَابرُوا) أي صابروا عدوكم (ورابطوا) في سبيل الله. وأصل المرابطة والرباط أن يربط هؤلاء خيولهم ويربط هؤلاء خيولهم في الثغر كل يعد لصاحبه فسمي المقام بالثغر رباطاً (لعلكم تفلحون) أي تفوزون ببقاء الأَبد: واصل الفلاح البقاء وقد تقدم.

﴿ غريب سورة النساء ومشكلها ﴾

قوله (يا أيُّها الناسُ اتقُوا ربَّكُمْ) الناس جماعة انسان وهو من الانس قال أبو محمد في صدر الغريب انما سمي الإنس انساً لظهورهم وادراك البصر اياهم وهو من قولك آنستُ ناراً أي أبصرت: وقد روي عن ابن عباس انه قال انما سمي انساناً لانه عهد اليه فنسي وذهب الى هذا قوم من أهل اللغة واحتجوا في ذلك بتصغير انسان وذلك ان العرب تصغره أُنيسيان

بزيادة يآء كأن مكبره إنسيان إفعلان من النسيان ثم تحذف الياء من مكبره استخفافا لكثرة مايجري على اللسان فاذا صغر رجعت اليآء ورد الى أصله لايكثر مصغراً كما يكثر مكبراً. والبصريون يجعلونه فعلاناً على التفسير الاول وقالوا زيدت اليآء في تصغيره كما زيد في تصغير ليلة فقالوا لييلية وفي تصغير رجل فقالوا رويجل فسمي الانس انساً لظهورهم وسمي الجن جناً لاستتارهم عن أبصار الانس. وقال بعض المفسرين في قوله عز وجل ـ الا ابْليسَ كَانَ مِنَ الجنِ ففَسقَ عن أمرِ ـ أي من الملائكة فسماهم جناً لاجتنانهم واستتارهم عن الأبصار قال الاعشى يذكر سليمان النبي صلى الله عليه وسلم

وَسخَّرَ مِنْ جنّ الملآئك تِسعَةً قِياماً لديه يَعمَلُونَ بلاَ أَجْرِ

ويقال للدرع جنة لأنها سترت. ويقال أجنه الليل أي جعله من سواده في جنة وَجَنَّ عليه الليل فالجن من الاجتنان وهو الاستتار والانس والجن هما الثقلان سميا بذلك لانهما ثقل الارض اذ كانت تحملهم أحياءً وأمواتاً ومنه قوله عز وجل ـ أَخرَجَتِ الارْضُ أَثقَالها ـ أي موتاها. وقالت الخنساء ترثي أخاها

أَبعْدَ ابنِ عَمْرٍومن آل الشريدِ حَلَّتْ به الارْضُ أَثقَالها

قالوا حلت من التحلية لا من الحل الذي هو ضد العقد أي حلت به موتاها كأنها زانتهم بهِ (هُوَ الذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) ﴿ش﴾ قال أبو محمد الخلق التخرص بالكذب قال ـ إِنْ هذَا الاَّ خلقُ الاوَّلينَ ـ أي خرصهم وكذبهم وقال ـ وتخلُقُونَ إفكاً ـ أي تخرصون كذباً وقال

ـ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلَاقٌ ـ أي افتعال للكذب والعرب تقول للخرافات أحاديث الخلق . والخلق التصوير قال ـ وإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطين كَهَيْئَةِ الطيرِ ـ أي تصور والخلق الانشاء والابتداء كما قال (هُوَ الذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفسٍ وَاحِدَةٍ) وأصل الخلق التقدير ومنه قيل خالقة الأديم قال زهير

ولأنتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْـ ـضُ القَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي

والخلق الدين كقوله ـ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ـ أي دينه ويقال تبديل خلقه الخصاء وبتك الآذان وأشباه ذلك ﴿ غ ﴾ (وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً) أي بشراً كثيراً في الارض (تَسَاءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ) مَنْ نَصَبَ أراد اتقوا الله الذي تساءلون به واتقوا الارحام ان تقطعوها ومن خفض أراد الذي تساءلون به وبالارحام وهو قول الرجل نشدتك بالله وبالرحم ﴿ ش ﴾ (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ الى أَمْوَالِكُمْ) أي مع أموالكم مضمومة اليها (وَمثلُهُ من أَنْصَارِي إِلى اللهِ) أي مع الله والعرب تقول الذودُ الى الذودِ إِبل أي مع الذود قال ابن مفرغ الحميري

شَدَخَتْ غُرَّةُ السَّوَابِقِ فيهمْ في وُجُوهٍ الى اللِّمَامِ الجِعَادِ

وهذا من باب دخول بعض الصفات على بعض وهو في آخر كتاب المشكل :
قال أبو محمد . في مكان على قال الله عز وجل ـ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ في جُذُوعِ النَّخْلِ ـ أي على جذوع النخل قال الشاعر

هُمُ صَلَبُوا الْعَبْدِيَّ في جِذْعِ نَخْلَةٍ فلاَ عَطَسَتْ شَيْبَانُ إِلاَّ بِأَجْدَعَا

وقال عنترة

بطَلٌ كَأَن ثِيَابَهُ في سَرْحَةٍ يُحْذَا نعال السِّبْت لَيْسَ بتوْأَم

أي على سرحة من طوله. الباء مكان عن قال الله عز وجل ـ فاسأَلْ بِهِ خَبِيراً ـ أي فسأَلْ عنه خبيراً قال علقمة بن عبدة

فإِنْ تَسْأَلُوني بالنِّسَاءِ فانني بَصِيرٌ بأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيب

أي عن النساء وقال ابن احمر

تُسَائِلُ بابن أَحْمَرَ مَنْ رَآهُ أَعَارَتْ عَيْنُهُ أَمْ لَمْ تَعَارَا

عن مكان الباء قال ـ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ـ أي بالهوى والعرب تقول رميت عن القوس أي رميت بالقوس. اللام مكان على قال ـ ولاَ تجْهَرُوا لَهُ بالقَوْلِ ـ أي لا تجهروا عليه بالقول والعرب تقول سقط فلان لفيه أي على فيه وقال الشاعر

[وهتكت بالرمح الطويل إِهابه] فهوى صَرِيعاً لليَدَيْنِ وَللفَم

وقال آخر

[كأَن مخوَّاها على ثفناتها] مُعَرَّسُ خَمْسٍ وقَّعت لِلْجَنَاجِن

أي وقعت على الجناجن. اللام مكان الى قوله ـ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ـ أي أوحى اليها ـ وَالْحَمْدُ للهِ الذي هَدَانَا لِهذَا ـ أي هدانا الى هذا يدلك على ذلك قوله في موضع آخر ـ وَأَوْحَى رَبُّكَ الى النَّحْلِ ـ وقوله ـ وهديناهُمْ الى صِرَاطٍ مستقيم ـ. على مكان من قوله ـ اذا اكتالُوا على النّاس يَسْتَوْفون ـ أي من الناس وقال صخر الغي ابو المسلم

متى ما تُنْكروها تعرفوها على أَقْطَارِهَا عَلَقٌ نفيثُ

أي من أقطارها ومنه قوله جل وعز ـ مِنَ الذين اسْتَحَقّ عليهمُ الأَوْلَيانِ ـ أي استحق منهم. من مكان الباء قال الله جل وعلا ـ يَحْفَظونَهُ مِنْ امرِ الله ـ أي بامر الله وقال ـ يُلقي الرّوحَ مِنْ امرِهِ ـ أي بامره وقال ـ باذْنِ رَبهم مِنْ كل أَمرٍ سَلامٌ ـ أي بكل أمر. الباء مكان من تقول العرب شربت بماء كذا أي من ماء كذا قال الله عز وجل ـ يشربُ بها عِبادُ الله ـ يكون معنى يشربها عباد الله ويشرب منها . قال الهذلي وذكر السحاب

شَرِبْنَ بماءِ البَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ ... متى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نئيجُ

أي شربن من ماء البحر وقال عنترة

شَرِبَتْ بماءِ الدُّحْرُضَيْنِ فَاصبَحَتْ ... زَوْرَآءَ تَنْفِرُ مِنْ حياض الدَّيْلَمِ

وقال الله عز وجل ـ فان لم يستجيبُوا لكمْ فاعلموا أنما أُنزلَ بعلمِ الله ـ أي من علم الله . من مكان على قال الله تعالى ـ وَنصَرْناهُ مِنَ القوْمِ ـ أي على القوم من مكان في قال الله سبحانه ـ ارُوني ماذا خلقوا منَ الأَرْضِ ـ أي في الارض . عَنْ مكان منْ قال الله عز وجل ـ وَهُوَ الذي يَقبلُ التوبةَ عنْ عباده ـ أي من عباده وتقول أخذت هذا عنك ومنك وكذلك . من تكون مكان عن تقول تلقيت من فلان أي عن فلان وحدثني فلان من فلان أي عنه . على بمعنى عند قال ولهم علي ذنب أي عندي . الباء مكان اللام قال الله عز وجلّ ـ ماخلقناهُمَا إلاّ بالحقِ ـ أي الا للحق . ﴿غ﴾ الحوب الاثم وفيه ثلاث لغات حُوبٌ وحَوْبٌ وحابٌ (وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى) أي ان علمتم انكم لاتعدلوا بين اليتامى يقال أقسط الرجل اذا عدل

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم المقسطون في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة ويقال قسط الرجل اذا جار بغير ألف ومنه قول الله عز وجل ـ واما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ـ ذلك أدنى أن لا تعولوا ـ أي ذلك أقرب الى أن لا تجوروا وتميلوا يقال علت علي أي جرت علي ومنه العول في الفريضة

﴿ ش ﴾ وقد عارض قوم هذه الآية فقالوا أين قوله عز وجل ـ فإن خفتم الا تقسطوا في اليتامى ـ من قوله ـ فانكحُوا مَاطَابَ لكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ـ

﴿ قال أبو محمد ﴾ فلا شيء اشبه بشيء ولا أليق به من الكلامين بالآخر والمعنى ان الله عز وجل قصر الرجال على أربع نسوة وحرم عليهم أن ينكحوا أكثر منهن لانه لو أباح لهم أن ينكحوا من الحرائر ما أباح من ملك اليمين لم يستطيعوا العدل عليهن بالتسوية بينهن فقال لنا فكما تخافون الا تعدلوا بين اليتامى اذا كلفتموهم فخافوا أيضاً الا تعدلوا بين النساء اذا نكحتموهن فانكحوا اثنتين وثلاثاً وأربعاً ولا تتجاوزوا ذلك فتعجزوا عن العدل . ثم قال تبارك وتعالى وَإِنْ خِفْتُمْ أَيضاً أَلاَّ تَعْدِلُوا بينَ الثَّلاَث وَالأَرْبع فانكحُوا وَاحِدَةً وَاقتصرُوا علَى ماملكَتْ ايمَانكُمْ مِنَ الإِماءِ (ذَلكَ أَدنى أَلاَّ تَعولُوا) أي أن لا تجوروا ولا تميلوا . وقال ابن عباس رضي الله عنه قصر الرجال على أربع من أجل اليتامى يقول لما كان النساء مكفولات بمنزلة اليتامى وكان العدل على اليتامى شديداً على كافلهم قصر الرجال على ما بين الواحدة الى الاربع من النساء ولم يطلق لهم مافوق ذلك لان لا يميلوا وهذا مسطر في باب التناقض والاختلاف (رجع القول الى الغريب)

(وَآتُوا النساءَ صَدُقَاتِهِنَّ) يعني المهور واحدها صَدُقة وفيها لغة أخرى صُدْقة. (نحلة) أي عن طيب نفس يقول ذلك لأولياء النساء لا لأزواجهن لان الاولياء في الجاهلية كانوا لا يعطون النساء من مهورهن شيئاً وكانوا يقولون لمن ولدت له بنت هنيئاً لك النافجة يريدون انه يأخذ مهرها إبلا فيضمها الي إبله فتنفجها أى تعظمها وتكثرها ولذلك قالت احدى النساء لزوجها * لا يأخذُ الحُلوانَ مِن بَنَاتيا * تقول لا يفعل مايفعل غيره والحلوان هاهنا المهور: وأصل النحلة العطية يقال نحلته نحلة حسنة أى اعطيته عطية حسنة والنحلة لا تكون الا عن طيب نفس وأما ما أخذ بالحكم فلا يقال له نحلة (ولا تؤتوا السفهاءَ أموالَكُمْ) أي لا تعطوا الجهلاء أموالكم: والسفه الجهل وأراد هاهنا النساء والصبيان. (قياماً) وقواماً بمنزلة واحدة يقال هذا قوام أمرك وقيامه أي مايقوم به أمرك (وَابتلُوا اليتامَى) أى اختبروهم (حَتّى إِذَا بَلَغُوا النكاحَ) أي بلغوا أن ينكحوا النساء. (فإِنْ آنَسْتمْ مِنهم رُشْداً) أي علمتم وتبينتم وأصل آنست أبصرت. (وَ بِدَاراً أَنْ يكبرُوا) أي يأكلوها مبادرة ان يكبروا فيأخذوها منكم. (وَمَنْ كانَ غنيّاً فلْيَسْتَعْفِفْ) أي ليترك ولا يأكل. (وَمَنْ كانَ فقيراً فليأكلْ بالمعرُوفِ) أى يقتصد ولا يسرف. قال قتادة كانوا لا يورثون النساء فنزلت (وللنساء نصيبٌ مما ترك الوالدان والاقربون. نصيباً مفروضاً) مُوجباً فرضهُ الله أى أوجبه. (قولاً سديداً) من السداد وهو الصواب والقصد في القول ﴿ش﴾ (واذا حضر القسمة أولوا القربي واليتامي والمساكينُ فارزقوهم منهُ وقولوا لهم قولاً معروفا) فيه قولان أحدهما أن تكون القسمة

الوصية يقول اذا حضرها أقرباؤكم الذين لايرثونكم والمساكين واليتامى فاجعلوا لهم منها حظاً وألينوا لهم القول وليخش من حضر الوصية وهو لو كان له ولدٌ صغارٌ خافَ عليهم بعده الضيعة وأن يأمر الموصي الوصي بالاسراف في مايعطيه اليتامى والمساكين وأقاربه الذين لايرثون فيكون قد أمره بما لم يكن يفعله لو كانهو الميت وهومعنى قول سعيد بن جبير وقتادة. قال قتادة اذا حضرت وصية ميت فأمره بما كنت آمراً به نفسك وخف على ورثته ما كنت خائفا على ضعفة لو تركتهم بعدك . والقول الآخر أن تكون القسمة قسمة ورثة الميراث بعد وفاة الرجل . يقول فاذا حضرها الاقارب واليتامى والمساكين فارضخوا لهم وعدوهم ثم استأنف معنى آخر فقال وليخش من لو ترك ولداً صغاراً خاف عليهم الضيعة فليحسن الى من كفله من اليتامى وليفعل بهم مايحب أن يفعل بولده من بعده وهو معنى قول ابن عباس في رواية أبي صالح عنه. ﴿غ﴾ (يورَثُ كلالةً) هو الرجل يموت ولا ولد له ولا والد .قال ابو عبيدة هو مصدر من تكللت النسب احاط به والأب والابن طرفان للرجل اذا مات ولم يخلفهما فقد مات عن ذهاب طرفيه فسمي ذهاب الطرفين كلالة وكأنها اسم للمصيبة في تكلل النسب مأخوذ منه واطراف الرجل نسبه من أبيه وأمه وانشد ابو زيد

فَكَيْفَ بِأَطْرَافِي إِذَا مَاشَتَمْتَنِي وَمَا بَعْدَ شَتْمِ الْوَالِدَيْنِ صُلُوحُ

أى صلاح (واللاَّتي يأتينَ الفاحشةَ) يعني النساء . وقوله (فأمسكوهنّ في البيوت)منسوخة نسختها (واللذان يأتيانهامنكم)يعني الفاحشة (فآذوهما) أي

عيرُوهما ويقال حدوهما . فإن تابا وأصلحا (فأعرضوا عنهما) أي لا تعيروهما بالفاحشة ونحو هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم في الأَمة فليجلدها الحد ولا يعيرها (ولا يَحلُّ لكمُ أَنْ ترِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً) قالوا كان الرجل اذا مات عن امرأته وله ولد من غيرها القى ثوبه عليها فيتزوجها بغير مهر الا المهر الاول ثم أضربها ليرثها ماورثت وكذلك كان يفعل الوارث أيضاً غير الولد والكره هاهنا بمعنى الاكراه والقهر فأما الكره بالضم فبمعنى المشقة يقول الناس ليفعل ذلك طوعاً أو كرهاً أي طائعاً أو مكرهاً ولا يقال طوعاً أو كرهاً بالضم (وعاشِرُوهُنَّ بالمعْرُوف) أي صاحبوهن مصاحبة جميلة (بُهْتَاناً) أي ظلماً (أَفْضَى بَعْضُكُمْ إلى بَعْضٍ) يعني المجامعة (وَأَخَذْنَ مِنكُمْ مِيثَاقاً غليظاً) أي وثيقة. قال ابن عباس هو تزوجهن على امساك بمعروف أو تسريح باحسان (وَسَآءَ سَبيلاً) أي قبح هذا الفعل فعلا وطريقاً كما تقول ساء هذا مذهبا وهو منصوب على التمييز كما قال (وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفيقاً . وَحَلاَئلُ أَبْنَائكُمْ) أَزواجُ البنينَ (وَالمُحْصَنَاتُ مِنَ النّسَاءِ إلاَّ مَامَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) أي حرم عليكم ذوات الازواج الا ماملكت أيمانكم من السبايا اللواتي لهن أزواج في بلادهن (كتابَ اللهِ عَلَيْكُمْ) أي فرضه الله عليكم (مُحْصنينَ) متزوّجينَ (غيرَ مُسَافحينَ) غير زناة والسفاح الزنا وأصله من سفحت القربة اذا صببتها فسمي الزنا سفاحا كما يسمى مذاء لأنه يسافح يصب النطفة وتصب المرأة النطفة ويأتي بالمذي وتأتي المرأة بالمذي . وكان الرجل في الجاهلية اذا أراد أن يفجر بالمرأة قال لها سافحيني

أو ماذيني ويكون أيضاً من صب الماء عليه وعليها (وَآتُوهنَّ أجُورَهُنَّ) أي أعطوهن مهورهن (وَمن لَمْ يَستَطِعْ منكُمْ طولاً) أي لم يجد سعة (أن يَنكحَ المُحْصَنات) يعني الحرائر (فَممّا مَلَكَتْ ايمَانُكُمْ مِن فَتَيَاتِكُمْ المُؤمِنَاتِ) يعني الإماء (وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصَنَاتٍ) عفائف (غيرَ مُسَافحَاتٍ) أي غير زوان (ولا متخذات أخدان) أي متخذات أصدقاء (فإذَا أحصنَّ) أي تزوجن وقال بعضهم أسلمن ﴿ ش ﴾ : قال أبو محمد الاحصان هو أن يحمى الشيء ويمنع منه والمحصنات من النساء ذوات الأزواج لأن الأزواج أحصنوهن ومنعوا منهن قال الله عز وجل ـ وَالمُحْصَنَاتُ مِنَ النّسَاءِ الاَّ مامَلَكتْ أَيمَانُكُمْ ـ والمحصنات الحرائر وان لم يكن مزوجات لأن الحرة تحصَن وتُحصِن وليست كالأمة وقال تعالى ـ وَمَن لَمْ يَستَطِعْ مِنكُمْ طولاً أَنْ يَنكحَ المُحْصنَات المُؤمنَات ـ وقال (فَعلَيهِنَّ نِصفُ مَاعلى المُحْصَنَاتِ مِنَ العَذَاب) يعني الحرائر والمحصنات العفائف قال عز وجل ـ والذين يَرْمُونَ المُحْصنَات ـ أي العفائف ومنه قوله تبارك وتعالى ـ وَمَريَمَ ابنتَ عِمْرَانَ التي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ـ أي عفت ﴿ غ ﴾ (فإنْ أَتينَ بفَاحشَةٍ) أي زنين (فَعلَيهِنَّ نصفُ ماعلى المُحْصَنَاتِ مِنَ العَذَابِ) يعني البكرة الحرة سماها محصنة وان لم تزوج لأن الإحصان يكون لها بها اذا كانت حرة ولا يكون بالأمة احصان (من العذاب) يعني الحد وهو مائة جلدة ونصفها خمسون على الأمة (ذَلكَ لِمنْ خَشيَ العَنَتَ مِنكُمْ) أي خشي على نفسه الفجور وأصل العنت الضرر والفساد (وَلا

تأ كُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) أي لا يأكل بعضهم مال بعض بلا استحقاق (الا أن تكون تجارة عن تراض منكم) مثل المصارفة والمقارضة في التجارة فيأكل بعضكم مال بعض عن تراض. (وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) أي لا يقتل بعضكم بعضاً على ما بينته . (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَاتُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) يعني الصغار من الذنوب . (وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً) أي شريفاً. (وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَافَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ) أي لا يتمنى النساء مافضل به الرجال عليهن. (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا) أي نصيب من الثواب في ماعملوا من أعمال البر (وللنساء) أيضاً منهن (نصيب) في ماعملن من البر. (وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ) أي أولياء ورثة عصبة. (والذين عاقدت أيمانكم) يريد الذين حالفتم فآتوهم نصيبهم من النظر والرفد والمعونة. (حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ) أي لغيب أزواجهن بما حفظ الله أي يحفظ الله إياهن . (واللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ) يعني بغض المرأة للزوج يقال نشزت المرأة على زوجها ونشصت اذا فركته ولم تطمئن عنده وأصل النشوز الارتفاع . (فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً) أي لا تتجنوا عليهن الذنوب. (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا) أي التباعد بينهما. (والجار ذي القربى) القرابة. (والجار الجنب) الغريب والجنابة البعد يقال رجل جنب غريب (والصاحب بالجنب) الرفيق في السفر. (وابن السبيل) الضيف. (والمختال) ذو الخيلاء والكبر. (مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) أي زنة ذرة يقال هذا على مثقال هذا أي على وزن هذا والذرة وجمعها ذَرٌّ هي أصغر النمل (يُضَاعِفْهَا) أي يؤت مثلها مرات ولو قال يضعفها لكان مرة

واحدة. (لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ) أي يكونون تراباً فيستوون معها حتى يصيروا وهي شيئاً واحداً (ولا يكتمون الله حديثاً) هذا حين سئلوا فانكروا فشهدت عليهم الجوارح (وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ) يعني المساجد لاتقربوها وانتم جنب الا مجتازين غير مقيمين ولا مطمئنين (الغائط) الحدث وأصل الغائط المطمئن من الارض وكانوا اذا أرادوا قضاء الحاجة أتوا غائطاً من الارض ففعلوا ذلك فيه فكنى عن الحدث بالغائط. (فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّباً) أي تعمدوا تراباً نظيفاً. (نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ) أي حظاً (واسمع غيرمُسْمَعٍ) ﴿ش﴾ (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ) الى قوله (الا قليلا). ﴿قال أبو محمد﴾ هؤلاء قوم من اليهود كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اذا حدثهم وأمرهم سمعنا ويقولون في انفسهم عصينا وان أرادوا أن يكلموه بشيء قالوا اسمع يا أبا القاسم ويقولون في أنفسهم لاسمعت ويقولون له راعنا يوهمونه في ظاهره اللفظ انهم يريدون انتظرنا حتى نكلمك بما نريد كما تقول العرب أرعنى سمعك وراعنى انتظرني وترفق بي وتلوم علي هذا ونحوه وانما يريدون سب النبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة في لغتهم فقال الله سبحانه ـ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا قَوْمٌ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ـ ويقولون كذا (وَيَقُولُونَ رَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ) أي قلباً للكلام وطعناً في الدين (ولو أنهم قالوا سمعنا واطعنا) مكان قولهم سمعنا وعصينا وقالوا اسمع مكان لاسمعت وانظرنا مكان قولهم راعنا (لكان خيراً لهم وأقوم) والعرب تقول نظرتك وانتظرتك بمعنى قال الحطيئة

وقَدْ نَظَرْتُكمُ إِينَاءَ عَاشِيَةٍ　　لِلْخمْسِ طَالَ بِهَا حَوْزِي وَتَنْسَاسِي

﴿ غ ﴾ (نَطْمِسَ وُجُوهاً) أي نمحو مافيها من عينين وأنف وحاجب وفم (فنردَّها على أدبارِها) أي نصيرها كأقفائهم. (الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ) كل معبود من حجر أو صورة أو شيطان فهو جبتٌ وطاغوتٌ ويقال انهما في هذه السورة رجلان من اليهود يقال لأَحدهما حييٌّ بن أخطب وللثاني كعب بن الاشرف وإِيمانهم بهما تصديقهم لهما وطاعتهم إِياهما . وقوله (فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ) يعني الشيطان. (النقير) النقطة التي في ظهر النواة يقول لا يعطون الناس شيئاً: (والفتيل) القشرة في ظهر النواة ويقال هو مافتلته باصبعيك من وسخ اليد وعرقها. وهذا من الاستعارة لانه لم يرد انهم يظلمون ذلك بعينه وانما أراد أنهم اذا حوسبوا لم يظلموا في الحساب شيئاً ولا مقدار هذين التافهين الحقيرين وهذا كقولهم مارزأته زبالا والزبال ماتحمله النملة بفيها يريدون مارزأته شيئاً　قال النابغة

يَجْمَعُ الجَيْشَ ذا الأُلُوفِ وَيَغْزُو　　ثُمَّ لاَ يَرْزَأُ الْعَدُوَّ فَتِيلاَ

وكذلك قوله ـ مايملكونَ منْ قطميرٍ ـ القطمير القوفة التي فيها النواة يريد مايملكون شيئاً. ونذكر بعض الاستعارة هاهنا ثم نأتي على آخره في غير هذا الموضع كما شرطنا إِن شاء الله تعالى ﴿ قال أبو محمد ﴾ العرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة اذا كان المسمى بها بسبب من الآخر أو مجاوراً له أو مشاكلا فيقولون للنبات نوءٌ لأنه عن النوء يكون عندهم قال رؤبة　وَجَفَّ أنوَاءُ السَّحَابِ الْمُرْتَزَق * أي جف البقل : ويقولون

للمطر سماءلأنه من السماء ينزل يقال مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم قال الشاعر

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ   رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غِضَابَا

ويقولون ضحكت الارض اذا أنبتت لأنها تبدي عن حسن النبات وتنفتق عن الزهر كما يفتر الضاحك عن الثغر ولذلك قيل لطلع النخل اذا انفتق عنهُ كافوره الضحكُ لأنه يبدو منه للناظر كبياض الثغر ويقال ضحكت الطلعة ويقال النور. والنور يضاحك الشمس لأنه يدور معها قال الاعشى يذكر روضة

يُضَاحِكُ الشَّمْسَ مِنْهَا كَوْكَبٌ شَرِقٌ   مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلِ

وقال آخر * وَضَحِكَ الْمُزْنُ بِهَا ثُمَّ بَكَى * يُرِيدُ بِضَحِكِهِ الْعَفَاقَةَ بِالْبَرْقِ وَبكائه المطر: ويقولون لقيت من فلان عرق القربة أي شدة ومشقة وأصل هذا ان حامل القربة يتعب في ثقلها حتى يعرق جبينه فاستعير عرقها في موضع الشدة: ويقول الناس لقيت من فلان عرق الجبين: ﴿قال أبو محمد﴾ فمن الاستعارة في كتاب الله تعالى عز وجل - يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ - أي عن شدة من الأمر كذلك قال قتادة وقال ابراهيم عن أمر عظيم وأصل هذا أن الرجل اذا وقع في امر عظيم يحتاج الى معاناته والجد فيه شمر عن ساقه فاستعيرت الساق في موضع الشدة وقال دريد بن الصمت يرثي أخاه

كَمِيشُ الْإِزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ   صَبُورٌ عَلَى الْجُلَّاءِ طَلَّاعُ أَنْجُدِ

وقال الهذلي

وَكُنْتُ إِذَا جَارِي دَعَا لِمَضُوفَةٍ   أُشَمِّرُ حَتَّى يَنْصُفَ السَّاقَ مِئْزَرِي

ومثل الفتيل والنقير والقطمير قوله جل ثناؤه ـ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ـ أي قصدنا لاعمالهم وعمدنا لها. والأصل ان من أراد القدوم الى موضع عمد له وقصده والهباء المنثور مارأيته في شعاع الشمس الداخلة من كوة البيت والهباء المنبث ماسطع من سنابك الخيل وانما أراد أنا بطلناه كما أن هذا مبطل لايلمس ولا ينتفع به . ومنه قوله ـ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ـ يريد أنها لاتعي خيراً لأن المكان اذا كان فارغاً فهو هواء حتى يشغله الشيء . ومنه قوله وكذلك ـ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ـ يريد اطلعنا عليهم وأصل هذا أن من عثر بشيء وهو غافل نظر اليه حتى يعرفه فاستعير العثار مكان التبين والظهور: ومنه يقول الناس ماعثرت على فلان بسوء قط يريد ماظهرنا على ذلك منه. ومنه قوله عز وجل ـ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ـ أراد الخيل فسماها خيراً لما فيها من المنافع . قال الراجز بعد أن عدد فضائلها واسباب الانتفاع بها

* فَالْخَيْلُ وَالْخَيْرَاتُ فِي قَرْنَيْنِ * وقال طفيل

وَلِلْخَيْلِ أَيَّامٌ فَمَنْ يَصْطَبِرْ لَهَا ... وَيَعْرِفْ لَهَا أَيَّامَهَا الْخَيْرَ تُعْقِبِ

ومنه قوله جل ثناؤه ـ أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ـ أي كان كافراً فهديناه وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا أي أماناً يهتدي به سبل الخير والنجاة ـ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ـ أي في الكفر فاستعار الموت مكان الكفر والحياة مكان الهداية والنور مكان الايمان : ومنه قوله ـ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ـ أي اثمك. وأصل الوزر ماحمله الانسان على ظهره

قال الله تعالى ـ ولكنا حُمِّلنا أوزارًا من زينة القوم ـ أي أحمالا من حليهم فشبه الاثم بالحمل فجعل مكانه وقال في موضع آخر ـ وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم ـ أراد آثامهم ومن ذلك قوله ـ ولكن لا تواعدوهن سرًّا ـ أي نكاحا لأن النكاح يكون سراً ولا يظهر فاستعير له السر قال رؤبة

* فعف عن أسرارها بعد العسف * العسف الملازمة وقوله ـ نساؤكم حرث لكم ـ أي مزدرع لكم كما تزدرع الارض : ومنه قوله ـ ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ـ أي تترخصوا وأصل هذا أن يصرف المرء بصره عن الشيء ويغمضه فسمي الترخص إغماضاً ومنه يقول الناس للبائع أغمض وغمض يريدون لا تستقص وكن كأنك لم تبصره . ومنه قوله عزوجل ـ هن لباس لكم وانتم لباس لهن ـ لأن المرأة والرجل يتجردان ويجتمعان في ثوب واحد ويتضامان فيكون كل واحد منهما للآخر بمنزلة اللباس قال الجعدي

اذا ما الضجيع ثنى جيدها تداعت فكانت فكانت لباسا

ومنه قوله عز وجل ـ وثيابك فطهر ـ أي طهر نفسك من الذنوب فكنى عن الجسم بالثياب لأنها تشتمل عليه قالت ليلى وذكرت إبلا

رموها بأثواب خفاف فما ترى لها شبهاً إلا النعام المنفرا

أي ركبوها فرموها بأنفسهم وقال آخر

لاهم إن عامر بن جهم أوذم حجا في ثياب دسم

أي وهو متدنس بالذنوب . والعرب تقول قوم لطاف الازر أي خماص

البطون لأن الازر تلاث عليها . ويقولون فداءٌ لك إزاري أي بدني فتضع الازار موضع النفس قال الشاعر

الاَ أَبلغ أَبا حفصٍ رَسُولاً فِدًى لَكَ مِن أَخِي ثِقَةٍ إِزَارِي

ويكون الازار في هذا البيت الاهل وقال الهذلي

تبرَّأُ مِنْ دَمِ القَتِيلِ وَبَزِّهِ وَقَدْ علقَتْ دَمَّ القَتيلِ إِزَارُها

أراد نفسها: ويقولون للعفاف إزارٌ لأن العفيف كأنه استتر لما عف وقال عدي بن زيد

اجل ان اللهَ فَضّلكم فوقَ ما أَحْكى بصُلْبٍ وَإِزَارْ

والصلب الحسب وسماه صلباً لأن الحسب العشيرة والخلق من ماء الصلب والازار العفاف ويجوز أن يكون سمى العشيرة صلبا لأنهم ظهر للرجل والصلب في الظهر وقال ـ هو الذي جعلَ لكمُ الليلَ لباساً ـ أي ستراً وحجابا لأبصاركم ثم قال ذو الرمة

ودُوِّيَةٍ مِثْلِ السَّمَاءِ اعتَسَفتها وقد صَبغ الحصا ليل بسَوَادِ

لما ألبسه الليل سواده وظلمته كان كأنه صبغه وقد يكنون باللباس والثوب عما ستر ووقى لأن اللباس والثوب ساتران واقيان قال الشاعر

كثوبِ ابن بيضٍ قلّهمْ بهِ فَسَدَّ على السالكينَ السبيلاَ

قال الاصمعي ابن بيض رجل نحر بعيراً له وعلى ثنية فسدها فلم يقدر أحد أن يجوز فضرب به المثل فقيل سد ابن بيض الطريق وقال غير الاصمعي ابن بيض رجل كانت عليه اتاوة فهرب بها فاتبعه مطالبه فلما خشي أن

يلحقه وضع مايطالبه به على الطريق ومضى فلما اخذ المتبع له الإتاوة رجع وقال سد ابن بيض الطريق أي منعنا من اتباعه حين اعفا بما عليه فكأنه سد الطريق فكنى الشاعر عن البعير إن كان التفسير على ماذكره الاصمعي أو عن الإتاوة ان كان على ما ذكره غيره بالثوب لانهما وقيا كما يقي الثوب وكان بعض المفسرين يقول في قوله عز وجل ـ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً ـ أي سكناً وفي قوله في النساء ـ هنّ لباسٌ لكُمْ ـ أي سكن لكم وانما اعتبر ذلك من قوله ـ جعل لكم اللَّيْل لتسكُنُوا فيه ـ ومن قوله ـ جعلَ مِنْها زَوْجها لِيَسكُنَ اليهَا ـ ومنه قوله ـ فَأَمّا الّذينَ ابْيَضّتْ وُجُوهُهُمْ فَفي رَحْمَةِ اللهِ همْ فِيهَا خَالِدُونَ ـ يعني في جنة سماها رحمة لأن دخولهم إياها كان برحمته . ومثله قوله ـ فاما الذينَ آمَنُوا بالله واعتَصمُوا به فَسَيُدْخِلهُمْ في رحمةٍ منهُ وفَضْلٍ ـ وقد توضع الرحمة موضع المطر لأنه ينزل برحمته قال عز وجل ـ وهوَ الذي يُرسلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بينَ يَدَيْ رَحْمَتِه ـ يعني المطر وقال ـ لَوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خزَائنَ رَحْمَةِ رَبِّي ـ يعني مفاتح رزقه . وقال ـ مايَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاس مِنْ رَحْمَةٍ ـ أي من رزق

﴿غ﴾ (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْله) يعني بالناس النبي صلى الله عليه وسلم على ما احل الله له من النساء (فَقَدْ آتَيْنَا آلَ ابْرَاهِيمَ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ ملكا عظيماً) يعني داود عليه السلام وكان له مائة امرأة وسليمان عليه السلام وكان له تسعمائة امرأة وثلاثمائة سرية . (وأُولي الأَمْرِ منكمْ) يعني الامراء الذين كان رسول الله صلى

الله عليه وسلم يبعث بهم على الجيوش . (فردوه الى الله) بان يردوه الى كتابه العزيز (وردوه الى الرسول) بان يردوه الى سنته صلى الله عليه وسلم . (ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تأوِيلاً) أي أحسن عاقبة . (فيما شجر بينهم) أي فيما اختلفوا فيه . (ثُمَّ لاَ يَجِدُوا في انفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ) أي شكا ولا ضيقاً من قضائك وأصل الحرج الضيق . (ولو أنّا كتبنا عليهم) أي فرضنا عليهم وأوجبنا . (ثُبَاتٍ) جماعات واحدتها ثُبَةٌ يريد جماعة بعد جماعة (أَوِ انفِرُوا جَمِيعاً) أي بأجمعكم جملة واحدة . (وما لكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ في سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ) أي والمستضعفين بمكة . (والبروج) الحصون . (والمشيدة) المطولة . (وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ) أي خصب (وإن تُصِبْهُمْ سيئةٌ) أي قحط . (يقولوا هذه من عندك) أي بشؤمك . (قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ . مَا أصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ) أي من نعمة (فمن الله . وما أَصَابَكَ مِنْ سيئةٍ) أي من بلية (فمن نفسك) أي بذنوبك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره . ﴿غ﴾ (فَمَا أَرْسلناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً) أي محاسباً . (ويقولون طاعة) بحضرتك . (فاذا برزوا من عندك) أي خرجوا . (بيت طائفة منهم غير الذي تقول) أي قالوا وقدروا ليلا غير ما اعطوك نهاراً قال الشاعر

أَتَوْنِي فَلَمْ أَرْضَ مَا بَيَّتُوا وَكَانُوا أَتَوْنِي بِشَيءٍ نُكُرْ

والعرب تقول هذا أمر قدّر بليل وفرغ منه بليل ومنه قول ابن حلزة

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاء

وقال بعضهم بيت طائفة أي بدل وأنشد

بيتٌ قوْلي عِنْدَ المْليـك قَاتلك اللهُ عَبداً كَفُورَا

(أذاعوا به)أشاعوه ﴿ش﴾(لَعَلِمَهُ الَّذينَ يستَنبطونَهُ مِنهُمْ)أي يستخرجونه وفي الآية تقديم وتأخير والمعنى لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان) وقال الشاعر

فأوْرَدْتُهَا ماءً كأنَّ جِمامَـهُ مِنَ الأَجْنِ حِنّاءٌ معاً وَصَبيبُ

أراد فأوردتها ماء كأن جمامه حناء وصبيب معاً . ومن التقديم والتأخير قوله ـ الحمدُ لله الذي أَنزَلَ على عَبْدِهِ الكتَابَ ولمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً ـ أراد أنزل الكتاب قيما ولم يجعل له عوجاً . وقوله ـ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بإسْحقَ ـ أي فبشرناها باسحق فضحكت . ومنه قوله تعالى ـ فَكَذَّبُوه فعقَروهاَ ـ أي فعقروها فكذبوا بالعقر وقد يجوز أن يكون أراد فكذبوا قوله ـ إنّها ناقةُ الله فعقَرُوها ـ وقال الأعشى

لقدْ كانَ في حولٍ ثِوَاءٍ ثوَيْتهُ تَقَضّى لُبَاناتٌ وَيَسأَمُ سائمُ

أراد لقد كان في ثواء حول ثويته وقال ذو الرمة يصف الدار

فأَضْحَتْ مباديها قِفارًا رُسُومُهاَ كأَنْ لمْ سِوَى أَهلٍ منَ الوَحشِ تُؤهَل

أراد كأن لم تؤهل سوى أهل من الوحش. وكان بعض القراء يقرأ ـ وكذلك زين لكثير من المشركين قتلُ أولادهم شركائهم ـ أي قتل شركائهم أولادهم :وهو ابن عامر: ومن المقدم والمؤخر قوله تبارك اسمه ـ انما يريدُ الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون ـ قال ابن عباس في رواية الكلبي أراد فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله

ليعذبهم بها في الآخرة . ومنه قوله ـ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُسَمى ـ أي لولا كلمة وأجل مسمى لكان العذاب لزاماً .

﴿ غ ﴾ (مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا) من الثواب (وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا) أي نصيب . ومنه قوله ـ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ـ (وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً) أي مقتدراً أقات على الشيء اقتدر قال الشاعر

وذِي ضِغْنٍ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ ... وكُنْتُ عَلَى إِسَاءَتِهِ مُقِيتَا

والمقيت أيضاً الشاهد للشيء الحافظ قال الشاعر

(لَيْتَ شِعْرِي وأَشْعُرَنَّ اذا ما ... قَرَّبُوها مَنْشُورَةً ودُعِيتُ)

أَلِيَ الفَضْلُ أَمْ عَلَيَّ إِذَا حُوسِبْـ ... ـتُ إِنِّي عَلَى الحِسَابِ مُقِيتُ

(فَمَا لَكُمْ فِي المُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ) أي فرقتين مختلفتين ﴿ قال أبو محمد ﴾ في صدر الغريب والنفاق في اللغة مأخوذ من نافقاء اليربوع وهو جحر من جحرته يخرج منه اذا أخذ عليه الذي دخل فيه فيقال قد نفق ونافق شبه بفعل اليربوع لأنه يدخل من باب ويخرج من باب آخر كذلك المنافق يدخل في الاسلام باللفظ ويخرج منه بالعقد والنفاق لفظ اسلامي لم تكن العرب قبل الاسلام تعرفه . (وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا) أي نكسهم وردهم في كفرهم وهي في قراءة ابن مسعود ركسهم وهما لغتان ركست الشيء وأركسته . (إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ) أي يتصلون بقوم (بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ) أي عهد ويتصلون أي ينتسبون وقال الاعشى وذكر امرأة سبيت

إِذَا اتّصلَتْ قَالَتْ أَبكْرَ بْنَ وَائِلٍ   وَبكْرٌ سبَاهَا وَالأُنُوفُ رَوَاغِمُ

أي انتسبت. وفي الحديث من اتصل فاعضوه يريد من ادعا دعوى الجاهلية. (حَصِرَتْ صدُورُهُمْ) أي ضاقت والحصر الضيق. (لمن ألقى اليكم السَّلَمَ) أي المقادة يريد استسلموا لكم. (ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم) هؤلاء منافقون يعطون المسلمين الرضى ليأمنوهم ويعطون قومهم الرضى ليأمنوهم. (إِلا أَنْ يصّدَّقُوا) أي يتصدقوا عليهم بالدية فادغمت التاء في الصاد. (غيرِ اولى الضّرَرِ) أي الزمانة يقال ضرير بيّن الضرر. (والمراغم) (والمهَاجر) واحد يقال راغمت وهاجرت وأصله ان الرجل كان اذا أسلم خرج عن قومه مراغما مغاضبا ومهاجراً أي مقاطعاً من الهجران فقيل للمذهب مراغم وللمصير الى النبي صلى الله عليه وسلم هجرة لأنها كانت بهجرة الرجل قومه. قال الجعدي   عزيزُ المرَاغم والمذهبِ   (فاذا اطمأننتم) أي من السفر والخوف (فأَقيمُوا الصلاَةَ) أي أتموها (إِن الصّلاَةَ كانَتْ علَى المؤمنينَ كتاباً) أي فرضاً (موقوتاً) يقال وقتهم الله عليهم ووقته أي جعله للاوقات ومنه قوله ـ واذا الرُسلُ أُقّتَتْ ـ ووقتت أيضا مخففة. (ولا تَهِنُوا) لاَ تَضْعفُوا (في ابْتغَاءِ القَوْمِ) أي في طلبهم (ومن يكسِب خطيئَةً أَوْ إِثماً ثمّ يرْمِ بهِ بريئاً) أي يقذفه بما جناه بريئاً منه. (إِنْ يدْعُونَ منْ دُونه إِلاّ إِنَاثاً) يعني اللات والعزى ومناة (وإِنْ يدْعُونَ إِلاّ شيْطاناً مَرِيدًا) أي مارداً مثل قدير وقادر والمارد العاتي. ﴿من صدر الغريب﴾ ومما جاء على فعيل ومعناه فاعل مما هو من صفات الله جل وعز قدير بمعنى قادر ونصير بمعنى ناصر وسميع

بمعنى سامع وحفيظ بمعنى حافظ وبديء بمعنى بادىء الخلق وشهيد بمعنى شاهد وعليم بمعنى عالم ورقيب بمعنى راقب وكفيل بمعنى كافل وخبير بمعنى خابر وحكيم بمعنى حاكم ومجيد بمعنى ماجد وهو الشريف. ومن صفاته ماجاء على فعيل بمعنى مُفْعِلٍ نحو بصير بمعنى مبصر قال الله تعالى ـ أَسْمَعُ وَأَرَى ـ وبديع الخلق بمعنى مبدع الخلق كما قالوا سميع بمعنى مسمع . قال عمرو بن معد يكرب

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ يُؤَرِّقُنِي وَاصْحَابِي هُجُوعُ

أي المسمع ـ وعذاب اليم ـ بمعنى مؤلم وضرب وجيع بمعنى موجع . ومنه ـ وكانَ اللهُ عَلى كلِّ شيء حسيباً ـ أي كافيا من قولك أحسبني هذا الشيء أي كفاني والله حسبي وحسبك أي كافينا أي يكون حكماً بيننا كافياً كما قال الشاعر

ونُقفي وَلِيدَ الحيِّ إِنْ كانَ جائعاً ونُحْسِبُهُ إِنْ كَانَ لَيْسَ بِجَائِع

أي نعطيه مايكفيه حتى يقول حسبي . وقال بعض المفسرين في قوله تعالى ـ وكان الله على كل شيء حسيباً ـ أي محاسباً وهو على هذا التأويل في مذهب جليس وأكيل وشريب وقديم وقعيد . ومن صفاته ماجاء على فعيل لا يكون منها غير لفظها نحو قريب وجليل وحليم وعظيم وكبير وكريم وهو الصفوح عن الذنوب ووكيل وهو الكفيل قال الله عز وجل ـ واللهُ على ما نَقُولُ وَكِيلٌ . وَكَفى باللهِ وَكِيلاً . وتوَكلْ عليْه ـ أي اجعله كافلك واعتمد على كفالته . ووكيل الرجل في ماله هو الذي كفله وقام به . ومن صفاته الودود

وفيه قولان يقال هو فعول بمعنى مفعول كما يقال رجل هيوب أى مهيب يراد أنه مودود، وقد يقال هو فعول بمعنى فاعل كقولك غفور بمعنى غافر أي يود عباده الصالحين والغفور هو من قولك غفرت الشيء اذا غطيته كما يقال كفرته اذا غطيته. ويقال كذا أغفر من كذا أي أستر وغفرُ الخز والصوف ماعلا فوق الثوب منهما كالزئبر سمي غفرا لأنه ستر الثوب. ويقال لجُنَّة الرأس مغفر لأنها تستر الرأس فكأن الغفور الساتر لعبده برحمته أو الساتر لذنوبه ونحو منه قولهم تَغمدني برَحمتكَ أى ألبسني اياها. ومنه قيل غمد السيف لأنه يغمد فيه أى يدخل فيه. ومن صفاته الواسع والسعة الغنى يقال الله يُعطي من سعته. هذا الباب كله مذكور في صدر الغريب. (نصيباً مفروضاً) أي حظاً افترضته لنفسي منهم فاضلهم. (فليبتكنّ آذان الأنعام) أى يقطعونها ويشقونها يقال بتكه اذا فعل ذلك به (فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ الله) يقال دين الله ويقال يغيرن خلق الله بالخصاء وقطع الآذان وفقء العيون وأشباه ذلك (وإِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ مِنْ بَعْلِها نُشُوزاً أَو إِعْرَاضاً) أي عنها (فلاجناحَ عليهما أن يصّالحا بينهما) أي يتصالحا هذا في قسمة الايام بينها وبين أزواجه فترضى منه بأقل من حظها (وان تلوُوا) من اللي في الشهادة والميل الى أحد الخصمين. ﴿قال أبو محمد﴾ في المشكل وقرأ يحي بن وثاب وإن تلوا أو تعرضوا من الولاية ولا جهة للولاية هاهنا انما هي تلووا من ليك في الشهادة أو ميلك الى أحد الخصمين كما ذكر في الغريب. وقال في قوله (ان المنافقينَ في الدركِ الأسفلِ من النارِ ولن تجدَ لهم نصيراً

الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله) فدل على أن المنافقين شر من كفر به وأولاهم بمقته وأبعدهم من الانابة اليه لانه شرط عليهم في التوبة الاصلاح والاعتصام ولم يشترط ذلك على غيرهم ثم شرط الاخلاص لأن النفاق ذنب القلب والاخلاص توبة القلب ثم قال (فاولئكَ معَ المؤمنين) ولم يقل فاولئك هم المؤمنون ثم قال (وسوفَ يؤتي الله المؤمنينَ أجراً عظيماً) ولم يقل وسوف يؤتيهم الله بغضاً لهم وإعراضاً عنهم وحيداً بالكلام عن ذكرهم ﴿ غ ﴾) (نَستَحوِذْ عليكم) نغلب عليكُمْ . (لا يُحِبُّ الله الجهرَ بالسوءِ من القولِ الا من ظُلِمَ) يقال منع الضيافة (وأَخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) كل من ارسل اليه رسول فاستجاب له وأقر به فقد أخذ منه الميثاق (وما قتلوهُ يقيناً) يعنى العلم أي ماقتلوا العلم به يقيناً تقول قتلته يقيناً وقتلته علماً للرأي والحديث والكلام استعارة لأن قوله ـ وما قتلوهُ يقيناً ـ يعني العلم ولم يتحققوه ويستيقنوه وأصل ذلك ان القتل للشيء يكون عن قهر واستعلاء وغلبة يقول فلم يكن علمهم بقتل المسيح عليه السلام علماً أحيط به انما كان ظناً.(وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمننَّ به قبل موته) يقول ليس من أهل الكتاب في آخر الزمان عند نزوله أحد الا آمن به حتى تكون الملة واحدة ثم يموت عيسى بعد ذلك.(لا تَغلوا في دينكم)لا تفرطوا فيه يقال دين الله بين المقصر والغالي وغلا في القول اذا جاوز المقدار(لَنْ يَستَنكِفَ المَسيحُ) أي لن يأنف (يبينُ الله لَكُمْ أَنْ تَضلُّوا) أي لئلا تضلوا وهذا من باب الزيادة والتكرار ﴿ش﴾ ﴿قال أبو محمد﴾ لا تزاد في الكلام والمعنى

طرحها لايماء في الكلام أوجحد يقول الله عز وجل ـ مَامنعَكَ ألاَّ تَسجُدَ ـ أي مامنعك أن تسجد فزاد في الكلام لا لانه لم يسجد . ومنه قوله ـ ومَا يُشعِرُكم أنّهَا إِذَا جاءَت لايؤمِنُونَ ـ يريد مايشعركم أنها اذاجاءت يؤمنون فزاد لا لأنهم لايؤمنون اذا جاءت ومن قرأها بكسر إِن فانه جعل الكلام تاماً عند قوله وما يشعركم ثم يبتدىء فيقول انها اذاجاءت لايؤمنون وقوله ـ وحرامٌ على قرية أهلكناها أنهم لا يَرْجعونَ ـ يريد انهم يرجعون فزاد لا لأنهم لايرجعون وقوله ـ لئلا يعلمَ أهل الكتاب ألاَّ يقدِرُونَ على شيء مِنْ فَضلِ الله ـ يريد ليعلم أهل الكتاب أنهم لايقدرون فزاد لا في أول الكلام لأن في آخر الكلام جحداً . وكذلك قول أبي النجم

* فَمَا أَلُومُ البيضَ ألاّ تسخَرَا * أي أن تسخرا فزاد لا في آخر الكلام للجحد في أوله . وقول العجاج * في بئرِ لاحورٍ سَرَى وَمَا شَعَرْ * فزاد لا في أول الكلام لأن في آخره جحداً . وأما زيادة لا في قوله ـ لاَ اقسِمُ بيَوْم القيَامَة ولاَ اقسِمُ بالنّفسِ اللوّامة ـ وقوله ـ فَلاَ أقسِمُ بالشفَقِ واللّيْلِ وَمَا وسقَ . ولا اقسمُ بهَذَا البَلَد ـ فانها أثبتت في أول الكلام على نية الرد على المكذبين كما تقول في الكلام لا والله ما كان كما تقول ولو قلت والله ماذاك كما تقول كان جائزاً غير أن إِدخالك لا في أول الكلام أبلغ في الرد وكان بعض النحويين يجعلها صلة ولو جاز هذا لم يكن بين خبر فيه الجحدُ وخبر فيه الاقرار فرق . وألاَ تزاد في أول الكلام للتقفية كقوله ـ ألاَ حِينَ يَستَغْشُونَ ثيَابَهُمْ ـ وألاَ يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم ـ وقال الشاعر

أَلاَ أَيُّهَا ذَا الزَّاجِرِي أَحْضُرَ الوَغَى وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي

أراد ان أحضر الوغى فحذف أن . والباء تزاد في الكلام والمعنى الغاؤها كقوله ـ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ـ وقوله ـ إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ـ أي اقرأ اسم ربك ـ وَعَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ـ أي يشربها ـ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ـ أي هزي جذع النخلة وقال ـ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ـ . قال الاعشى * ضَمِنَتْ بِرِزْقِ عِيَالِنَا أَرْمَاحُنَا * وقال آخر

(إِنَّا بَنِي ضَبَّةَ أَصْحَابَ الفَلَجْ) نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُوا بِالفَرَجِ

وقال امرؤ القيس

(فلما تنازعنا الحديثَ وأسمحَتْ) هَصَرْتُ بِغُصْنٍ ذِي شَمَارِيخَ مَيَّالِ

أي غصنا وقال أمية بن أبي الصلت

إِذ يَسَفُّونَ بالدقيقِ وكانوا قبلُ لا يأكلونَ شيئاً فطيراً

وقال ـ تلقون اليهم بالمودة . ومن يرد فيه بإلحاد ـ : ومن تزاد أيضاً في الكلام كقوله ـ ماأريد منهم من رزق ـ أي ماأريد منهم رزقاً وتقول ماأتاني من أحد أي ماأتاني أحد: واللام قد تزاد كقوله ـ والذين هم لربهم يرهبون ـ : والكاف قد تزاد كقوله ـ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ـ : وعلى قد تزاد قال حميد ابن ثور

أَبَى اللهُ إِلاَّ أَنَّ سَرْحَةَ مَالِكٍ عَلَى كُلِّ أَفْنَانِ العِضَاهِ تَرُوقُ

أراد تروق كل أفنان: وعن قد تزاد قال ـ يخالفون عن أمره ـ : وإن الثقيلة قد تزاد كقوله ـ إِنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات إِنَّا لا نُضِيعُ ـ . وكذلك

قوله ـ قُلْ إِنَّ الموتَ الذى تفِرُّون مِنْهُ فانَّهُ مُلَاقيكُمْ ـ وقال الشاعر

إِنَّ الخَليفَةَ إِنَّ اللهَ سَرْبَلَهُ   سِرْبالَ مُلْكٍ بِهِ تُرْجا الخَواتِيمُ

وإِن الخفيفة قد تزاد كقول الشاعر

ما إِنْ رَأَيتُ ولاسَمِعتُ به   (كاليوم ِ هانيءَ أَينُقٍ جُرْبِ)

وقال الله عز من قائل ـ ولَقَدْ مَكَنَّاهُمْ فيما إِن مكنا كم فيه ـ وقال بعضهم أراد فيما مكنا كم فيه وان زائدة وقال بعضهم هي بمعنى مكناهم في مالم نمكنكم فيه : وإِذ قد تزاد كقوله ـ إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ .واذ قال لقمان لابنه ـ المعنى وقال وقال ابن ميادة * إِذلا يزال قائلاأ بِنْ أَبِنْ * :وماقد تزاد كقوله ـ عما قليلٍ .وَأَيّاما تدعوا ـ:وواو النسق قد تزاد حتى يكون الكلام كأنه لا جواب له كقوله ـ حَتّى اذا جاؤُها وَفُتِحَتْ أبوابها وقال لهم خزنتها ـ والمعنى قال لهم خزنتها وقوله ـ فَلَمَّا ذهبوا به وأجمعوا أنْ يجعلوه في غيابة الجُبّ وأوحينا اليه ـ وقوله ـ فلما أسلما وَتَلَّهُ للجبين وناديناهُ ـ وقوله ـ حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم منْ كل حدبٍ يَنسِلُونَ واقترب الوَعدُ الحق ـ وقوله ـ اتبعوا سبيلنا ولْنَحمل خطايا كم ـ قال امرؤ القيس

فَلمَّا أَجَزْنَا ساحَةَ الحَيِّ وَانْتَحى   بِنا بَطْنُ حِقْفٍ ذي رُكام عَقَنْقَلِ

أراد انتحى وقال آخر

حتَّى اذا قلبت بطونكُمُ   ورأيتمُ أولادكمْ شبوا

وقلبتمُ ظهرَ المِجَنِّ لنا   إِنّ اللئيم العاجز الخَبُّ

أراد قلبهم: ومما يزاد في الكلام الوجه يقول الله عز وجل ـ ولا تطرُدِ الذين يدعونَ ربهم بالغداة والعشي يُريدون وجهه ـ أي يريدونه بالدعاء ـ وكل شيءٍ هالِكٌ إلا وَجْهَهُ ـ أي إلا هو ـ وأين ماتوَلُّوا فثمَّ وجه الله ـ أي فثم الله ـ إنما نطعمكم لوجه الله ـ أي لله: والاسم يزاد قال أبو عبيدة بسم الله إنما هو الله وأنشد

إلى الحوْلِ ثم اسمُ السلام عَليْكُما ومنْ يبكِ حولاً كامِلاً فقد اعتذَرْ

أي السلام عليكما ـ وتبَارَكَ اسْمُ رَبّكَ ـ أي تبارك ربك

﴿ غريب سورة المائدة ومشكلها ﴾

(أَوْفُوا بالْعقُودِ) أي بالعهود يقال عقد لي عقداً أي جعل لي عهداً قال الحطيئة

قَوْمٌ إِذَا عقَدُوا عقْداً لجَارِهمُ شَدُّوا الْعِنَاجَ وشَدُّوا فوْقَهُ الْكَرَبَا

ويقال هن الفرائض التي ألزموها. (بهيمةُ الأَنعام) الابل والبقر والغنم والوحش كله (الاَّ مايُتْلى عليكم) مما حرم. (غيرُ محلي الصيد وأنتم حُرُمٌ) واحدهم حرام والحرام والمحرِم سواء. ثم تلا ماحرم الله عليهم وهو الذي استثناه فقال (حُرِّمَتْ عَليْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ) وكذا (شعائرَ الله) ماجعله الله علماً لطاعته واحدها شعيرة مثل الحرم: يقول لاتحلوه فتصطادوا فيه وأشباه ذلك. (ولا الهديَ) وهو ما أهدي الى البيت وهو من الشعائر. وإشعاره أن يقلد ويجلل ويطعن في سنامه ليعلم بذلك أنه هدي: وقال قائل حين شج عمر رضي الله عنه أُشْعِرَ أمير المؤمنين كأنه أعلم بعلامات من الجراح. ويرى أهل النظر ان أصله من الشعار وهو ماولي الجسد من الثياب: يقول فلا تستحلوه قبل أن يبلغ محله. (ولا الشهرَ الحرامَ) فتقاتلوا فيه (ولا القلائدَ) وكان الرجل

يقلد بعيره من لحا شجر الحرم فيأمن بذلك حيث سلك (ولا آمّين البيتَ الحرامَ) يعني العامدين الى البيت واحدهم آمٌّ (يبتغونَ فضلاً مِنْ رَبّهِمْ) أي يريدون فضلا من الله أي رزقاً بالتجارة (ورضوانا) بالحج (واذا حَلَلتُمْ) أي خرجتم من إحرامكم (فاصطادوا) على الاباحة (ولا يَجرِمَنّكُمْ) أي لا يكسبنكم يقال فلان جارم أهله أي كاسبهم وكذلك جريمهم وقال الهذلي يوصف عقاباً

جَرِيمَةُ نَاهِضٍ في رَأس نيقٍ ترى لعظَامِ مَا جَمعَتَ صليبا

والناهض فرخها يقول تكسب له وتأتيه بقوته (شَنَئان قَوْمٍ) أي بغضهم يقال شنأته أشنؤه اذا أبغضته: يقول لا يحملنكم بغض قوم نازلين بالحرم على أن تعتدوا فتستحلوا حرمة الحرم (وما أُهلَّ لغير الله به) أي ذبح لغير الله وذكر عند ذبحه غير اسم الله واستهلال الصبي منه أي صوته واهلالُ الحج مِنهُ أي التكلم بايجابه والتلبية: (والمنخنقةُ) التي تختنق: (والموقوذةُ) التي تضرب حتى توقذ أي تشرف على الموت ثم تترك تموت وتؤكل بغير ذكاة : ومنه يقال فلان وقيذٌ وقد وقذته العبادة. (والمتردّيةُ) الواقعة من جبل أو حائط أو بئر يقال فلان تردّى إذا سقط ومنه قوله تعالى ـ وَما يُغْني عنهُ مالُهُ اذَا تَرَدَّى ـ أي تردى في النار. (والنطيحةُ) التي تنطحها شاة أخرى أو بقرة فعيلة بمعنى مفعولة (وما أكل السبعُ) أي افترسه فأكل بعضه (إلاَّ ماذَكَّيْتُمْ) يقول إلا ما لحقتم من هذا كله وبه حياة فذبحتموه (وما ذبح على النصب) وهو حجرٌ أو صنم منصوب كانوا يذبحون عنده يقال له النصُبُ والنُّصْبُ

والنُّصْبُ وجمعه أنصابٌ (وأن تستقسموا بالأزلام) وهي القداح واحدها زَلَمٌ وزُلَمٌ والاستقسام بها أن تضرب ثم يعمل بما يخرج فيها من أمرٍ أو نهي وكانوا اذا أرادوا أن يستقسموا شيئاً بينهم فأحبوا أن يعرفوا قسم كل امرىءٍ تعرفوا ذلك منها فأخذ الاستقسام من القِسْم وهو النصيب كأنه طلب النصيب (والمخمصة) المجاعة والخَمص الجوع وقال الشاعر يذم رجلا

تَرَى الخَمْصَ تَعْذِيباً وَإِنْ يَلْقَ شَبْعَةً يَبِتْ قَلْبُهُ مِنْ قِلَّةِ الْهَمِّ مُبْهَمَا

(غيرَ متجانفٍ لإِثْمٍ) أي منحرف مائل الى ذلك والجَنَف الميل والإِثم أن يتعدى عند الاضطرار فيأكل فوق الشبع: (الجوارح) كلاب الصيد وأصل الاجتراح الاكتساب يقال امرأةٌ لا جارح لها أي لا كاسب لها وقال ـ مَا اجْتَرَحْتُمْ ـ أي ما اكتسبتم (مكلبين) أي أصحاب كلاب (النقيب) الكفيل على القوم والنقابة والنكابة شبيه بالعرافة (وعزرتموهم) أي عظمتموهم والتعزير التعظيم يقول نصرتموهم (وسواءَ السبيل) أي قصد الطريق ووسطه. (القاسية) والعاتية والعاسية واحدٌ وهي اليابسة (ونَسُوا حظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا به) أي تركوا نصيباً مما أُمروا به: (والخائنة) الخيانة ويجوز أن يكون صفة للخائن كما يقال رجل طاغيــة وراوية للحديث. (الارض المقدسة) دمشق وفلسطين وبعض الأُرْدُن (التي كَتَبَ اللّهُ لكم) أي جعلها لكم وأمركم أن تدخلوها (فَلاَ تَأْسَ) أي لا تحزن ويقال أَسيتُ على كذا أي حزنت فأنا أسي أسى (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ) أي خبرهما: (والقربان) ماتقرب به الى الله عز وجل من ذبح وغيره (أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وإِثْمِكَ) أي تنقلب

وتنصرف بإثمي أي بقتلي وإثمك ما أضمرت في نفسك من حسدي وعداوتي
(فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ) أي شايعته وانقادت له: يقال طاعت نفسه
بكذا أو لساني لا يطوع بكذا ولا ينقاد ومنه يقال أتيته طائعا وطوعا وكرهاً
ولو كان مِنْ اطاع لكان مطيعاً وإطاعة (فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً)
أي يعذب كما يعذب قاتل الناس جميعا (وَمَنْ أَحياها) أجر في إحيائها كما يؤجر
من أحيا الناس جميعا إحياؤه إياها أن يعفو عن الدم اذا وجب له القود ﴿ ش ﴾
(إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ) الى قوله (أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ)
﴿ قال أبو محمد ﴾ المحاربون لله ورسوله هم الخارجون على الإمام وعلى جماعة
المسلمين يخيفون السبل ويسعون في الارض بالفساد وهم ثلاثة أصناف رجل
قتل النفس ولم يأخذ مالا ورجل قتل النفس وأخذ المال وزجل أخذ المال ولم
يقتل النفس فاذا قدر الامام عليهم فان بعضهم يقول هو مخير وهذه العقوبات
بإيها شاء عاقب كل صنف منهم وكان بعضهم يجعل لكل صنف منهم حداً
لا يتجاوز الى غيره . فمن قتل النفس ولم يأخذ المال قتل لأن النفس بالنفس.
ومن قتل النفس وأخذ المال صلب الى أن يموت فكان الشهر بالصلب جزاء
له بأخذه المال وقتله جزاء له لقتله النفس ومن أصاب المال ولم يقتل النفس
فان شاء الامام قطع يده اليمنى بالسرق ورجله اليسرى جزاء بالخروج والمجاهرة
بالفساد وإن شاء نفاه من الارض: وقد اختلفوا في نفيه من الارض فقال بعضهم
هو أن يقال من لقيه فليقتله. وقال آخرون هو أن يطلب في كل أرض يكون
فيها . وقال آخرون هو أن ينفى من بلده .وقال آخرون هو أن يحبس ﴿ قال

أبو محمد ﴾ ولا أرى شيئاً من هذه التفاسير أشبه بالنفي في هذا الموضع من الحبس لأنه اذا حبس ومنع من التصرف والتقلب في البلاد فقد نفي منها كلها وألجيء الى مكان واحد. وقال بعض المسجنين

خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ مِنْ أَهْلِهَا فلسْنَا مِنَ الأَحْيَاء فيهَا وَلاَ المَوْتَا
إِذَا جَاءَنَا السَّجَّان يَوْماً بِحَاجَةٍ عَجبْنَا وَقُلْنَا جَاءَ هَذَا مِنَ الدُّنْيَا

ومن جعل النفي له أن يقول من لقيه فليقتله وأن يطلب في كل أرض يكون بها فانه يذهب فيما أحسب الى ان هذا جزاؤه قبل أن يقدر عليه لأنه لا يجوز أن يكون الامام يظفر به فيدع عقوبته ثم يقول من لقيه فليقتله أو يجده فيتركه ثم يطلبه في كل أرض واذا كان هذا كذا اختلفت العقوبات فصار بعضها لمن قدر عليه وبعضها لمن لم يقدر عليه وأشبه الاشياء كلها فيمن ظفر به أن يحبس. وأما نفيه من بلد الى غيره فليس نفي المحارب من بلد الى غيره عقوبة له اذا كان في حرابته وخروجه غائباً عن مصره بل هو إهمال وتسليط وبعث على التزيد في العيث والفساد ﴿ غ ﴾ (الْوَسِيلَة) القُرْبَةُ وَالزُّلْفَةُ يقال توسل الي بكذا أي تقرب (نَكالاً مِنَ اللهِ) أي عظة من الله بما عوقبا به لمن رآهما. ومثله ـ فجعَلْنَاها نَكالاً لِمَا بَيْنَ يدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ـ (اكَّالُونَ لِلسُّحْتْ) أي للرشا وهو من أسحته الله اذا أبطله وأهلكه. (واحْكُمْ بَيْنَهُمْ بالْقسْطِ) أي بالعدل. (والربَّانيُّون) العلماء وكذلك (الأحبار) واحدهم حَبر وحِبر (بِمَا اسْتُحْفِظُوا) أي استودعوا (فَمنْ تَصَدَّقَ به فهوَ كَفارَةٌ لهُ) أي للجارح وأجر للمجروح (وَمُهَيْمِناً عَلَيْه) أي أميناً عليه

والمهيمن من صفات الله عز وجل وهو أيضاً الشهيد ﴿ قال أبو محمد ﴾ وان يكون بمعنى أمين اعجب الي وان كان التفسيران متقاربين لأن أهل النظر من أصحاب اللغة يرون ان مهيمنا اسم مبني من أمين كما بني بطير ومبطر من بيطار. قال الطرماح * كَنَزْعِ الْبَطِيرِ الثَّقْفِ رَهصَ الْكَوَادِنِ وقال النابغة شكَّ المُبيطِرِ إِذْ يَشْفِي مِنَ الْعَضَدِ * كَأَنَّ الأَصْلَ كانَ مُؤَيْمِن ثم قلبت الهمزة هاء لقرب مخرجيهما كما تقلب في أرقت الماء فيقال هرقت وقالوا ماء مهراق والاصل ماء مؤراق وقالوا ابرية وهبرية وأيهات وهيهات واياك وهياك فابدلوا من الهمزة هاء. وأنشد الاخفش

فَهِيَّاكَ وَالأَمْرَ الَّذي إِنْ تَوَسَّعَتْ مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ مَصَادِرُه

وأمين اسم من أسماء الله عز وجل : وقال قوم من المفسرين في قول المصلي بعد فراغه من قراءة أم الكتاب آمين من ذلك كأنه قال يالله وأضمر استجب لي لانه لايجوز أن يظهر هذا في هذا الموضع من الصلاة اذا كان كلاماً ثم يحذف ياء النداء وهكذا يختار أهل اللغة في أمين أن يقصروا الالف ولا يطولوا وأنشدوا فيه قول الشاعر

تَبَاعَدَ مِنِّي فِطَحْلٌ أَنْ سَأَلْتُهُ أَمِينَ فَزَادَ اللهُ مَابَيْنَنَا بُعْدَا

ويفتحونها لانفرادها وانقطاعها عما يضمر فيها من معنى النداء حتى صارت عندهم بمعني كذلك فعل الله وقد أجازوا أيضا آمين مطولة الألف وحكوها عن قوم فصحاء وأصلها يا أمين بمعنى ياالله ثم تحذف همزة أمين استخفافا

لكثرة ماتجري هذه الكلمة على ألسنة الناس ومخرجها مخرج من يقول أزيد يريد يازيد أراكب يريد ياراكب ﴿ قال أبو محمد ﴾ وقد سمعنا من فصحاء العرب أخيبث يريدون ياخبيث وفي ذلك قول آخر يقال انما مدت الألف فيها ليطول بها الصوت كما يقال أوه مقصورة الالف ثم قالوا آوه ممدودة يريدون تطويل الصوت بالشكاية وقالوا سقط على حاق رأسه أي على حق رأسه وكذلك آمين أرادوا تطويل الصوت بالدعاء ﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا اعجب اليّ . واما قول العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه في رسول الله صلى الله عليه وسلم

حَتّى احتَوَى بَيتُكَ المُهَيمِـنُ مِنْ خِندِفَ عَلياءَ تَحتَها النُّطُقُ

فانه أراد حتى احتويت يامهيمن من خندف علياء فأقام البيت مقامه لان بيته اذا حل بهذا المكان فقد حل هو به وهو كما يقال بيته أعز بيت وانما يراد صاحبه وقال النابغة

وَحلّتْ بُيُوتي في يفاعٍ مُمَنَّعٍ تَخَالُ بهِ رَاعي الحَمُولَةِ طائِرَا

ولم يكن بيته في جبل بهذه الصفة وانما أراد اني ممنع على من أراد بي فكأني حللت في يفاع ممنع. (شرعةً)وشريعة واحد(والمنهاج)الطريق الواضح يقال نَهجْتَ لي الطَّرِيقَ أي أوضحته . (وَلَوْ شَاءَ اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمّةً وَاحِدَةً) أي لجمعكم على دين واحد . (يُسَارِعُونَ فيهِمْ) أي في رضاهم . (يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ) أي يدور علينا الدهر بمكروه يعنون الجدب فلا يبايعونا ونمتار فيهم فلا يميرونا قال الله عز وجل (فَعَسَى اللّهُ

أَنْ يأْتِيَ بالْفَتْحِ) أي بالفرج ويقال فتح مكة (أوأمرٍ من عنده) يعني الخصب . (وقالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ) أي ممسكة عن العطاء منقبضة وجعل الغل لذلك مثلا . (لأَكلوا من فوقهم ومن تحتِ أرجلهم) يقال من قطر السماء و نبات الارض . ويقال أيضاً هو كما يقال فلان هو في خير من قرنه الى قدمه . (وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ) أي يمنعك منهم وعصمة الله إنما هي منعه العبد من المعاصي ويقال طعام لا يعصم أي لا يمنع من الجوع ﴿ ش ﴾ (كلما أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أطْفَأَهَا اللهُ) استعارة يريد كلما هاجوا شراً وأجمعوا أمراً ليحاربوا النبي صلى الله عليه وسلم سكنه الله ووهن أمرهم ﴿ غ ﴾ (مَا الْمَسِيحُ ابنُ مَرْيَمَ الاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) يريد أنه لم يكن أول رسول أرسل فيعجب منه وقوله (كَانَا يأْكُلانِ الطعَامَ) هذا من الاختصار والكناية وانما نبه بأكل الطعام على عاقبته وعلى ما يصير اليه وهو الحدث لأن من أكل الطعام فلا بد أن يحدث . (انظرْ كيف نبين لهم الآياتِ) وهذا من ألطف ما يكون من الكناية وسترى باب الكناية فيما بعد ان شاء الله . (أني يؤفكون) مثل قوله ـ اني يُصْرَفُونَ ـ عَنِ الْحَقِ وَيَعْدِلُونَ : ويقال أفك الرجل عن كذا اذا عدل عنه وأرض مأفوكة أي محرومة المطر والنبات كأنّ ذلك عدل عنها وصرف . (الميسر) القمار يقال يسرت اذا ضربت بالقداح والضارب يقال له ياسر وياسرون ويسر وأيسار وكان أصحاب الثروة والاجواد في الشتاء عند شدة الزمان وكلبه ينحرون جزوراً ويجزؤنها أجزاء ثم يضربون عليها بالقداح فاذا قمر القامر جعل ذلك لذى الحاجة وأهل المسكنة وهو النفع

الذي ذكره الله في سورة البقرة فقال تعالى ـ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ـ وكانوا يتمادحون بأخذ القداح ويتسابون بتركها ويعيبون من لا ييسر ويسمونهم الأبرام واحدهم برم: والأنصاب حجارة كانوا يعبدونها في الجاهلية. والأزلام القداح وقد تقدم ذكرها (رجس) أصل الرجس النتن (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا) أي شربوا من الخمر قبل نزول تحريمه ويقال لم أطعم خبزاً ولا ماء ولا نوماً وقال الشاعر

فَإِنْ شِئْتِ حَرَّمْتُ النِّسَاءَ سِوَاكُمُ ... وَإِنْ شِئْتِ لَمْ أَطْعَمْ نُقَاخاً وَلَا بَرْدَا

النقاخ الماء والبرد النوم. (إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا) يريد اتقوا شرب الخمر فآمنوا بتحريمها (تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ) يعني بيض النعام (ورماحكم) يعني الصيد. (صيد البحر) ماصيد من السمك. (وطعامه) مانضب عنه الماء وما قذفه وهو حي (مَتَاعاً لَكُمْ) أي منفعة لكم (وللسيارة) يعني المسافرين (والنعم) الابل وقد تكون البقر والغنم والأغلب عليها الابل (أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً) أي مثله (قياماً للناس) أي قواماً لهم بالأمن فيه ﴿ ش ﴾ ومن باب التناقض والاختلاف ان قالوا ان قوله (جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ﴿ قال أبو محمد ﴾ وتأويل هذا ان أهل الجاهلية كانوا يتغاورون ويسفكون الدماء بغير حقها ويأخذون الأموال بغير حقها ويخيفون السبيل ويطلب الرجل منهم الثأر فيقتل غير قاتله ويصيب غير الجاني عليه ولا يبالي من كان بعد ان يراه كفؤاً

لوليه ويسميه الثأر المنيم وربما قتل أحدهم حميمه بحميمه قال ابن مضرّس وقتل خاله بأخيه

بَكتْ جزعاً أمي زُميلة أنْ رَأتْ ... دماً مِنْ أخيها بالمهنّدِ باقيا

فقلت لها لا تجزعي إنّ طارقاً ... خليلي الذي كانَ الخليلَ المصافيا

وما كنتُ لَوْ أُعطيتُ أَلفي نجيبة ... وأَوْلادَها لغواً وستين رَاعيا

لأقبلها في طارق دُونَ أَنْ أرَى ... دَماً من بني حِصْنٍ على السيف جاريا

وَما كانَ في عَوْفٍ قتيل علمته ... ليوفيني مِنْ طارقٍ غير خاليا

وربما أسرف بالقتل فقتل الواحد ثلاثة وأربعة وأكثر قال الشاعر

همُ قتلوا منكُمْ بظنة وَاحدٍ ... ثمانية ثم استمروا فأَرْبعوا

يقول اتهموكم بقتل رجل منهم فقتلوا منكم ثمانية به فجعل الله تبارك وتعالى الكعبة البيت الحرام وما حولها من الحرم والشهر الحرام والهدي والقلائد قواما للناس أي أمثالهم فكان الرجل اذا خاف على نفسه لجأ الى الحرم فأمن يقول الله سبحانه ـ أَو لَمْ يرَوا أنا جعلنا حرَماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم ـ فاذا دخل الشهر الحرام تقسمتهم الرحل وتوزعتهم النُّجع وانبسطوا في متاجرهم وأمنوا على أموالهم وأنفسهم واذا أخذ الرجل منهم هدياً أو قلد بعيره من لحاء شجر الحرم أمن كيفما تصرف وحيثما سلك ولو ترك الناس على جاهليتهم وتغاورهم في كل موضع وكل شهر لفسدت الارض وفني الناس وتقطعت السبل وبطلت المتاجر ففعل الله تبارك اسمه وتعالى جده ذلك لعلمه بما فيه من صلاح شؤونهم وليعلموا أنه كما علم ما فيه من الخير لهم أنه يعلم

أيضاً مافي السموات ومافي الارض من مصالح العباد ومرافقهم وأنه بكل شيء عليم وسترى باقي الباب ان شاء الله (مَاجَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرةٍ) البحيرة الناقة اذا نُتجت خمسةَ أبطن والخامس ذكر بحروه فأكله الرجال والنساء وان كان الخامس أنثى بحروا أذنها أي شقوها وكانت حراما على النساء لحمها ولبنها فاذا ماتت حلت للنساء (والسائبة) البعير يسيب بنذر يكون على الرجل ان سلمه الله من مرض أو بلغه منزله أن يفعل ذلك (والوصيلة) من الغنم كانوا اذا ولدت الشاة سبعة أبطن نظروا فان كان السابع ذكراً ذبح فأكل منه الرجال والنساء وان كانت أنثى تركت في الغنم وان كان ذكراً وأنثى قالوا قد وصلت أخاها فلم تذبح لمكانها وكانت لحومها حراما على النساء ولبن الانثى حراما على النساء الا أن يموت منها شيء فيأكله الرجال والنساء (والحامي) الفحل الذي ركب ولد ولده ويقال اذا نتج من صلبه عشرة أبطن قالوا حمى ظهره فلا يركب ولا يمنع من كلأ ولا ماء (يفترون) يختلقون الكذب ﴿ش﴾ (ياأيها الذينَ آمنُوا شهادَةُ بَيْنِكُمْ) الى قوله (واتقوا اللهَ واسمعوا) ﴿قال أبو محمد﴾ قد اختلف الناس قديما في تأويل هذه الآية والسبب الذي نزلت فيه وأنا مخبر من تلك المذاهب والتأويلات بأشبهها بلفظ الكتاب وأولاها بمعناه ان شاء الله تعالى . وأراد الله تبارك وتعالى أن يعرفنا كيف نشهد بالوصية حين حضور الموت فقال عز وعلا (ياأيها الذين آمنوا شهادة بَيْنِكُمْ اذا حضر احدكم الموتُ حِينَ الوصية اثنانِ ذَوا عدلٍ منكُمْ) أي رجلان عدلان من المسلمين تشهدونهما على الوصية وعلم جل ثناؤه أن

من الناس من يسافر فيصحبه في سفره أهل الكتاب دون المسلمين وينزل القرية التي لا يسكنها غيرهم فيحضره الموت فلا يجد من يشهده من المسلمين فقال (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ) أي من غير دينكم (إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ) أي سافرتم (فأصابتكم مصيبةُ الموتِ) تم الكلام: العدلان من المسلمين للحضر والسفر إن امكن اشهادهما في السفر والذميان في السفر خاصة اذا لم يوجد غيرهما. ثم قال تعالى (تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ) أراد تحبسونهما من بعد صلاة العصر ان ارتبتم في شهادتهما وشككتم وخشيتم أن يكونا قد غيرا أو بدلا أو كتما أو خانا وخص هذا الوقت لانه قبل وجوب الشمس وأهل الاديان يعظمونه ويذكرون الله فيه ويتوقون الحلف الكاذب وقول الزور وَأَهْلُ الْكِتَابِ يُصَلُّونَ طلوع الشَّمْسِ وغروبها (فيَحْلفان بالله لاَ نشتري به ثمناً) أي لا نبيعه بعوض ولا نحابي في شهادتنا أحداً ولو كان ذا قربى (ولا نكتُم شهادة) علمناها. فاذا حلفا بهذه اليمين على ماشهدا به قبلت شهادتهما وأمضي الامر على قولهما. وروى معاوية بن عمرو عن زائدة عن زكريا عن الشعبي انه قال مات رجل بدقوقا ولم يشهده الا نصرانيان فاشهدهما على وصيته فقدما الكوفة وأبو موسى الاشعري رضي الله عنه عليها فتقدما اليه فأحلفهما في مسجد الكوفة بعد العصر بالله مابدلا ولا كتما ولا كذبا وأجاز شهادتهما (فَإِنْ عُثِرَ) بَعْدَ هَذِهِ الْيَمِينِ أي ظهر (على انهما استحقا اثماً) أي حنثا في اليمين بكذب في قول أو خيانة في وديعة (فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ استحقَّ عليهمْ الأَوْلَيَانِ)

أي قام مقامهما في اليمين رجلان من قرابة الميت . الذين استحق عليهم الأوليان وهما الوليان يقال هذا الأولى بفلان ثم يحذف من الكلام بفلان فيقال هذا الأولى وهذان الأوليان كما تقول هذا الاكبر في معنى الكبير وهذان الاكبران وعليهم بمعنى منهم كما تقول استحققت عليك كذا وكذا وَاستَوْجبتُ عليكَ أي استحققته منك واستوجبته منك قال الله عز وجل ـ اذَا اكْتَالوا على النّاس يَستَوْفون ـ أي من الناس وقال صخر الغي

متى ما تُنكروها تَعرِفُوهَا ... على اقطَارِهَا عَلَقٌ نَفيثُ

يريد من أقطارها فاذا قام الوليان مقام الذميين لليمين حلفا بالله لقد ظهرنا على خيانة الذميين وتبديلهما وكذبهما وما اعتدينا عليهما. وَ(لشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا) أى أصح لكفرهما وايماننا فاذا حلف الوليان على ماظهرا عليه رجع على الذميين بما اختانا ونقض مامضى عليه الحكم لشهادتهما ثم قال (ذَلِكَ اذنى أَنْ يأتوا بالشّهَادَةِ) أي هذا الحكم أقرب لهم الى ان يأتوا بالشهادة(على وجهها) يعني أهل الذمة(أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم)فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفضحوا ويغرموا.وأكثر العلماء يذهب الى أن هذا باب من الحكم محكم وانه لم ينسخ من سورة المائدة شيء لأنها آخر ما نزل وبعضهم يذهب الى انه منسوخ بقوله ـ وَاستَشهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَين فَرَجُلٌ وَامرَأَتَانِ مِمّنْ تَرضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ـ ﴿ ع ﴾(يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبتُمْ قَالُوا لاَعِلمَ لَنَا) قيل تدخلهم حسرة من هول القِيامَةِ وَهَوْل المسئلة (أَيّدتُكَ برُوحِ القُدُسِ) أي قويتك

وأعنتك . (وَكَهْلاً) أي ثلاثين سنة. (وَاذْ علَّمْتُكَ الْكِتَابَ) أي الخط (وَالْحِكْمَةَ) أي الفقه. (وَاذْ اوْحَيْتُ إِلى الْحَوَارِيينَ) أي قذفت في قلوبهم كما قال ـ وَأَوْحَى رَبُّكَ الى النَّحْلِ ـ ﴿ش﴾ ﴿قال أبو محمد﴾ الوحي كل شيء دللت به من كلام أو كتاب أو اشارة أو رسالة قال الله تعالى ـ إِنَّا اوحَيْنَا اليْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلى نُوحٍ ـ وقال ـ وَأُوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذرَكم بهِ ـ فهذا ارسال جبريل عليه السلام بالقرآن وقال ـ فأَوْحَى اليْهِمْ أَنْ سَبِّحوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ـ أي أشار اليهم وأومأ وقال بعض المفسرين كتب اليهم ﴿ قال أبو محمد ﴾ والتفسير الأول أعجب اليّ لانه قال في موضع آخر ـ آيَتُكَ أن لا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا ـ والرمز تحريك الشفتين أو الحاجبين أو العينين ولا يكون كتاباً والوحي إلهام في المنام كقوله ـ وَمَا كانَ لبَشَرٍ أَنْ يكلِّمَهُ اللهُ الا وَحْيًا او مِنْ وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً ـ والوحي إعلام بالوسوسة من الشيطان قال الله تعالى ـ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ الى أَوْلِيَائِهِمْ ـ وقال ـ شيَاطِينُ الانْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بعضُهُمْ الى بَعْضٍ زُخْرُفَ القولِ غُرُوراً ـ والوحي أمر قال الله تعالى ـ بأَنَّ رَبَّكَ اوْحَى لهَا ـ أي أمرها وقال الراجز * وحَى لهَا الْقَرَارَ فاسْتَقَرَّت * أي أمرها بالقرار فقرت يعني الارض . ويقال ـ سخرها ـ ﴿ غ ﴾ (المائدة) الطعام من مادني يميدني كأنها تميد الآكلين أي تعطيهم أو تكون فاعلة بمعنى مفعول بها يميدبها الآكلون (لَنا عِيداً) أي مجمعاً (وآيَةً مِنْكَ) أي علامة (وَإِذْ قَالَ اللهُ يَاعِيسى ابنَ مَرْيَمَ) بمعنى اذ يقول الله فعل بمعنى يفعل . وقد

ذكر في المشكل في باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه . (فإنّهُمْ عِبَادُكَ) أي عبيدك عبد وعباد كما يقال فرخ وفراخ وكلب وكلاب

﴿ غريب سورة الانعام ومشكلها ﴾

(ثم قضى أجلاً) بالموت (وأجلٌ مسمى) عنده للدنيا اذا فنيت . (والقرن) يقال هو ثمانون سنة : قال أبو عبيدة يروون ان أقل ما بين القرنين ثلاثون سنة . (مِدْرَاراً) بالمطر أي غزيراً من دربدر (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً في قِرْطَاسٍ) أي في صحيفة وكذلك قوله ـ تجعلونه قراطيس ـ أي صحفاً قال الشاعر

عَفَتِ الْمَنَازِلُ غيرَ مِثْلِ الأَنْقُسِ بَعْدَ الزَّمَانِ عَرَفْتُهُ بِالْقِرْطَسِ

فَوَقَفْتَ تَعْتَرِفُ الصَّحِيفَةَ بَعْدَمَا عَمِسَ الْكِتَابُ وَقَدْ يُرَى لَمْ يَعْمَسِ

والانقس جمع نقس مثل قدح وأقدح وأقداح أراد غير مثل النقس عرفته بالقرطاس ثم قال فوقفت تعترف الصحيفة فأعلمك أن القرطاس هو الصحيفة ومنه يقال للرامي اذا أصاب قرطس انما أراد أصاب الصحيفة (وَلَوْ انْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنْظَرُونَ) يريد لو أنزلنا ملكاً فكذبوه أهلكناهم (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً) أي لو جعلنا الرسول اليهم ملكاً (لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً) أي في صورة رجل لانه لا يصلح أن يخاطبهم بالرسالة ويرشدهم الا من يرونه . (وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ) أي اضللناهم بما ضلوا به قبل أن يبعث الملك (فاطر السموات والارض) مبتدئهما ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة أي على ابتداء الخلقة يعني الاقرار بالله حين أخذ العهد عليهم في أصلاب آبائهم (كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) أي أوجبها على نفسه

خلقه(ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم) هذا مردود الى قوله ـ قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين. الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ـ :(الوقر) الصمم والوقر الحمل على الظهر (أين شركاؤكم) أي أين آلهتكم التي جعلتموها لي شركاء فنسبها اليهم لما ادعوه لها من شركته جل وعز (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا) أي مقالتهم ويقال معذرتهم وقد مر هذا في باب الفتنة في كتاب المشكل(وضل عنهم ما كانوا يفترون) أي ذهب عنهم ما كانوا يدعون ويختلقون (وهم ينهون عنه) أي عن محمد صلى الله عليه وسلم (وينئون عنه) أي يبعدون. (يحملون أوزارهم على ظهورهم) أي آثامهم وأصل الوزر الحمل على الظهر قال الله سبحانه ـ ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ـ أي اثقله حتى سمع نقيضه (فإنهم لا يكذبونك) أي لا ينسبونك الى الكذب ﴿ش﴾ قال أبو محمد في باب المجاز ذهب اهل القدر في قول الله عز وجل ـ يضل من يشاء ويهدي من يشاء ـ الى انه على جهة التسمية والحكم عليهم بالضلالة ولهم بالهداية وقال فريق منهم يضلهم ينسبهم الى الضلالة ويهديهم يبين لهم ويرشدهم فخالفوا بين الحكمين ﴿ قال ابو محمد ﴾ ونحن لا نعرف في اللغة أفعلت الرجل نسبته وانما يقال اذا اردت هذا المعنى فعلت تقول شجعت الرجل وجبنته وسرقته وخطأته وظلمته وفسقته وفجرته وكفرته وبخلته وقرئ ـ ان ابنك سرق ـ اي نسب الى السرق لا يقال في شيء من هذا أفعلته وانت تريد نسبته الى ذلك وقد احتج رجل من النحويين

كان يذهب الى القدر لقولك كذبت الرجل وا كذبته ويقول الله سبحانه ـ فانهم لا يُكذّبونكَ وَيُكذِبونَكَ ـ وذكر ان أكذبت وكذبت جميعاً بمعنى نسبت الى الكذب وليس ذلك كما تأول وانما معنى أكذبت الرجل الفيته كاذباً وقول الله تبارك وتعالى ـ لا يُكذِبُونَكَ ـ بالتخفيف لا يجدونك كاذباً كما يقال أبخلت الرجل وأجبنته وأحمقته أي وجدته جباناً بخيلا احمق . وقال عمرو بن معدي كرب لبني سليم قاتلنا كم فما أجبنا كم وسألنا كم فما أبخلنا كم وهجونا كم فما أفحمنا كم أي لم نجدكم جبناء ولا بخلاء ولا مفحمين . وقال الكسائي العرب تقول اكذبت الرجل اذا اخبر عنه أنه راوية للكذب وكذبته اذا اخبر عنه أنه كاذب فقرق بين المعنيين واحتج أيضاً لأفعلت بمعنى نسبت بقول ذي الرمة يصف ربعاً

وَأُسقِيه حتىّ كادَ مِمّا أَبثّه   تُكلمني أحجارُهُ وَملاعِبُه

وتأول في أسقيه معنى أسقيه من طريق النسبة ﴿ قال أبو محمد ﴾ ولا أعلم له في هذا حجة لانا نقول قد أرعى اللهُ الماشيةَ أي انبت لها ماترعاه وكذلك نقول أسقى الله الربع لأنه أنزل عليه مطراً يسقيه وأنا أرعي الماشية وأسقي الربع أي ادعو لها بالمرعى وله بالسقيا واحتج آخر ببيت ذكر أنه لطرفة

وما زالَ شُرْبِي الراحَ حتىّ أشرّني   صَديقي وَحتّى ساءَني بَعضُ ذلِكَ

وتوهم ان قوله أشرني نسبني الي الشر وليس ذلك كما تأول وانما أراد شهرني وأذاع خبري من قولك أشررت الاقط وشررته اذا بسطته ليجف قال الشاعر وذكر يوم صفين * وَحتّى أُشِرّتْ بالاكُفِ المَصَاحِفُ * يريد

شهرت وأظهرت . وروى عبد الله بن محمد بن اسماء عن جويرة قال كنت عند قتادة فسئل عن القدر فقال مازالت العرب تثبت القدر في الجاهلية والاسلام قال وحدثني سهل بن محمد عن الاصمعي قال قلت لدرواس الاعرابي ماجعل بني فلان أشرف من بني فلان قال الكتاب يعني القدر ولم يقل المكارم والفعال وكان الاصمعي ينشد من الشعر في اثبات القدر ذكرها وغيرها قال أنشدني عيسى بن عمر لبدوي

كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى أَخِيكَ مَتَاعُ ... وَبِقَدْرٍ تَفَرُّقٌ وَاجْتِمَاعُ

وقال المرار

ومَنْ سَابِقَ الأَقْدَارَ إِذْ دَأَبَتْ بِهِ ... وَمَنْ قائلٌ شيئاً إِذَا لَمْ يُقَدَّرِ

وقال

أُقَدِّرُ أَمْراً لَسْتُ أَدْرِي أَنَالُهُ ... وَمَا يَقْدِرُ الإِنْسَانُ وَاللهُ أَقْدَرُ

وفي أخرى ـ فالله قادر ـ وقال ابن الدمينة

زُورَا بِنَا الْيَوْمَ سَلْمَى أَيُّهَا النَّفَرُ ... وَنَحْنُ لَمَّا يُفَرِّقْ بَيْنَنَا الْقَدَرُ

وقال الفرزدق

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكُسَعِيِّ لَمَّا ... غَدَتْ مِنِّي مُطَلَّقَةً نَوَارُ

وَلَوْ ضَنَّتْ بِهَا كَفِّي وَنَفْسِي ... لَكَانَ عَلَيَّ لِلْقَدَرِ الْخِيَارُ

وقال القس

قَدْ كُنْتُ أَعْذُلُ فِي السَّفَاهَةِ أَهْلَهَا ... فَاعْجَبْ لِمَا تَأْتِي بِهِ الأَيَّامُ

فَالْيَوْمَ أَعْذِرُهُمْ وَأَعْلَمُ أَنَّمَا ... سُبُلُ الْغَوَايَةِ وَالْهُدَى أَقْسَامُ

وقال ابن أحمر حين سقي بطنه

شَرِبْنا وَدَاوَينا وَما كانَ ضَرَّنا　　إِذَا اللهُ حَمَّ القَدْرَ الاَّ تَدَاوِيا

وقال الشماخ

فاني عَدَاني عَنْــكُما غيرَ ماقتٍ　　نَوَارَانِ مَكْتُوبٌ عليَّ بُغاهُما

أي حاجتان عسيرتان ـ والنوار ـ النفور ـ مكتوب علي ـ أي مقدور عليّ طلبهما

وقال الاعشي

في فِتيةٍ كَسُيُوفِ الهِنْدِ قَدْ علمُوا　　أَنْ لَيْسَ يَدْفعُ عَنْ ذي الحيلةِ الحِيلُ

يقول هم موقنون بأن ماقدر وحتم لا يدفع بحيلة فهم موطنون أنفسهم عليه

وقال أبو زبيد

فَلاَتَكُ كالمَرْقُوصِ عنْ ظَهْرِ رَحلهِ　　تَرَدَّتْ بهِ أَسبابُهُ وهوَ يَنظُرُ

ـ أسبابه ـ المقادير ـ تردت به وهو ينظر ـ لا يقدر أن يدفع ذلك ـ والمرقوص ـ الذي قد اندقت عنقه　وقال الراعي

وَهُنَّ يُحاذِرْنَ الرَّدَى أَنْ يُصيبَني　　ومنْ قَبْلِ خَلْقِي خُطَّ ما كُنْتُ لاَقيا

وكائنْ تَرَى مِنْ مُصْعقٍ بِمَنِيَّةٍ　　يُجَنِّبُها أَوْ مُعْصمٍ لَيسَ نَاجِيا

وقال أفنون التغلبي

لَعَمْرُكَ مايَدْرِي امرُؤٌ كَيفَ يتقي　　اذا هُوَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ اللهُ وَاقِيا

وقال لبيد

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خيرُ نَفَلْ　　وَبِإِذْنِ اللهِ رَيْثي وَعَجَلْ

مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الخيرِ اهتَدَى　　ناعِمَ البَالِ وَمَنْ شاءَ أَضَلْ

﴿ قال أبو محمد ﴾ افترى لبيداً يقول من شاء أضل أي سماه ضالا لعمر الله ماعرف لبيد هذا ولا وجده في شيء من اللغات والمعنى في ضللت وأضللت ـ ويشرح صدره للاسلام. ويجعل صدره ضيقاً حرجاً ـ ممتنع على التأويل المطلوب بالحيلة عند من عرف اللغة وربما جعلت العرب الاضلال في معنى الابطال والاهلاك لأنه يودي الى الهلكة ومنه قوله عز وجل ـ وَقالُوا أَإِذا ضَلَلْنا في الأَرْضِ أَإِنّا لَفي خَلْقٍ جَدِيدٍ ـ أي بطلنا ولحقنا بالتراب فصرنا منه والعرب تقول ضلّ الماء في اللبن اذا غلب عليه اللبن فلم يتبين قال النابغة يرثي بعض الملوك

فآبَ مُضِلّوهُ بعَيْنٍ جليّةٍ وَغُودِرَ بالجَوْلانِ حَزْمٌ وَنائِلُ

أي قابروه سماهم مضلين لأنهم غيبوه وأفقدوه فابطلوه هذا مذهب العرب في القدر وهو مذهب كل أمة وان الله تبارك وتعالى في السماء ماتركت على الجبلة والفطرة ولم تنقل عن ذلك بالمقاييس والتلبيس ﴿ قال ابو محمد ﴾ وقد أعلمتك في كتاب غريب الحديث أن فريقاً منهم يقولون لايلزمنا القدر من طريق اللغة لانه يُتأول انا نقول لاقدر فكيف تنسب الا مايجحد وانما هذا تمويه وانما نسبوا الى القدر لانهم يضيفونه الى أنفسهم وغيرهم يجعله لله عز وجل دون نفسه ومدعي الشيء الى نفسه أولى بان ينسب اليه ممن جعله لغيره وسترى باقي باب المجاز في سورة حم السجدة وغيرها إن شاء الله عز وجل ﴿ غ ﴾ (وَلكِنَّ الظّالِمينَ بآياتِ اللهِ يَجْحَدُونَ) أي ينكرونها بألسنتهم وهم مستيقنون أنك لم تكذب ولم تأت بها الا عن الله تبارك اسمه.

والجحد في اللغة انكارك بلسانك ماتستيقنه نفسك قال الله عز وجل ـ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وعُلُوًّا ـ والنفق في الارض المدخل وهو السَّرَب وكذلك النفاق في اللغة مأخوذ من نافقاء اليربوع وهو جحر من جِحَرته وقد مر ذكره فيما سلف من الكتاب وهو مكتوب في صدر الغريب والبهتان من بهت الرجل اذا واجهته بالباطل . والعدوان من عدوت وتعديت على الرجل والعدآء الظلم ذكرهذا في صدرالغريب. والسلم في السماء المصعد (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ) أي يجيبك من يسمع فأما الموتى فالله يبعثهم شبههم بالموتى.(ولا طائر يطير بجناحيه) ﴿ قال أبو محمد ﴾ في المشكل هذا من باب الزيادة والتكرار والتأكيد وهو في كلامهم ونزل به القرآن العزيز ونذكر باب التكرير هاهنا مفرداً ثم ننبه عليه في الآي والسور على ماشرطنا إن شاء الله تعالى وهو المستعان لاشريك له ﴿ قال أبو محمد ﴾ فأما تكرير الانباء والقصص فان الله جل ثناؤه أنزل القرآن نجوماً في ثلاث وعشرين سنة بفرض بعد فرض تيسيراً على العباد وتدريجاً لهم الى كمال دينه ووعظ بعد وعظ تنبيهاً لهم من سنة الغفلة وشحذاً لقلوبهم بتجدد الموعظة وناسخ بعد منسوخ استعباداً لهم واختباراً لبصائرهم يقول الله عز وجل ـ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ـ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد بالتثبيت هو والمؤمنون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخول أصحابه رضي الله عنهم بالموعظة مخافة السآمة عليهم أي يتعهدهم بها عند

الغفلة ودثور القلوب ولو أتاهم القرآن نجماً واحداً لسبق حدوث الاسباب التي أنزله الله تعالى بها وثقلت جملة الفرائض على المسلمين وعلى من أراد الدخول في الدين ولبطل معنى التنبيه وفسد معنى النسخ لان المنسوخ يعمل به مدة ثم يعمل بناسخه بعد وكيف يجوز أن ينزل في وقت واحد افعلوا كذا ولا يفعلون . ولم يفرض الله على عباده أن يحفظوا القرآن كله ولا أن يختموه في التعلم وانما أنزله ليعملوا بمحكمه ويؤمنوا بمتشابهه ويأتمروا بأمره وينتهوا بزاجره ويحفظوا للصلاة مقدار الطاقة ويقرؤا فيها الميسور : قال الحسن رحمة الله عليه نزل القرآن ليعمل به فاتخذ الناس تلاوته عملا وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم مصلحة الارض وقادة الانام ومنتهى العلم انما يقرأ الرجل منهم السورتين والثلاث والاربع والبعض والشطر من القرآن الا نفراً منهم وفقهم الله لجمعه وسهل عليهم حفظه : قال انس بن مالك رضي الله عنه كان الرجل اذا قرأ البقرة جل فينا أي جل في عيوننا وعظم في صدورنا . وقال الشعبي رحمه الله توفي ابو بكر وعمر وعلي رضوان الله عليهم ولم يجمعوا القرآن وقال لم يختمه أحد من الخلفاء غير عثمان رضي الله عنه وروي عن شريك عن اسماعيل بن خالد انه قال سمعت الشعبي يحلف بالله لقد دخل على حفرته وما حفظ القرآن . وكانت وفود العرب ترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم للاسلام فيقرئهم المسلمون شيئاً من القرآن فيكون ذلك كافياً لهم وكان يبعث الى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة فلو لم تكن الانباء والقصص مثناة ومكررة لوقعت قصة موسى الى قوم وقصة عيسى الى قوم وقصة نوح

الى قوم وقصة لوط الى قوم فأراد الله سبحانه بلطفه ورحمته أن يشهر هذه القصص في أطراف الارض ويلقيها في كل سمع ويثبتها في كل قلب ويزيد الحاضرين في الافهام والتحذير . وليست القصص كالفروض لان كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تنفذ الى كل قوم بما فرضه الله عليهم من الصلاة وعددها وأوقاتها والزكاة وسنتها وصوم شهر رمضان وحج البيت وهذا مالا تعرف كيفيته من الكتاب ولم تكن تنفذ بقصة موسى وعيسى ونوح وغيرهم من الانبياء . وكان في صدور الاسلام قبل ا كمال الله عز وجل الدين فلما نشره الله سبحانه في كل قطر وبثه في آفاق الارض وعلّم الاكابر الاصاغر وجمع القرآن بين الدفتين زال هذا المعنى واجتمعت الانبآء والقصص في كل مصر وعند كل قوم ﴿ فأما تكرار ﴾ الكلام من جنس واحد وبعضه يجذي من بعض كتكراره في ـ قُلْ يا أيها الكافرون ـ وفي سورة الرحمن بقوله ـ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ـ فقد أعلمتك ان القرآن نزل بلسان القوم وعلى مذاهبهم ومن مذاهبهم التكرار ارادة التوكيد والإفهام كما ان من مذاهبهم الاختصار ارادة التخفيف والايجاز لان افتنان المتكلم والخطيب في الفنون وخروجه عن شيء الى شيء احسن من اقتصاره في المقام على فن واحد وقد يقول القائل في كلامه والله لأفعله ثم والله لأفعله اذا أراد التوكيد وحسم الاطماع من أن يفعله كما يقول والله افعل باضمار لا اذا أراد الاختصار قال الله عز وجل ـ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ـ وقال ـ انَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً انّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ـ

وقال ـ أَوْلَى لَكَ فأَوْلى ثمّ اوْلَى لَكَ فأَوْلَى. وقال ـ وَمَا أدْرَاكَ مايَوْمُ الدِينِ ثُمّ مَاأدْرَاكَ مَايَوْمُ الدِينِ ـ كل هذا يراد به التوكيد للمعنى الذي كرر به اللفظ . وقد يقول القائل للرجل اعجل اعجل وللرامي ارم ارم وقال الشاعر

كَمْ نِعْمَةٍ كَانتْ لَكُمْ　　كَمْ كَمْ وَكَمْ

وقال الآخر

هَلاَّ سأَلْتَ جُمُوعَ كِنْـ　　دَةَ يومَ وَلَّوْا أَيْنَ أَيْنَا

وقال عوف بن الخرع

وَكَانتْ فَزَارَةُ تَصْلَى بنا　　فَأَوْلَى فزَارَةُ أَوْلَى فزَارَا

وربما جاءت الصفة فأرادوا توكيدها واستوحشوا من اعادتها ثانية لانها كلمة واحدة فغيروا منها حرفاً ثم أتبعوها الاول كقولهم عطشان نطشان كرهوا أن يقولوا عطشان عطشان فابدلوا من العين نوناً وكذلك قولهم حسن بسن كرهوا أن يقولوا حسن حسن فابدلوا من الحاء ياء وشيطان ليطان في أشباه له كثيرة . ولا موضع أولى بالتكرار للتوكيد من السبب الذي نزلت فيه ـ قُلْ ياأيها الكافرون ـ لانهم أرادوه على أن يعبد مايعبدون ليعبدوا مايعبد وأبدؤا في ذلك وأعادوا فأراد الله عز وجل حسم اطماعهم واكذاب ظنونهم فابدأ في أديانهم وفيه وجه آخر وهو ان القرآن كان ينزل شيئاً بعد شيء وآية بعد آية حتى لربما نزل الحرفان والثلاثة . قال زيد بن ثابت كنت اكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لايستوي القاعدون من

المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله فجاء عبد الله بن أم مكتوم فقال يارسول الله اني أحب الجهاد في سبيل الله ولـكن بي من الضرر ماترى قال زيد فثقلت فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي حتى خشيت أن يرضها ثم قال اكتب ـ لايستوي القاعدون من المؤمنين غيرُ أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله ـ وروى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن أنه قال في قوله تعالى ـ ورتّلناهُ ترْتِيلاً ـ قال كان ينزل آية وآيتين وآيات جواباً لهم عما يسئلون ورداً عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك معنى قوله ـ ورتلناه ترتيلا ـ شيئاً بعد شيء فكأن المشركين قالوا له استلم بعض آلهتنا حتى نؤمن بالهك فأنزل الله عز وجل ـ لا أعبد ماتعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ـ يريد ان لم تؤمنوا حتى افعل ذلك ثم عبر وامدة من الدهر فقالوا له تعبد آلهتنا يوما أو شهراً أو حولا ونعبد إلهك يوما أو شهراً أو حولا فانزل الله عز وجل ـ وَلاَ انَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتم وَلا انتمْ عَابِدُونَ مَاأَعْبُدُ ـ على شريطة أن يؤمنوا به في وقت ويشركوا به في وقت ﴿قال أبو محمد﴾ وهذا تمثيل أردت أن أريك به موضع الامكان وأما تكرار ـ فبأَيِّ الآءِ رَبّكُمَا تُكَذِّبان ـ فانه عدد في هذه السورة نعماءه وأذكر عباده آلاءه ونبههم على قدرته ولطفه بخلقه ثم أتبع ذكر كل منّة وصفها بهذه الآية وجعلها واصلة بين كل نعمتين ليفهمهم النعم ويقرزهم بها وهذا كقولك للرجل أحسنت اليه دهرك وتابعت عنده الايادي وهو في ذلك ينكرك ويكفرك ألم أبوئك منزلا وأنت طريد أفتنكر هذا ألم أحملك وأنت راجل أفتنكر هذا ألم أحج بك وأنت صرورة أفتنكر هذا ومثل ذلك

تكراره ـ فهل من مدّكر ـ في سورة اقتربت الساعة أي فهل من معتبر ومتعظ
﴿ وأما تكرار المعنى بلفظين مختلفين ﴾ فلا شباع المعنى والاتساع في الالفاظ
وذلك كقول القائل آمرك بالوفاء وأنهاك عن الغدر والأمر بالوفاء هو
النهي عن الغدر وآمركم بالتواصل وأنهاكم عن التقاطع والأمر بالتواصل هو
النهي عن التقاطع وكقوله جل ثناؤه ـ فيهمَا فاكِهةٌ وَنَخْلٌ وَرُمّانٌ ـ والنخل
والرمان من الفاكهة فأفردهما عن الجملة التي أدخلهما فيها لفضلهما وحسن
موقعهما وقوله ـ حافظوا على الصلواتِ والصلاةِ الوسطى ـ وهي منها فأفردها
بالذكر ترغيباً فيها وتشديداً لامرها كما تقول آئتني كل يوم ويوم الجمعة خاصة
وقال ـ نسمع سرهم ونجواهم ـ والنجوى هو السر وقد يجوز أن يكون أراد بالسر
ما أسروه في أنفسهم وبالنجوى ما تساروا به وقال ذو الرمة

لَمْياءُ في شفَتَيْها حُوَّةٌ لَعَسٌ وَفي اللِّثاتِ وَفي أَنْيابِها شَنَبُ

ـ واللعس ـ حوة فكرر لما اختلف اللفظان . ويمكن أن يكون لمّا ذكر الحوة
خشي أن يتوهم السامع سواداً قبيحاً فبين انه لعس واللعس يستحسن في الشفاه
﴿ فأما الزيادة ﴾ للتوكيد بقوله جل وعز ـ يقولونَ بأفواهِهمْ ما ليْسَ في قلوبِهمْ ـ
لأن الرجل قد يقول بالمجاز كتاباً واشارة وعلى لسان غيره فاعلمنا أنهم يقولون
بألسنتهم وكذلك قوله ـ يكتبونَ الكتابَ بأيديهمْ ـ لأن الرجل قد
يكتب بالمجاز وغيره الكاتب عنه . ويقول الامي كتبت اليك وهذا كتابي
اليك وكل فعل أمرت به فانت الفاعل له وإن وليه غيرك قال الله تعالى
في التّابُوتِ ـ تَحْمِلُهُ الْمَلاَئكةُ ـ قال ابن عباس في رواية أبي صالح عنه هو

كما تقول حملت الى بلد كذا وكذا براً وقمحاً وإنما امرت بحمله فاعلمنا أنهم يكتبونه بأيديهم ـ ويقولون هو من عند الله ـ وقد علموا يقيناً إذ كتبوه بأيديهم انه ليس من عنده: وقال ـ فراغ عليهم ضرباً باليمين ـ لأن في اليمين القوة وشدة البطش فاخبرنا عن شدة ضربه لها وقال الشماخ

إِذَا مَارَايَةٌ رُفِعَتْ لمجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ باليمين

أي أخذها بقوة ونشاط. وقوله ـ وَلاَ طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ـ هو على التأكيد كما تقول رأي عيني وسمع اذني. وقوله ـ ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ـ كما تقول نفسي التي بين جنبي. وقال ـ فَصِيَامُ ثلاثة أيام في الحجّ وَسَبْعَةٍ اذا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كاملةٌ ـ أراد توكيد ما أوجب عليه من الصيام بجمع العددين وذكره مجملا كما قال الشاعر

ثَلاثٌ وَٱثنتانِ فَهُنَّ خَمْسٌ وَسَادِسَةٌ تَمِيلُ إِلى شِمَامي

تم الباب والحمد لله. رجع القول الى ذكر الغريب

﴿غ﴾ (مَا فَرَّطْنَا في الْكِتَابِ مِنْ شيْءٍ) أي ما تركنا شيئاً ولا أغفلناه ولا ضيعناه. (البأساء) الفقر وهو البؤس. (والضراء) البلاء. (فَلَوْلاَ إِذْ جَاءَهُمْ بأْسُنَا تَضَرَّعُوا) أي فهلا إذ جاءهم. ﴿ش﴾ (ولولا) تكون في بعض الأَحوال بمعنى هلا وذلك اذا رأيتها بغير جواب تقول لولا فعلت تريد هلا فعلت وقال الله جل ثناؤه ـ فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ. فلولا إن كنتم غيرَ مدينين ـ أي فهلا: وقال ـ فلولا كانت قرية ـ وقال الشاعر

تعُدُّونَ عقْرَ النِّيبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بَني ضَوْطَرَا لَوْلاَ الْكَمِيَّ الْمقنعا

أي فهلا تعدون الكمي: وكذلك لوما قال الله سبحانه ـ لوَماتأتينا بالملائكة ـ بمعنى هلا تأتينا بالملائكة . فاذا رأيت للولا جواباً فليست بهذا المعنى كقوله عز وجل ـ فَلَوْلاَ أنه كانَ مِنَ المسبحين للبثَ في بطنه الى يَوْم يُبْعَثُونَ ـ فهذه لولا التي تكون لأمر يقع بوقوع غيره وبعض المفسرين يجعل لولا في قوله تعالى ـ فلولاَ كانَتْ قَرْيَةٌ آمنتْ فَنفَعَهَا إيمانُهَا ـ أي فلم تكن قرية نفعها إيمانها عند نزول العذاب ـ الا قوم يونس ـ وكذلك قوله ـ فلَوْلاَ كانَ مِنَ القُرُونِ من قَبلكُمْ ـ أي فلم يكن ﴿ غ ﴾ (اخَذْناهُمْ بَغْتَةً) أي فجأة جهرة معاينة (فإِذَا هُمْ مبلسُونَ) أي يائسون ملقون بأيديهم . (فقُطعَ دَابرُ القَوْمِ الذين ظَلَمُوا) أي آخرهم كما يقال اجتث اصلهم. (يصدفون) يعرضون يقال صدف عني وصد اذا أعرض . (نُفَصّل الايآتِ) أي نأت بها متفرقة شيئاً بعد شيء ولا ننزلها جملة واحدة. (وَكذلكَ فتنّا بَعضَهُمْ ببعض) أي ابتلينا بعضاً ببعض . (قُلْ لَوْ أن عندي ماتستعْجلُونَ به) مِنْ عقُوبة الله (لَقُضِيَ الامْرُ بيني وَبينكُمْ) أي لعجلته لكم فانقضى ما بيننا . (جرَحتُمْ بالنّهارِ) أي كسبتم (ثُمّ يبعثكُمْ فيه) أي يبعثكم في النهار من نومكم . (ليقضى أجلٌ مسمى) الموت. (عذاباً من فوقكم) الحجارة والطوفان. (أو من تحت أرجلكم) الخسف (أو يَلْبسكم شيعاً) من الالتباس عليهم حتى يكونوا شيعاً أي فرقاً مختلفين (ويذيق بعضكم بأس بعض) القتال والحرب . (لكل نبأٍ مُستقَرٌ) أي غاية . (يخوضون في آياتنا) بالاستهزاء . (أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ) أي تسلم للهلكة قال الشاعر

وَإِنسَانِي بَنِيّ بِغَيْرِ جُرْمٍ بَغَوْنَاهُ وَلاَ بِدَمٍ مُرَاقِ

أي بغير جرم أجرمناه (والبَغو) الجناية (لهم شراب من حميم) وهو الماء الحار ومنه سمي الحمَّام. (الذي استهوته الشياطين في الارض) أي اهوت (حيران له أصحاب يدعونه الي الهُدى آئتنا) أي يقولون آئتنا نزلت فى عبدالرحمن ابن أبي بكر . وأصحابه أبوه وأمه . (ملكوت السموات والارض) أي ملكها زيدت فيها التاء وبني بناء جبروت ورهبوت تقول العرب رهبوت خير من رحموت أي أن ترهب خير من أن ترحم .(ويوم ينفخ في الصور) قال أبو عبيدة هو جمع صورة يقال صورة وصُوَر أي ينفخ فى صور الناس ومثله سورة البناء وسور وأنشد * سُرْتُ إِلَيه في اعالى السُّورِ * وَسُورَةُ المَجْد أعاليه وقال غيره الصور القرن بلغة قوم من أهل اليمن وأنشد

نَحْنُ نَطحنَاهُمْ غَدَاةَ الجَمْعَيْن بالضَّابِحَات في غُبَار النَّقْعَيْن

نطحاً شديداً لا كنطح الصورين

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا أعجب الي من القول الاول لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنتم وصاحب القرن قد التقمه وحنى ظهره ينتظر متى يؤمر فينفخ. وهذا من صدر الغريب . (جن عليه الليل) أظلم يقال جن جناناً وجنوناً وأجنَّهُ الليل إجناناً . (وبازغاً) طالعاً يقال بزغت الشمس تبزغ (أفلت) غابت ﴿ش﴾ قال أبو محمد قوله عز وجل (فلما جَنَّ عليه الليلُ رأى كَوْكَباً) الى قوله (وَمَا انا مِنَ المُشْرِكين) وكان العصر الذي بعث الله جل ثناؤه فيه ابراهيم صلى الله عليه وسلم عصر نجوم وكهانة وانما

أمر نمروذ بقتل الولدان في السنة التي ولد فيها ابراهيم عليه السلام لان المنجمين والكهان قالوا له انه يولد فى تلك السنة من يدعوا الى غير دينه ويرغب عن سنته وكان القوم يعظمون النجوم ويقضون بها على غائب الامور ولذلك نظر ابراهيم عليه السلام نظرة في النجوم فقال اني سقيم وكان القوم يريدون الخروج الى مجمع لهم فارادوه على ان يغدو معهم وأراد كيد أصنامهم خلاف مخرجهم ـ فنظر نظرة في النجوم ـ يريد في علم النجوم أو في مقياس من مقاييسها أو سبب من أسبابها ولم ينظر الى النجوم أنفسها يدلك على ذلك قوله ـ فنظر نظرةً في النجوم ـ ولم يقل الى النجوم وهذا كما يقال فلان ينظر في النجوم اذا كان يعرف حسابها وفلان ينظر في الفقه والحساب والنجوم وانما أراد بالنظر فيها أن يوهمهم أنه يعلم مايعلمون ويتعرف الامور من حيث يتعرفون وذلك أبلغ في المحال والطف في المكيدة فقال ـ اني سقيم ـ أي سأسقم غداً فلا أقدر على الغدوّ معكم هذا الذي أوهمهم بمعاريض الكلام ونيته اني سقيم لا محالة لانّ من كانت غايته الموت ومصيره الى الفناء فسيسقم ومثله قول الله جل ثناؤه ـ إِنَّكَ ميّتٌ وَإِنَّهُم ميّتُونَ ـ لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ميتاً في ذلك الوقت وانما أراد انك ستموت وسيموتون . (فلما جنّ عليه الليل) رأى الزهرة (فقال هذا ربي) يريد أن يستدرجهم بهذا القول ويعرفهم خطأهم وجهلهم في تعظيمهم شأن النجوم وقضائهم على الامور بدلالتها فأراهم انه معظم ماعظموا وملتمس الهدى من حيث التمسوا وكل من تابعك على هواك وشايعك على أمرك كنت به أوثق واليه

أسكن وأركن فانسوا واطمأنوا (فلما أفل) أراهم النقص الداخل على النجم بالافول لانه ليس ينبغي لإله أن يزول ولا يغيب (فقال لا أحبُّ الآفلين) وأعتبر مثل ذلك في الشمس والقمر حتى تبين للقوم ما أراد من غير جهة العناد والمباداة بالتنقص والعيب ثم قال (اني بريء مما تشركون إني وجهتُ وجهيَ للذي فطر السموات والارضَ حنيفاً) وما أنا من أنجم(١) وشمس وارض وما فيها من بحر وجبل وصنم وحجر وما أنا من المشركين . ومثل هذا الحواري حين ورد على قوم يعبدون بدًّا لهم فاظهر تعظيمه ونزوله(٢) وأراهم الاجتهاد في دينهم فأكرموه وفضلوه وأئتمنوه وصدروا في كثير من الامور عن رأيه الى أن دهمهم عدو لهم خافه الملك على مملكته فشاورَ الحواري في أمره فقال الرأي أن ندعو إلهنا يعني البد حتى يكشف عنا ما قد أظلنا فانّا لمثل هذا اليوم كنا نرشحه فاستكفّوا حوله يضرعون اليه ويجأرون وأمر عدوهم يستعجل وشوكته تشد يوما بعد يوم فلما بين لهم من هذه الجهة أن بدهم لا ينفع ولا يدفع ولا يبصر ولا يسمع قال لهم هاهنا إله آخر ادعوه فيستجيب واستجيره فيجير فلندعه فدعوا الله جميعاً فصرف عنهم ما كانوا يحاذرون وأسلموا : ومن الناس من يذهب الى أن ابراهيم عليه السلام كان في تلك الحال على ضلالة وحيرة وكيف يتوهم ذلك على من عصمه الله وطهره في مستودعه ومستقره والله عز وجل يقول ـ إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ـ أي لم يشرك به قط كذلك قال المفسرون أو من قال منهم ويقول في صدر

---

(١) كذا في الاصل وليحرر (٢) قوله ونزوله لم يظهر لنا المعنى منها

الآية (وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين) ثم قال على أثر ذلك (فلما جن عليه الليل) فروي انه رأى في الملكوت عبدًا على فاحشة فدعا الله عليه ثم رأى آخر على فاحشة فدعا الله عليه فقال الله تعالى ياابراهيم اكفف دعوتك عن عبادي فان عبدى بين خلال ثلاث إما أن أخرج منه ذرية طيبة أو يتوب فاغفر له أو النار من ورائه . أفترى الله سبحانه وتعالى أراه الملكوت ليوقن فلما أيقن رأى كوكباً فقال هذا ربي على الحقيقة ﴿ غ ﴾ (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) أي لم يخلطوه بشرك . ومنه قول لقمان ـ ان الشرك لظلم عظيم ـ . (وما قدروا الله حق قدره) أي ما وصفوه حق وصفه ولا عرفوه حق معرفته يقال قدرت الشيء وقدّرته وقدرت فيك كذا وكذا . (أم القرى) مكة . (عذاب الهون) أي الهوان . (فرادى) جمع فرد فكأنه جمع فردان كما يقال كسلان وكسالى وسكران وسكارى . (وتركتم ما خولناكم) أي ملكناكم . (الذين زعمتم انهم) لي في خلقكم (شركاء) . (لقد تقطع بينكم) أي تقطعت الوصل التي كانت بينكم في الدنيا من القرابة والحلف والمودة (والحسبان) الحساب يقال خذ كل شيء بحسبانه أي بحسابه. (فمستقر) في الصلب (ومستودع) في الرحم. (القِنوان) عذوق النخل واحدها قنو ان جمع على لفظ تثنية غير ان الحركات تلزم نونه في الجمع وهي في الاثنين مكسورة ومثله صِنوان تثنية صنو وصنوان في الجمع. (انظروا الى ثمره اذا أثمر) وهو غض (وينعه) أي ادراكه ونضجه يقال ينعت الثمرة وأينعت اذا أدركت وهو اليَنع واليُنع

يخلق الخير والشّرك في اللغة مصدر شركته في الامر أشركه. وفي الحديث أن معاذاً رضي الله عنه أجاز بين أهل اليمن الشِرْك يريد المزارعة أن يشترك فيها رجلان أو ثلاثة فكان الشرك بالله سبحانه وتعالى هو أن يجعل له شريك قال ـ وما يؤمنُ أكثرُهمْ بالله الا وهم مشركون ـ قال أبو عبيدة رحمه الله كانت تلبية أهل الجاهلية لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك فانزل الله عز وجل هذه الآية (وخَرَّقُوا لهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ) أي اختلقوا وخلقوا بمعنى واحد كذبا وإفكا (وليقولوا دَرَسْتَ) أي قرأت الكتب ودارست أهل الكتاب وجادلتهم ودرست امّحت (وحشرنا عليهم كلَّ شيء قُبلا) جمع قبيل أي أصنافاً . ويقال القبيل الكفيل كقوله ـ أوْ تأتي بالله وَالمَلاَئكة قَبِيلاً ـ أي ضمناء ومن قرأها قبلا أراد معاينة. (زخْرفَ القَوْلِ غُرُوراً) أي مازين منه وحسن وموّه وأصل الزخرف الذهب (وليَقْترِفوا ماهم مُقترِفُون) ليدعوا ماهم مدعون (يخرصون) يحدسون ويوقعون ومنه قيل للحارز خارص (ظاهر الاثم) الزنا (وباطنه) المخاتلة. (وإنّ الشّيَاطِينَ ليُوحُونَ الى اوليَائهمْ) أي يقذفون في قلوبهم أن يجادلوكم . (أَوَمَنْ كانَ مَيتاً فأَحْيَيْنَاهُ) أي كافراً فهديناه . (وجَعَلْنَا لَهُ نوراً) أي ايماناً (يمشي به في الناس) أي يهتدي به (كَمَنْ مَثَلُهُ في الظلمات) أي في الكفر وهو من الاستعارة التي تقدم ذكرها . (وَكَذلِكَ جَعَلْنَا في كُلِّ قَرْيَةٍ اكابرَ مُجْرِميها) أي جعلنا في كل قرية مجرميها وأكابر لاينصرف وهم العظماء . (صَغَارٌ عِنْدَ الله) أي ذلة . (يشْرَحْ صَدْرَهُ لِلاسلاَم) أي يفتحه

ومنه يقال شرحت لك الامر وشرحت اللحم اذا فتحته. (الحَرِجُ) الذي ضاق فلم يجد منفذاً الاّ أن (يصَّعَّد في السماء) وليس يقدر على ذلك . (لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِنْدَ رَبِّهِمْ) أي الجنة والسلام الله تبارك وتعالى ودار الجنة ومنه سمي الرجل عبد السلام كما يقال عبد الله ويرى أهل النظر من أصحاب اللغة أن السلام بمعنى السلامة كما يقال الرضاع والرضاعة واللذاذ واللذاذة قال الشاعر

تُحَيِّ بالسَّلاَمَةِ أُمُّ بَكْرٍ فَهَلْ لَكَ بَعْدَ قَوْمِكَ مِنْ سَلاَمِ

سمى نفسه تعالى جده وتقدس اسمه سلاماً لسلامته مما يلحق الخلق من العيب والنقص والفناء والموت ويجوز أن يكون سمى الجنة سلاماً لأن الصائر اليها يسلم فيها من كل مايكون في الدنيا من مرض ووصب أوموت وهرم وأشباه ذلك فهي دار السلام . ومثله (لهم دار السلام عند ربهم) ومنه يقال السلام عليكم يراد اسم السلام عليكم كما يقال اسم الله عليكم وقد بين ذلك لبيد فقال

الى الْحَول ثم اسْمُ السَّلاَمِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كاملاً فَقَداعْتَذَر

وقد يجوز أن يكون السلام عليكم السلامة عليكم ولكم والى هذا المعنى يذهب من قال سلام الله عليكم واقرأ فلاناً سلام الله . وقال جل وعز ـ فأَمَّا إِن كانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلاَمٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينْ ـ أي فسلامة لك منهم أي نخبرك عنهم بسلام وهو معنى قول المفسرين: ويسمى الصواب من القول سلاماً لانه سلم من العيب والاثم قال الله سبحانه ـ وَإِذَا خاطَبَهُمُ

الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَماً - أي سداداً من القول وهـذا مذكور في أول الغريب (يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنْسِ) أي أضللتم كثيراً منهم (وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض) أي أخذ كلٌّ من كلٍّ نصيباً (وبلغنا أجلنا) أي الموت . (يَاقَوْمِ اعْمَلُوا على مَكَانَتِكُمْ) أي على موضعكم يقال مكان ومكانة ومنزل ومنزلة وتسع وتسعة ومتن ومتنة وعماد وعمادة . (مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالانْعَامِ نَصِيباً) أي مما خلق من الحرث وهو الزرع والانعام الابل والبقر والغنم نصيباً أي حظاً وكانوا اذا زرعوا حظوا حظاً فقالوا هذا لله وهذا لآلهتنا فاذا حصدوا ماجعلوا لله عز وجل فوقع منه شيء فيما جعلوا لغير الله تعالى تركوه وقالوا هي اليه محتاجة واذا حصدوا ماجعلوه لآلهتهم فوقع منه شيء فيما جعلوه لله تعالى أعادوه الى موضعه وكانوا يجعلون من الأنعام شيئاً لله عز ذكره فاذا ولدت إناثها ميتاً أكلوه واذا جعلوا لآلهتهم شيئاً من الانعام فولد ميتاً عظموه ولم يأكلوه فقال الله عز وجل (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرثِ والأنعامِ نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصلُ الى الله وما كان لله فهو يصلُ الى شركائهم ساءَ مايحكمون) (لِيُرْدُوهُمْ) والردى الهلاك . وقوله (حَرْثٌ حِجْرٌ) أي زرع حرام وانما قيل للحرام حجر لانه حجر على الناس أن يصيبوه يقال حجرت على فلان كذا حجراً ولما حجرته وحرمته حجراً (وأنعامٌ حرّمتْ ظُهورها) يعني الحامي (وأنعامٌ لايذكرون اسمَ الله عليها) يعني البحيرة لانها لاتركب ولا يحمل عليها شيءٌ (يُذكرُ اسمُ الله عليه . وقالوا مافي بطون

هذه الانعام خالصة لذكورنا) يعني الوصيلة من الغنم والبحيرة من الابل (ومحرم على أزواجنا) يعني الاناث (سيجزيهم وصفهم) أي بكذبهم . (قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم) أي جهلا . (مختلفاً أكله) أي ثمره سماه أكلا لانه يؤكل (متشابهاً) في المنظر (وغير متشابه) في المطعم . (وآتوا حقه يوم حصاده) أي تصدقوا منه (ولا تسرفوا) في ذلك . (والحمولة) كبار الابل التي يحمل عليها (والفرش) صغار الابل وهي مادون الحقاق والحقاق هي التي صلح أن تركب أي حق ذلك . (ثمانية أزواج) أي ثمانية أفراد والفرد يقال له زوج والاثنان هما زوجان وزوج قال الله عز وجل ـ وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى ـ فجعل كل واحد منهما زوجاً وهي بمعنى الصنف قال ـ خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ـ يعني الاصناف وقال (ثمانية ازواج من الضأن اثنين) أي ثمانية اصناف وقال ـ أولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم ـ أي من كل جنس والزوج القرين ـ وخلق منها زوجها ـ وقال ـ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ـ أي قرناءهم وقال ـ وإذا النفوس زوجت ـ أي قرنت نفوس الكفار بعضها ببعض . ومنه قوله عز وجل ـ وزوجناهم بحور عين ـ أى قرناهم والعرب تقول زوجت إبلي أى قرنت بعضها ببعض ﴿ ش ﴾ قال أبو محمد قوله (ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين) الى قوله (فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً) أراد وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات وأنشأ لكم حمولة وفرشاً يعني صغاراً وكباراً (كلوا مما رزقكم الله ولا

تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) أي تقفون أثره في مايحرم عليكم مما لم يحرمه الله ويحله لكم مما حرمه الله . ثم قال(ثمانيةَ أزواجٍ)أي كلوا مما رزقكم الله ثمانية أزواج وان شئت جعلته منصوباً بالرد الى الحمولة والفرش تنبيها لها والثمانية الازواج الضأن والمعز والابل والبقر وانما جعلها ثمانية ازواج وهي اربعة لأنه أراد ذكراً وأنثى من كل صنف على ما تقدم وكانوا يقولون مافي بطون هذه الانعام حلال لذكورنا ونسائنا ان كان الجنين ذكراً ومحرم على إناثنا ان كان أنثى ويحرمون على الرجال والنساء الوصيلة واخاهـا ويزعمون ان الله حرم ذلك عليهم فقال الله تعالى ـ مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيْرَةٍ ـ الآية وقال يقايسهم في تحريم ماحرموا (قل ءآلذكرين) من الضأن والمعز (حرم) الله عليكم (أم الانثيين) فان كان التحريم من جهة الذكرين فكل ذكر حرام عليكم وان كان التحريم من جهة الانثيين فكل أنثى حرام عليكم .(أم) حرم عليكم (ما اشتملت) عليه الأرحام من الاجنة فان كان التحريم من جهة الاشتمال فالارحام تشتمل على الاناث وتشتمل على الذكور وتشتمل على الذكور والاناث فكل جنين حرام. (أم كنتم شهداء)حين أمر الله عز وجل (بهذا) فتكونون على يقين أم تفترونه عليه وتختلقونه توبيخ (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم) ﴿غ ﴾ (أَوْ دَمَاً مَسْفُوحاً) أي سائلاً(أَوْ فِسْقَاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ به) أي ما ذبح لغيره وذكر عليه غير اسمه(حرّمنا كلّ ذي ظُفُرٍ) أي محل ذي مخلب وكل ذي ظلف ليس بمشقوق يعني الحافر وهـذا من الاستعارة لانه سمي الحافر ظفرا كما قال الشاعر وذكر ضيفاً طرقه

فَمَا رَقَدَ الوِلْدَانُ حتى رأَيْتُهُ عَلَى البَكرِ يَمْرِيهِ بِسَاقٍ وحَافِرِ

فجعل الحافر موضع القدم وقال الآخر .

سَأَمْنَعُهَا أَوْ سَوْفَ أَجْعَلُ أَمْرَهَا إِلَى مَلِكٍ أَظْلَافُهُ لَمْ تُشَقَّقِ

يريد بالاظلاف قدميه وانما الاظلاف للشاء والبقر . والعرب تقول للرجل هو غليظ المشافر يريدون الشفتين والمشافر للابل وقال الحطيئة

قَرَوا جَارَكَ العَيْمَانَ لَمَّا جَفَوْتَهُ وقَلَّصَ عَنْ بَرْدِ الشتَاءِ مَشَافِرُهْ

(شُحُومَهُمَا إِلاَّ ماحَمَلَتْ ظهورُهُما) يقال الالية (والحوايا) المباعر واحدها حاوية وحوية ﴿ش﴾ (قُلْ هَلُمَّ شهداءَكم) ﴿قال ابو محمد﴾ قوله هلم بمعنى تعال وأهل الحجاز لا يثنونها ولا يجمعونها وأهل نجد يجعلونها من هلممت فيثنون ويجمعون وتوصل باللام فيقال هلم لك وهلم لكما قال الخليل أصلها لَمَّ وزيدت الهاء في أولها وخالفه الفراء فقال أصلها هَلْ ضم اليها أم والرفعة التي في اللام من همزة أم لما ركبت انتقلت الى ما قبلها وكذلك اللهم نرى أصلها يا الله أمنا بخير فكثرت في الكلام فاختلطت وتركت الهمزة ﴿غ﴾ (الاملاق) الفقر يقال املق الرجل فهو مملق اذا افتقر (وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتَّبعوهُ ولا تتبعوا السُّبُلَ) يريد السبل التي تعدل عنه يميناً وشمالا والعرب تقول الزم الطريق ودع البنيات ﴿ ش ﴾ (ثم آتينَا مُوسَى الكِتَابَ تَمَاماً عَلى الّذِى أَحْسَنَ) الى آخر الآية أراد آتينا موسى الكتاب تماماً على المحسنين كما تقول أوص بمال للذي غزا وحج تريد الغازين والحاجين وتكون الذي في موضع من كافة كأنه قال تماماً على من أحسن والمحسنون هم الانبياء صلوات الله عليهم

أو المؤمنون وعلى في هـذا الموضع بمعنى لام الجر كما تقول أتم عليه وأتم له قال الشاعر

دَعتهُ أشهُرًا وخلاَ عليْهَا　　فَطارَ النَّيّ فِيهَا وَاستعَارَا

أراد وخلالها. وتلخيصه آتينا موسى الكتاب تتميما منا للانبياء وللمؤمنين الكتب (وتفصيلا) منا (لكل شيء) وهدى ورحمة وقد يكون أن يجعل الذي بمعنى ما أي آتينا موسى الكتاب على أحسن من العلم والحكمة وكتب الله المتقدمة وأراد بقوله تماماً على ذلك أي زيادة على ذلك والتأويل الاول أعجب اليّ لانه في مصحف عبد الله رضي الله عنه تماماً على الذين احسنوا وفي هذا مايدل على ذلك التأويل وقد يتصرف أيضاً الى معنى آخر كأنه قال آتينا موسى الكتاب اتماماً للاحسان على من أحسن . ﴿ غ ﴾ (أن تقولوا إنما أُنزل الكتابُ على طائفتينِ من قبلنا) المعنى هذا كتاب أنزلناه لئلا تقولوا انما أنزل الكتاب على اليهود والنصارى قبلنا فحذف لا . (وَإن كُنَّا عنْ دِرَاستِهِمْ لغَافِلينَ) أي قراءتهم الكتب وعلمهم بها غافلين (او) لئلا (تقولوا لو انا أنزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم . صدَفَ عنْهَا) أي أعرض . (هلْ ينظرُونَ) أي هل ينتظرون (الا ان تأتيهم الملائكة) عند الموت (أو يأتي ربك) يوم القيامة (أو يأتي بعض آيات ربك) طلوع الشمس من مغربها. (وَكانُوا شِيَعاً) أي فرقاً وأحزاباً . (لَسْتَ مِنهُمْ في شيءٍ) أي ليس اليك شيء من أمرهم . (نُسُكي) ذبائحي جمع نسيكة وأصل النسك ماتقرب به الى الله (خلائفَ الأرْضِ) أي سكان الارض يخلف بعضهم بعضاً واحدهم خليفة

(ورفع بعضكم فوق بعض درجات) أي فضائل في المال والشرف. (ليبلوكم فيما آتاكم) أي يختبركم فيعلم كيف شكركم

﴿غريب سورة الاعراف ومشكلها﴾

(فلا يكن في صدرك حرج منه) أي شك وأصل الحرج الضيق والشاك في الامر يضيق له صدراً لانه لا يعلم حقيقته فسمي الشك حرجاً (فجاءها بأسنا) يعني العذاب (بياتاً أو هم قائلون) من القائلة نصف النهار (فما كان دعواهم) أي قولهم وتداعيهم. (بما كانوا بآياتنا يظلمون) أي يجحدون ومن الاستعارة قوله (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) أراد ولقد خلقنا آدم وصورناه فجعل الخلق لهم إذ كانوا منه. (ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك) أي أن تسجد ولا زائدة للعلة التي تقدمت في سورة النساء (لأقعدن لهم صراطك المستقيم) أي دينك يقول لأصدنهم عنه. (مذؤماً) أي مذموماً بأبلغ الذم. (مدحوراً) أي مقصراً مبعداً يقال اللهم ادحر عني الشيطان. (ليبدي لهما) أي (ليظهر لهما ما ووري عنهما) أي ستر والتواري والمواراة منه (وطفقا) أي جعلا واقبلا يقال طفقت أفعل كذا (يخصفان) أي يصلان الورق بعضه ببعض ويلصقان بعضه على بعض ومنه يقال خصفت نعلي اذا اطبقت عليها رقعة. (والرياش) والريش ما ظهر من اللباس وريش الطائر ما ستره الله به. (ولباس التقوى ذلك خير) أي خير من الثياب لأن الفاجر وان كان لابس الثوب فهو باديء العورة وذلك زائدة قال الشاعر

في مثل هذا المعنى

إِني كأَني أَرَى مَنْ لاَحياءَ لَهُ ولاَ أَمانَةَ وَسْطَ القَوْمِ عُرْيَانَا

قيل في التفسير إِن لباس التقوى الحياء (إِنَّهُ يرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ) أي أصحابه وجنده (وأقيموا وجوهَكُمْ عند كلِّ مسجِد) يقول اذا حضرت الصلاة وأنتم عند مسجد من المساجد فصلوا فيه ولا يقولن أحدكم لاأصلي حتى آتي مسجدي . وقوله تعالى (خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مسجِدٍ وَكُلُوا وَاشرَبُوا) كان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت عراة بالنهار والنساء منهم بالليل الا الحمس وهم من قريش ومن دان بدينهم ولا يأكلون من الطعام الا اليسير إِعظاماً لحجهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية (مالمْ يُنزلْ به سُلْطاناً) أي حجة (أُولئكَ ينالهُمْ نصيبُهُمْ مِنَ الكتاب) أي حظهم مما كتب عليهم من العقوبة (آدخُلُوا في أُممٍ قدْ خَلَتْ مِنْ قبلكُمْ) أي ادخلوا مع أمم (حتّى اذَا ادّارَكُوا فِيها جميعاً) أي تداركوا وأدغمت التاء في الدال وأدخلت الالف ليسلم السكون لها بعدها يريد تتابعوا فيها واجتمعوا (لاَتُفَتَّحُ لهُمْ أَبْوَابُ السَّمآءِ) أي ليس لهم عمل صالح تفتح لهم به أبواب السماء ويقال لاتفتح لأزواجهم أبواب السماء إِذَا ماتُوا (حتّى يلِجَ الْجملُ) أي يدخل البعير (في سُمّ الخياط) أي فى ثقب الابرة وهذا كما يقال لايكون ذلك حتى يشيب الغراب . وحتى يبيض القار (لهُمْ مِنْ جهنَّمَ مِهادٌ) أي فراش (وَمِنْ فوْقِهمْ غوَاشٍ) أي ما يغشاهم من النار (والغل) الحسد والعداوة (فأَذّنَ موذّنٌ بينهُمْ) أي نادى مناديهم (أن لعنةَ اللهِ على الظالمين) (والاعراف)

سور بين الجنة والنار سمي بذلك لارتفاعه وكل مرتفع عند العرب أعراف

قال الشاعر

كُلُّ كِنازٍ لحمُها نِيافِ   كالعلمِ المُوفي على الأعْرافِ

(والسيماء)العلامة (فاليومَ ننساهُمْ)أي نتركهم(هل ينظُرُونَ إلاّ تأويلهُ) أي هل ينظرون الا عاقبته يريد ماوعدهم الله فيه انه كائن (يومَ يأتي تأويله) في القيامة (يقولُ الّذينَ نسُوهُ مِنْ قبلُ) أي تركوه واعرضوا عنه(ادْعُوه خوْفاً وَطمعاً) أي خوفاً منه ورجاءً لما عنده (بشراً بين يدَيْ رحمتِهِ) سماه رحمة .... ومن قرأ نُشُرا بين يدي رحمته أراد جمع نشور ونشر الشيء ماتفرق منه ويقال اللهم اضمم لي نشري أي ماتفرق من أمري (حتّى اذا أقلّتْ سحَاباً ثِقالاً) أي حملت ومنه يقال ما استقل به ﴿ ش ﴾ (ألاَ لهُ الخلقُ وَالأمرُ) ﴿ قال أبو محمد ﴾ الأمر القضاء. قال ـ يُدَبّرُ الأمْرَ مِنَ السّماءِ ـ أي يقضي القضاءَ .والأمر القول قال ـ إِذْ يتنازَعُونَ بينهُمْ أمْرَهُمْ ـ يعني قولهم .والأمر العذاب قال ـ وَقالَ الشّيطانُ لمّــا قُضيَ الأمْرُ ـ أي وجب العذاب . قال ـ وَغِيضَ المآء وقُضيَ الأمر .ـ والأمر القيامة قال الله تعـالى ـ أتى أمْرُ اللهِ ـ وقال ـ وَتربّصتُمْ وارْتبتُم وَغرّتكُم الأمانيُّ حتّى جاءَ أمْرُ اللهِ ـ أي القيامة أو الموت والامر الوحي قال ـ يَتنَزّلُ الأمْرُ بينهُنّ ـ أي الوحي. والامر الذنب قال ـ فذاقتْ وَبالَ أمْرِها ـ أي جزاء ذنبها وهذا كله وان اختلف معانيه فأصله واحد. وَيُكنى عَنْ كُلِّ شيء بالأمْر أي كل شيء يكون فانما يكون بأمر الله فسميت الاشياء أمراً لأن الأمر سببها بقول الله عزوجل ـ ألا الى الله تصيرُ الأُمور ـ ﴿ غ ﴾

(لَا يَخرجُ إِلَّا نَكِدًا) أي قليلا يقال عطاء منكود منزور (أَوَ عجبتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنكُمْ) أي على لِسَانِ رَجُلٍ مِنكُمْ (إِنَّا لَنَرَاكَ في سفَاهَةٍ) أي في جهل . (فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ) أي نعم الله واحدها إِليٌّ ومثله في التقدير ـ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ ـ أي وقته وجمعه آناء.(بوَّأَكُمْ في الارض) أي انزلكم (جاثمين) الاصل في الجثوم للطير والارنب وما يجثم به والجثوم البروك على الركب (الغابرين) الباقين يُقَالُ مَنْ مَضَى ومَنْ غَبَرَ أي من بقي. (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وبينَ قومِنَا بالحَقِ) أحكم بيننا ومنه قيل للحاكم الفتاح. (كأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا) أي لم يقيموا فيها يقال غنينا بمكان كذا أي أقمنا فيه . ويقال للمنازل مغان واحدها مغنى . (حتَّى عَفَوْا) أي كثروا ومنه الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر أن تحفى الشوارب وتعفى اللحى أي توفر . (أَرْجِهْ وأَخَاهُ) أي أخره وقد يهمز يقال أرجأت الأمر وأرجيته ومنه قوله تعالى ـ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ـ يقرأ بالهمز وغير الهمز ومنه سميت المرجئة. (إِنَّ لَنَا لأَجْرًا) اي جزاء من فرعون (واسْتَرْهَبُوهُمْ) اي أرهبوهم . (أفرغْ علينا صبراً) أي صبه علينا (تَلْقَفُ) تلتهم وتلقم (الملأُ من قوم فرعون) أشرافهم ووجوههم وكذلك ـ الملأُ من قومه ـ في كل موضع (أخذنا آلَ فرعونَ بالسنينَ) أي بالجدب يقال اصابت الناس سنة أي جدب (فإِذَا جاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ) يعني الخصب (قالوا لنا هذه) اي هذا ما كنا نعرفه وما جرينا على اعتياده (وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ) اي قحط (يطَّيروا بموسى ومن معه) وقالوا هذا لشؤمه . (أَلا إِنَّما طائرُهم عند الله) لا عند موسى.

﴿ ش ﴾ (وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا) معناها مالان مهما بمنزلة ما في الجزاء: وقال الخليل رحمه الله مهما هيَ ما أدخلت معها ما لغوا تقول متى تأتني آتك ومتى ما تأتني آتك وكما ادخلت ما معَ ايّ كقوله عز وجل ـ أَيًّامَا تَدْعُوا ـ اي ايًّا تدعوا قال ولكنهم استقبحوا أن يكرروا لفظا واحداً فيقولوا ماما فابدلوا الهاء من الالف التي في الاولى هذا قول الخليل وقال سيبويه وقد يجوزان تكون مه ضم اليها ما . ﴿ غ ﴾ (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ) السَّيْلَ العَظِيمَ وقيل الموت الكثير الذريع وطوفان الليل شدة سواده: وقال الراجز

[حتّى اذا مايَوْمُها تصببا] وعَمَّ طُوفَانُ الظَّلَامِ الأَثأَبَا (١)

(آياتٍ مفصلات) بين الآية والآية فصل ومدة . (والرِّجزُ) العذاب (واليَمّ) البحر (وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) اي يبنون. والعرش البيوت. والعرش السقف . (يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ) اي يقيمون عليها معظمين لها كما يقيم العاكفون في المساجد . (مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ) اي مهلك والتبار الهلاك (وَفِي ذَلِكُمْ بلاءٌ مِن رَبِّكُمْ عَظِيمٌ) أي في إنجائه ايا كم نعمة من الله عظيمة . (تَجَلَّى رَبُّهُ) اي ظهر أو ظهر من أمره ما شاء. ومنه يقال جلوت العروس اذا أبرزتها. ومنه يقال جلوت المرآة والسيف اذا أبرزته من الصدإ والطبع وكشفت عنه (جَعَلَهُ دَكًّا) أي الصقه بالارض يقال ناقة دكاء اذا لم يكن لها سنام كأنَّ سنامها دُكَّ أي ألصق ويقال إن دككت دققت فأبدلت القاف فيه كافاً لتقارب المخرجين (وخَرَّ مُوسَى صَعِقاً) أي مغشياً عليه (ولَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ) اي

(١) ـ عمَّ ـ البس والأثاب شجر شبه الطرفاء الا أنه اكبر منه

ندموا يقال سُقِطَ في يد فلان إذا ندم (أَسِفاً) شديد الغضب يقال أسفني فأسفت أي أغضبني فغضبت . ومنه قوله تعالى ـ فَلَمَّآ آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ ـ (وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ) أي سكن (وَفِي نُسْخَتِهَا) أي فيما نسخ منها . (واخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ) أي اختار من قومه فحذف من والعرب تقول اخترتك القوم أي اخترتك من القوم (إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ) أي تبنا اليك ومنه ـ الذين هادوا ـ كأنهم رجعوا من شيء الى شيء (الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً) أي يجدون اسمه مكتوباً أو ذكره . (ويُحَرِّمُ عليهمُ الخبائثَ) وكل خبيث عند العرب فهو محرم ﴿ ش ﴾ (وَيضَعُ عنهُمْ إِصْرَهُمْ) أي الثقل الذي كان بنو اسرائيل ألزموه وهذا من الاستعارة كان الله سبحانه قد ألزمهم الإصر في فرائضهم وأحكامهم ووضعه عن المسلمين ولذلك قيل للعهد إصر قال الله عز وجل ـ وأَخَذْتُمْ على ذلِكُمْ إِصْرِي ـ أي عهدي لأن العهد ثقل ومنع من الأمر الذي أخذله (والأغلال) تحريم الله عليهم كثيراً مما أطلقه لأمة محمد صلى الله عليه وسلم جعلها أغلالاً لأن التحريم يمنع كما يقبض الغل اليد فاستعير كما قال أبو ذؤيب

فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّارِ يَاأُمَّ مَالِكٍ   وَلَكِنْ أَحَاطَتْ بِالرِّقَابِ السَّلاَسِل
وَعَادَ الْفَتَى كَالْكَهْلِ لَيْسَ بِقَائِلٍ   سِوَى الْحَقِّ شَيْئاً فَاسْتَرَاحَ الْعَوَاذِل

يقول ليس الأمر كعهدك إذ كنا في الدار ونحن ننبسط في كل شيء ولا نتوقى ولكن أسلمنا فصرنا من موانع الاسلام في مثل الأغلال المحيطة بالرقاب القابضة للايدي ومن هذا قوله عز وجل ـ إِنَّا جَعَلْنَا في أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً ـ

أي قبضنا أيديهم عن الانفاق في سبيل الله بموانع(١) كالأغلال ﴿ غ ﴾ (الأسباط) القبائل واحدها سبط . (فانبجست منه) انفجرت يقال انبجس الماء كما يقال تفجر (إِذْ يَعْدُونَ فِي السبْتِ) أي يتعدون الحق يقال عدوت على فلان اذا ظلمته (شُرَّعًا) أي شوارع في الماء جمع شارع (بِعَذَابٍ بئيس) أي شديد (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ) أي أعلم وهو من آذنتك بالأمر (مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) أي يأخذهم بذلك ويوليهم اياه يقال سمت فلاناً كذا وكذا وسوء العذاب الجزية التي ألزموها الى يوم القيامة والذلة والمسكنة (وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ) أي فرقناهم (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) أي اختبرناهم بالخير والشر والخصب والجدب . (فَخَلَفَ من بعدهم خَلْفٌ) والخلف الرديء من القول ومن الناس ومن الكلام يقال هذا خلف من القول (وإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ) أي زعزعناه ويقال نتقت السقاء اذا نفضته لتقتلع الزبدة منه وكان نتق الجبل أنه قطع منه شيء على قدر عسكر موسى عليه السلام وأظل عليهم وقال لهم موسى صلى الله عليه وسلم اما ان تقبلوا التوراة واما ان يسقط عليكم . (فأتبعهُ الشيْطَانُ) أي أدركه يقال أتبعت القوم اذا لحقتهم وتبعتهم سرت في أثرهم (أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ) أي ركن الى الدنيا وسكن (إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ) أي ان تحمل عليه تطرده ﴿ ش ﴾ قال أبو محمد كل شيء يلهث فانما يلهث من إعياء أو عطش أو علة خلا الكلب فانه يلهث في حال الكلال

---

(١) بموانع كالأغلال هكذا وقع في نسخة ابن ابي الدوري وكما في نفس الكتاب في نسخة القاضي انتهى من هامش الاصل

وحال الراحة وحال الصحة والمرض وحال الري والعطش فضرب به الله مثلا لمن كذب بآياته فقال عز وجل ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته وزجرته فسعى لهث وان تركته على حاله رابضاً لهث . ونحوه قوله ـ سَوَاءٌ عليكُمْ أَدَعَوتموهُمْ أَمْ أَنتُم صَامتُونَ ـ ﴿ غ ﴾ (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ) أي خلقنا ومنه ذرية الرجل انما هي الخلق منه ولكن همزها يتركه أكثر العرب (وَلِلّٰهِ الاسْمَاءُ الْحُسْنَى فادعُوهُ بِهَا) أي الرحمان الرحيم والعزيز وأشباه ذلك (وَذَرُوا الّذِين يُلْحِدُونَ في أَسْمَائِهِ) أي يجورون عن الحق ويعدلون عنه فيقولون اللات والعزى ومنات ذلك ومنه قيل لحد القبر لانه في جانب * ومن الاستعارة* قوله (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ) والاستدراج ان يدنيهم من بأسه قليلا قليلا من حيث لا يعلمون ولا يباغتهم ولا يجاهرهم ومنه يقال درجت فلانا الى كذا واستدرج فلانا حتى تعلم ماصنع يراد لاتجاهره ولا تهجم عليه بالسؤال ولكن استخرج ماعنده قليلا قليلا وأصل هذا من الدرجة وذلك ان الراقي فيها والنازل منها ينزل مرقاة مرقاة فاستعير هذا منها ﴿ غ ﴾ (وَأُمْلِي لَهُمْ) أي أؤخرهم. (إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) أي شديد (مَا بصَاحِبكم مِنْ جِنَّةٍ) أي من جنون . (أَيَّانَ مُرْسَاهَا) أي متى ثبوتها يقال رسى في الارض اذا ثبت ورسى في الماء اذا ثبت فيه ومنه يقال للجبال رواسٍ ﴿ ش ﴾ (وأيان) بمعنى متى ومتى بمعنى أي وأصلها أيُّ أوان فحذفت الهمزة والواو وجعل الحرفان واحداً قال الله عز وعلا ـ أَيَّانَ يُبْعَثونَ. وأَيَّانَ يَوْمُ الدِّين ـ أي متى يوم القيامة.

﴿غ﴾ (لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ) أي لا يظهرها يقال جلى لي الخبر أي كشفه وأوضحه (ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي خفي علمها على أهل السموات والارض واذا خفي الشيء ثقل (كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) أي معني بطلب علمها ومنه يقال تحفى فلان بالقوم (فَمَرَّتْ بِهِ) اي استمرت بالحمل (لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا) أي ولداً سوياً ولم تجعله بهيمة وهذا باب من الكناية ﴿قال أبو محمد﴾ قال المفسرون في قوله جل وعز (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ) الآية ان حواء رضوان الله عليها لما اثقلت أتاها ابليس في صورة رجل فقال ماهذا في بطنك قالت ماأدري وذلك أول حملها فقال لها أرأيت ان دعوت ربي فولدته انساناً أفتسمينه باسمي قالت نعم وَقَالَتْ هِيَ وَآدَمُ (لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) أي لئن خلقته بشراً سوياً مثلنا ولم تجعله بهيمة فلما ولدته أتاها ابليس فسألها الوفاء فقالت ماسمك قال الحارس تسمى لها بغير اسمه ولو تسمى باسمه لعرفته فسمته عبد الحارث فعاش أياما ثم مات فقال الله عز وجل (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) وانما جعلا الشرك بالتسمية لا بالنية والعقد وانتهى الكلام في قصة آدم وحواء عليهما السلام ثم ذكر عز ذكره من أشرك به بالنية والعقد من ذريتهما فقال عز وجل (فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) ولو أراد تعالى آدم وحواء لقال عما يشركان فهذا يدل على العموم ﴿ش﴾ قال أبو محمد الكناية أنواع ولها مواضع. فمنها أن تكني باسم الرجل بالأبوة لتزيد في الدلالة عليه اذا أنت

راسلته أو كتبت اليه اذا كانت الأسماء قد تتفق أو لتعظمه بالمخاطبة بالكنية لأنها تدل على الحنكة وتخبر عن الاكتهال وقد ذهب هؤلاء إلى أن الكنية كذب مالم يكن الولد مسمى بالاسم الذى كنى به عن الأب وتقع للرجل بعد الولادة وقالوا إن كانت الكنية للتعظيم فما باله كنى أبا لهب وهو عدوه وسمى محمداً وهو وليه ونبيه ﷺ فالجواب عن هذا أن العرب كانت ربما جعلت اسم الرجل كنيته فكانت الكنية الاسم خبّرنى بذلك غير واحد عن الاصمعى أن أبا عمرو بن العلاء ـ قال : ـ أسماهما كناهما وربما كان للرجل الاسم والكنية فغلبت الكنية على الاسم فلم يعرف الا بها كأبى طالب وأبى ذر وأبى هريرة ولذلك كانوا يكتبون على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان لأن الكنية بكمالها صارت اسما ، وحظ كل حرف الرفع مالم ينصبه أو يجره حرف من الأدوات أو الأفعال فكأنه حين كنى قيل أبو طالب ثم ترك كهيئته وجعل الاسمان واحدا وقد روى فى الحديث أن اسم أبى لهب إنما كان عبد العزى فان كان هذا صحيحا فكيف يذكره الله سبحانه وتعالى بهذا الاسم وفيه معنى الشرك والكذب لأن الناس جميعا عبيد الله فان كان اسم أبى لهب كنيته فانما ذكره بما لا يعرف إلا به والاسم والكنية علمان بين الاعيان والاشخاص ولا يقعان لعلة فى المسمى كما تقع الاوصاف ، فبأى شيء عرف الرجل جاز أن تذكره به من غير أن تكذب فى ذلك ، ولو كان من دعا أبا القاسم بأبى القاسم ولا قاسم له كاذبا لكان من دعا المسمى بكلب

وقرد وغراب كاذبا لأنه ليس كما ذكر ﴿ قال أبو محمد ﴾ وقد طعنت الشعوبية على العرب بأمثال هذه الأسماء ونسبوهم الى سوء الاختيار وجهلوا معانيهم فيها وكان القوم يتفاءلون ويتطيرون فمن سمى منهم بالاسماء الحسنى أراد أن يكثر له الفأل بالحسن ومن تسمى منهم بقبيح الاسماء أراد صرف الشر عن نفسه وذلك أن العرب كانت اذا خرجت الى المغازي قالوا: من تقصد، فتطيروا من كلب وجعل وقرد وأسد ونمر وقالوا ميلوا بنا الى سعد والى غنم وما أشبه ذلك . وستراه فى باب الكناية فى سورة الفرقان ان شاء الله ﴿غ﴾ (خُذُ العَفْوَ) أى الميسور من الناس (وأْمُرْ بالعُرْف) أى بالمعروف ﴿ش﴾ قال أبو محمد فى أول المشكل وهذا مما جمع الكثير من معانيه فى القليل من لفظه وهو أيضا معنى قول رسول الله ﷺ ـ أوتيت جوامع الكلم ـ ثم بين أبو محمد رحمة الله علينا وعليه فقال إن شئت أن تعرف ذلك فتدبر قوله عز وعلا ـ خذ العَفْوَ وأمر بالعُرْف وأعرضْ عن الجاهلين ـ كيف جمع له بهذا الكلام كل خلق عظيم لأن فى أخذ العفو صلة القاطعين والصفح عن الظالمين واعطاء المانعين وفى الأمر بالمعروف تقوى الله وصلة الأرحام وصون اللسان عن الكذب والفحش والهجر وغض الطرف عن المحرمات وإنما سمى هذا وما أشبهه عرفا ومعروفا لأن كل نفس تعرفه وكل قلب يطمئن اليه وفى الاعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وتنزيه النفس عن ممارات السفيه ومنازعة اللجوج ومثله قوله تبارك وتعالى اذ ذكر الأرض فقال ـ أخرج منها ماءها ومرعاها ـ كيف دل بشيئين على جميع ما أخرجه

من الأرض قوتاً ومتاعا للانعام من العشب والشجر والحب والثمر والعصف والحطب واللباس والنار والملح لأن النار من العيدان والملح من الماء وينبئك أنه أراد ذلك قوله عز وجهه — متاعا لكم ولأنعامكم — ومثله قوله جل وعز حين ذكر جنات الأرض فقال عز من قائل ـ تسقى بماء واحد ونُفَضِّلُ بعضَها على بعض فى الأُكُل — كيف دلّ على نفسه ولطفه ووحدانيته وهدى الحجة على من ضَلّ عنه لأنه لو كان ظهور الثمرة بالماء والتربة فقط لوجب فى القياس أن لا تختلف الطعوم ولا يقع التفاضل فى الجنس الواحد إذا نبت فى مغرس واحد وسقى بماءٍ واحد ولكنه صنع اللطيف الخبير ونحوه قوله تعالى ـ ومن آياته خلقُ السموات والأرض واختلافُ ألسنَتِكم وألوانِكم ـ يريد اختلاف اللغات والمناظر والهيئات . وفى قوله تعالى ـ وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب ـ يريد أنها تجمع وتسير فهى لكثرتها كأنها جامدة واقفة فى رأى العين وهى تسير كسير السحاب وكل جيش غص فى الفضاء لكثرته وبعد ما بين طرفيه فقصر عنه البصر كأنه فى حسبان الناظر واقف وهو يسير — وهو كثير ستراه فى مواضعه — مع الغريب إن شاء الله تعالى ﴿غ﴾ (وإما ينزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ) أي يستخفنك يقال نزغ بيننا اذا أفسد (يَمُدُّونَهُمْ فى الغَيِّ) أى يطيلون لهم فيه وإخوانهم شياطينهم يقال لكل كافر شيطان يغويه (وإذا لم تأتِهِمْ بآيةٍ قالوا لولا اجتبيتها) أي هلا اخترعت[1] لنا آية من عندك قال الله تعالى (قل

---

(١) فى الأصل : اخترت ولعله تصحيف من الناسخ

إنما أتَّبِعُ مايُوحى إلىّ من ربّى) (والآصال) آخر النهار وهو العشى أيضا (إن الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ) يعنى الملائكة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ غريب سورة الأنفال ﴾

الانفال الغنائم واحدها نفل قال لبيد

* إن تقوى ربنا خير نفل *[1]

﴿ ش ﴾ (ومن باب الحذف والاختصار) (كما أخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحقّ وإنّ فَرِيقاً مِنَ المؤمِنِينَ لَكارِهُون) يريد أن كراهتهم لما فعلته فى الغنائم ككراهتهم للخروج معك ، كأنه قال : من كراهتهم كما أخرجك ربك وإياهم وإنهم لكارهون : وقد ذكر بقصته فى باب الحذف والاختصار ﴿ غ ﴾ (ذَاتِ الشَّوْكَةِ) ذات السلاح ، ومنه يقال فلان شاك فى السلاح (مُرْدِفِينَ) رادفين . يقال : ردفته وأردفته اذا جئت بعده (الأَمَنَةُ) الأمن : رجز الشيطان كيده ، والرجز والرجس قد ذكروا فى سورة البقرة من بابهما فى المشكل . (والبَنَانُ) الأصابع (شاقُّوا الله وَرَسُولَهُ) نابذوه وباينوه (أَوْ مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ) يقال : تحوزك وتحيزك ـ بالياء والواو ـ وهما من انحزت والفئة : الجماعة (باءَ بغضب) أى رجع بغضب (إن تَسْتَفْتِحُوا)أى تسألوا الفتح وهو النصر (فَقَدْ جاءَكُم الفَتْحُ وَإن

---

(١) هذا صدر بيت . وعجزه : وبإذن الله ريثى والعجل

تَنْتَهُوا فهو خَيْرٌ لَكُمْ) وذلك أن أبا جهل قال : اللهم انصر أحب الدينين إليك . فنصر الله رسوله . (إن شَرَّ الدَّوابِّ عندَ اللهِ) يعنى شر الناس عند الله (الصُّمُّ) عما بعث به رسوله صلى الله عليه وسلم من الدين (البُكْمُ) يعنى الذين لا يتكلمون بخير ، ولا يفعلونه ، والبكم : الخرس (يَحُولُ بين المرء وقلبه) أى بين المؤمن والمعصية ، وبين الكافر والطاعة ، ويكون يحول بين المرء وهواه (واتَّقُوا فتنةً لا تُصِيبَنَّ الذينَ ظَلَمُوا منكُم خاصَّةً) يقول : لا تصيبن الظالمين خاصة ، ولكنها تعم فتصيب الظالم وغيره . (يَجْعلْ لكُم فُرْقاناً) أى مخرجا (وإذ يَمكُر بِكَ الذين كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ) أى ليحبسوك ، ومنه يقال . فلان مثبت وجعا إذا لم يقدر على الحركة وكانوا أرادوا أن يحبسوه فى بيت ويسدوا عليه بابه ، ويجعلوا له خرقا يدخل منه طعامه وشرابه أو يقتلوه بأجمعهم قتلة رجل واحد أو ينفوه . (وما كان ليُعَذِّبَهُم وأنت فيهم) الى قوله (وما كانوا أوْلِياءَهُ) ﴿ش﴾ قال أبو محمد فى باب التناقض والاختلاف : المدعى على القرآن على قول الملاحدين لم قال ـ وما كان الله لِيُعَذِّبَهُم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ـ ؟ ثم قال على إثر ذلك ـ ومالهم ألا يعذبهم ـ وذلك أن النضر بن الحارث قال ـ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ـ يريد أهلكنا ومحمداً ومن معه عامة . فأنزل الله عز وجل (وما كان اللهُ مُعَذِّبَهُم)أى وفيهم قوم يستغفرون ـ يعنى المسلمين ـ يدلك على ذلك قوله تبارك اسمه (وما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم

وأَنْتَ فِيهِمْ) ثم قال (ومَا لهُم ألاَّ يُعَذِّبَهُم اللهُ) خاصة (وهُمْ يَصُدُّونَ عن المسْجِدِالحَرَامِ وما كانُوا أولياءَهُ إنْ أولياؤُهُ إلا المتقون) ـ يعنى المسلمين ـ فعذبهم الله بالسيف بعد خروج النبي ﷺ وفى ذلك نزلت ـ سأل سائل بعذاب واقع ـ أى دعا داع يعنى النضر بن الحارث ـ للكافرين ليس له دافع ـ يقول : هو للكافرين خاصة دون المؤمنين وهو معنى قول ابن عباس رضى الله عنه . وقال مجاهد رحمة الله عليه فى قوله تعالى ـ وهم يستغفرون ـ علم أن فى أصلابهم من يستغفرون ﴿غ﴾ (والمكاء) الصفير يقال مكا يمكو . ومنه قيل للطائر مكاء لأنه يصفر (والتصدية) التصفيق ، يقال صدى ، إذا صفق بيديه قال الراجز

صنت بنجد وثنت بنجد وأنا من غزو الهوى أصدى

من الغزو من العجب (فَيَرْكُمَهُ جميعاً) أى يجعله ركاما بعضه على بعض (العُدْوةُ) شفير الوادى يقال عُدْوة الوادى وعِدْوته (إذ يُرِيكَهُمُ اللهُ فى منامِكَ قليلاً) أى فى نومك ويكون فى عينك لأن العين موضع النوم (وتَذْهَبَ رِيحُكُم) أى دولتكم . يقال هبت له ريح النصر ، إذا كانت له الدولة ، ويقال : الريح له اليوم ، يراد الدولة (نَكَصَ على عَقِبَيْهِ) أى رجع على عقبيه أى رجع القهقرى (فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ) أى تظفر بهم (فَشَرِّدْ بِهِم مَنْ خَلْفَهُم) أى افعل بهم فعلا من العقوبة والتنكيل تفرق بهم من وراءهم من أعدائك ويقال : شرد بهم سمع بهم بلغة قريش . قال الشاعر :

أطوّف بالاباطح كل يوم مخافة أن يشرّد بي حكيم[1]

ويقال شرد بهم أي نكّل بهم أي اجعلهم عظة لمن وراءهم وعبرة (فانبِذْ اليهم) أي الق اليهم نقضك العهد لتكون أنت وهم في العلم بالنقض سواء (ولا تحسَبَنّ الذين كفروا سَبقوا) أي ماتوا ثم ابتدأ فقال (إنّهُم لا يُعْجِزون وأعدّوا لهم ما استَطَعْتُمْ من قُوّةٍ) أي من سلاح (وإن جَنَحُوا للِسَّلْم) أي مالوا (لولا كتابٌ من اللهِ سَبَقَ) أي قضاء سبق أنه ستحل لكم الغنائم (والذين كفروا بعضُهُمْ أولياءُ بعضٍ إلاّ تَفْعَلوه تكُنْ فِتْنَةٌ في الأرضِ وفسادٌ كبيرٌ) يريد هذه الموالاة أن يكون المؤمنون أولياء للمؤمنين، والمهاجرون أولياء الأنصار بعضهم من بعض. والكافرون أولياء الكافرين إن لم يكن هذا كذا كانت فتنة في الأرض وفساد (وَأُولُوا الأَرحامِ) الواحد ذو، من غير لفظه، وهو وذو واحد

﴿ غريب سورة التوبة ومشكلها ﴾

(براءة مِنَ اللهِ ورسُولِهِ) أي تبرؤا من الله ورسوله إلى مَن كان له عهد من المشركين من ذلك العهد (فَسِيحُوا في الأرضِ أربعَةَ أشْهُرٍ) أي اذهبوا آمنين أربعة أشهر مَن كانت مدة عهده إلى أكثر من أربعة أشهر أو أقل فان أجله أربعة أشهر (وأذانٌ من الله ورسوله) أي إعلام ومنه أذان الصلاة إنما هو إعلام بها، يقال آذنهم إيذانا فأذنوا إذنا والأَذان اسم مبنى منه ﴿قال أبو محمد﴾ في المشكل: الإله هو الله سبحانه

---

(١) هذا البيت لم يذكر في لسان العرب قائله. وحكيم رجل من بني سليم

فكأنه قال لا يرقبون فى مؤمن الله ولا ذمة فى القريب الإل العهد ويقال القرابة ، ويقال الله ، والذمة العهد ومنه جبرائل فى قراءة من شدد اللام ، ويقال للرحم إل كما اشتق لها الرحم من الرحمن ، وقال حسان

لَعَمْرُكَ إنَّ إلَّكَ فى قُرَيْشٍ   كإلِّ السَّقْبِ من رألِ النَّعَامِ (١)

أى رحمك فيهم وقرباك منهم ومن ذهب بالإلِّ فى قوله (لا يرقبون فى مؤمن إلا) إلى الرحم فهو وجه حسن كما قال الشاعر

دَعَوْا رَحِماً فيناَ ولا يَرقُبُونَها   وصَدَّتْ بأيْديها النساءُ عَن الدِّمِ

يريد أن المشركين لم يكونوا يرقبون فى قراباتهم من المسلمين رحما وقد قال الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ـ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى ـ أى إلا أن تودونى فى قرابتى منكم . وكانت لرسول الله ﷺ ولادات كثيرة فى بطون قريش قال تعالى ـ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم ـ وقال ابن عباس قالت قريش يسألنا أن نوده بالقرابة وهو يشتم آلهتنا ويعيبها ، فأنزل الله عز وجل ـ قل ماسألتكم من أجر فهو لكم ـ ويقال للعهد إل لأنه بالله يكون والإل أيضا العهد وقوله (ولا ذِمَّةً) الذمة العهد والعهد الميثاق ومنه قول الله لابراهيم عليه السلام ـ إنى جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين ـ أى لا ينال ماوعدتك من الامامة الظالمين من ذريتك . والعهد من الله الميثاق . ﴿غ﴾ (كُلَّ مَرْصَدٍ) أى كل طريق يرصدونكم به و (الحجِّ الاكبرِ) يوم النحر

(١) رأل النعام : ولده .

وقال بعضهم يوم عرفة وكانوا يسمون العمرة الحج الأصغر (وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا) أى لم يعينوه والظهير العوين (فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ) يريد وان كانت أكثر من أربعة أشهر هؤلاء بنو ضمرة خاصة (فاذا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ) واحدها المحرم (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ) يعنى من لم يكن له عهد (وَخُذُوهُمْ) أى ائسروهم، والأسير الأخيذ (واحْصُرُوهُمْ) أى احبسوهم، والحصر الحبس (وَلِيجَةً) الوليجة البطانة من غير المسلمين وأصله من الولوج وهو أن يتخذ الرجل من المسلمين دخيلا من المشركين وخليطا وودا (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) أى قذر (وان خفتم عيلَةً) أى فقراً بتركهم الحمل واليكم للتجارات (فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ من فَضْلِهِ) (حتى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ) يقال أعطاه عن يد وعن ظهر يد إذا أعطاه مبتدئاً غير مكاف (يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ) أى يشبهون يريد أن من كان فى عصر النبي ﷺ من اليهود والنصارى ويقولون ماقاله أولوهم (قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) أى من أين يصرفون عن الحق، والافك الكذب لأنه كلام قلب عن الحق . وأصله من أفكت الرجل اذا صرفته عن رأى كان عليه ومنه قيل لمدائن قوم لوط المؤتفكات لانقلابها . قال الشاعر هو ابن أذينة :

إن تكُ عَنْ أَحْسَنِ الصَّنِيعَةِ مأْ فُوكا ففى آخرينَ قد أَفِكُوا

أى ان تك عن أحسن الصنيعة معدولا وكذلك الفجور هو الميل عن الحق الى الباطل . ويقال للكذب أيضاً فجور لأنه ميل عن الصدق

والافتراء الاختلاق قال ـ ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب ـ أى يختلقونه ومنه قيل افترى فلان على فلان اذا قذفه بما ليس فيه أو قذف أبويه (اتَّخَذُوا أحبارهم ورُهبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ) يريد أنهم كانوا يحلون لهم الشيء فيستحلونه ويحرمون عليهم الشيء فيحرمونه (إنّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثنى عَشَرَ شَهْراً فى كِتَابِ اللهِ يومَ خَلَقَ السَّمواتِ والأَرضَ منها أربعةٌ حُرُمٌ) ثم قال (ذلك الدين القيمُ) أى ذلك الحساب الصحيح والعدد المستوى * والأربعة الحرم: ذو القعدة. وذو الحجة. والمحرم. ورجب. وقال قوم هى الأربعة الأشهر التى أجلها رسول الله ﷺ المشركين فقال ـ فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر ـ وهى شوال، وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، واحتجوا بقوله عز وجل ـ فاذا انْسَلَخَ الأَشهرُ الحرُمُ فاقتلوا المشركينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهم ـ وأنكروا أن يكون رجب منها وكانت العرب تعظم رجبا وتسميه مَنْصِلَ الأَسنَّة ومنصل الإل لأنهم كانوا ينزعون الأسنة فيه والإل وهى الحراب، ويسمونه شهر الله الاصم، لأنهم كانوا لايحاربون فيه لأنه محرم فلا يسمع فيه تداعى القبائل وقعقعة السلاح قال الأعشى:

تداركه فى مَنْصِلِ الالِّ بعد ما مضى غير دأداء وقد كان يذهب[1]

وقال حميد بن ثور يصف إبلا

رعينَ المِرارَ الجُونَ من كل مذنَبِ

(١) فى لسان العرب: يعطب.

شُهورَ جُمادى كلَّها والمُحَرَّما

يريد بالمحرم رجبا وأما قول الله عز وجل ـ فاذا انسلخ الأَشْهُرُ الحُرُمُ ـ فانما عنى الثلاثة منها لأنها متوالية ، ولأنه جعل منها شوالا وأخرج رجبا . ويقال إن الأربعة أشهر التى أجلها رسول الله ﷺ المشركين من عشر ذى الحجة الى عشر من ربيع الآخر وسماها حُرُما لأنه حَرَّم فيها قتالهم وقتلهم والنسيء نسء الشهور وهو تأخيرها، وكانوا يؤخرون تحريم المحرم منه سنة ويحرمون غيره مكانه لحاجتهم الى القتال فيه ثم يردونه الى التحريم فى سنة أخرى كأنهم يستنسئون ذلك ويستعرضونه (لِيُوَاطِئُوا) أى ليوافقوا (عِدَّةَ ما حرَّمَ اللهُ) يقول إذا حرموا من الشهور عدة الشهور المحرمة لم يبالوا أن يُحِلُّوا الحرام ويُحَرِّموا الحلالَ (إثَّاقلتُمْ الى الارْضِ) أى تثاقلتم فادغم التاء فى الثاء وأحدث ألفا ليسكن ما بعدها وأراد قعدتم ولم تخرجوا وركنتم الى المقام (فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ) السكينة السكون والطمأنينة (عليه) قال قوم على أبى بكر الصديق رضوان الله عليه ،واحتجوا بأن رسول الله ﷺ كان مطمئنا يقول لصاحبه ــ لا تحزن ان الله معنا ــ والمذعور صاحبه فأنزل الله سبحانه عليه السكينة (وأَيَّدَهُ) أى قواه بملائكته قال الزهرى الغار فى جبل يسمى ثورا ومكثا فيه ثلاثة أيام . (انفِروا خِفَافاً وَثِقالاً) أى لينفر منكم من كان مخفا ومثقلا . والمخف يجوز أن يكون الخفيف الحال ويكون الخفيف الظهر من العيال . والمثقل يجوز أن يكون الغني ويجوز أن يكون الكثير العيال ويجوز أن يكون المعنى

شبابا وشيوخا والله أعلم بما أراد . وقد ذهب المفسرون الى نحو ماذهبنا اليه (الشُّقةُ) السفر (مازادُوكُم الاَّ خبَالاً) أى شرا والخبالُ والخبْلُ الفساد (ولأَوْضَعوا خِلاَلكم) من الوضع وهو سرعة السير يقال وضع البعير وأوضعته إيضاعا والوجيف مثله (خِلاَلَكم) فيما بينكم (يَبغُونَكم الفِتنَةَ) يعنى الشرك (وفيكم سَمّاعُونَ لَهُم) يعنى المنافقين يستمعون ما يقولون ويقبلونه (إن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تسؤْهم) أى ظفر (وإن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ) أى نكبة (يَفْرحُوا بها وَيقولوا قَدْ أَخذْنا أمرَنا مِنْ قَبْلُ) أى أخذنا الوثيقة فلم نخرج (إحْدَى الحُسْنَيَيْن) الشهادة والاخرى الغنيمة (أو مُدَّخَلاً) أى مدخلا يدخلونه (لَوَلّوْا اليْه) أى لرجعوا عنك اليه (وهم يَجْمَحُونَ) أى يسرعون روغانا عنك ومنه قيل فرس جموح اذا ذهب فى عدوه فلم يثنه شىء (وَمِنْهُم مَنْ يَلمِزُكَ فى الصَّدَقاتِ) أى يعيبك ويطعن عليك يقال همزت فلانا ولمزته أى اغتبته وعبته ومنه قوله تعالى ـ ويل لكل همزة لمزة ـ (إنّمّا الصَّدَقاتُ لِلفقُراءِ) وهم ضعفاء الاحوال الذين لهم البلغة من العيش (وَالمسَاكِينِ) الذين ليس لهم شىء قال قتادة الفقراء[1] الذى به زمانة والمسكين[2] الصحيح المحتاج (والعَامِلِينَ عَلَيْها) أى أعمال[3] الصدقة وهم السعادة (والمُؤَلَّفةِ قلُوبُهمْ) الذين كان النبى صلى الله عليه وسلم يتألفهم على الاسلام (وفى الرِّقَاب) أى المكاتبين أراد فك الرقاب

(١) الضمير راجع اليه باعتبار مفرده
(٢) كذا بالأصل . وارد به مفرد المساكين الذى هو نص القرآن الكريم
(٣) تفسير للضمير فى عليها والمراد العاملين فى أعمال الصدقة

من الرق (والغَارِمينَ) من عليه الدين ولا يجد القضاء ، وأصل الغرم الخسران ومنه قيل فى الرهن : له غنمه وعليه غرمه . أى له ربحه وعليه خسرانه وهلاكه فكأن الغارم هو الذى خسر ماله ، والخسران النقصان ويكون الهلاك قال الله عز وجل ـ الذين خسروا أنفسهم وأهليهم ـ وقد يشتق من الغرم اسم الهلاك خاصة ، من ذلك قوله تعالى ـ إن عذابها كان غراماً ـ أى هلاكا ، ومنه يقال : فلان مغرم بالنساء أى مهلك بهن ويقال ماأشد غرامه واغرامه بالنساء أى هلاكه بهن (ويَقُولون هو أُذُنٌ) أى يقبل كل ماقيل له (قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُم) أى يقبل منكم ماتقولون له خلالكم ، إن كان ذلك كما تقولون ولكنه (يؤمِنُ باللهِ ويؤمِنُ للمؤمِنين) أى يصدق الله ويصدق المؤمنين . وكان المنافقون يقولون : إن محمداً أُذُنٌ فقولوا ماشئتم فانا متى أتيناه واعتذرنا عنده صدقنا فأنزل الله عز وجل قل أَذُنُ خَيْرٍ لكم ـ إن كان الأمر كما تذكرون ولكنه إنما يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين أى يصدق الله ويصدق المؤمنين لا أنتم والكلام استعارة والأصل أن الأذن هى السامعة فقيل لكل من صدق بكل خير يسمعه أذن ومنه يقال أذنتك الامر فأذنت كما تقول أعلمتك فعلمت . إنما هو أوقعته فى أذنك ومنه قالت الشعراء

* آذنتنا ببينها أسماء *(١)

ومنه الاذانُ إنما هو : إعلام الناس بالصلاة وقوله ـ وأذان من الله ـ

---

(١) هذا صدر بيت ابتداء معلقة الحارث بن حلزة وعجزه : رب ثاو يمل منه الثواء

أى إعلام (ويَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ) من الاستعارة يريدون يمسكون أيديهم عن العطية وأصل هذا أن المعطى بيده يمدها ويبسطها بالعطاء فقيل لكل من بخل ومنع قد قبض يده . ومنه قول اليهود ـ يد الله مغلولة ـ أى ممسكة ﴿غ﴾ (نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ) أى تركوا ما أمرهم الله به فتركهم (فاستمتعوا بِخَلاقِهِمْ) أى بنصيبهم من الآخرة فى الدنيا (والمؤتفكاتُ) مدائن قوم لوط لأنها ائتفكت أى انقلبت (جَاهِدِ الكُفَّارَ) بالسيف (وَالمنافِقِينَ) بالقول الغليظ وقوله (وما نقموا) منهم (إلاَّ أَنْ أَغناهُمُ اللهُ ورسولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) أى ليس ينقمون شيئاً ولا يعرفون من الله تبارك وتعالى إلا الصنع الجميل وهذا كقول الشاعر [1]

مانَقَمَ النَّاسُ مِنْ أميةَ إلاَّ أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إنْ غَضِبُوا
وأنَّهُمْ سَادَةُ المُلوكِ فَلا تَصْلُحُ إلاَّ عليْهِمُ العَرَبُ

وهذا ليس بنقم وانما أراد أن الناس لا ينقمون عليهم شيئاً وهو كقول النابغة :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بِهِنَّ فُلولٌ من قِرَاعِ الكتائِبِ

أى ليس فيهم عيب (الذينَ يَلْمِزُونَ المطَّوِّعينَ) أى يعيبون المطوعين بالصدقة (والذينَ لا يَجِدُونَ الا جُهْدَهُم) أى طاقتهم . والجهد الطاقة والجهد المشقة يقال قد فعل ذلك بجهد أى بمشقة (سَخِرَ اللهُ مِنهم) أى

(١) هو عبيد الله بن قيس الرقيات . وفى شواهد الكشاف : ما نقموا من أمية .

جازاهم جزاء السخرية (فاقْعُدُوا معَ الخَالِفِينَ) واحدهم خالف ويقال لمن يخلف الرجل فى ماله وبيته (استأذنَكَ أولوا الطَّوْلِ مِنْهُم) أى ذووا الغنى والسعة (رَضُوا بأنْ يَكُونوا مَعَ الخوالِفِ) يقال النساء ويقال هم خساس الناس وأدنياؤهم ، يقال فلان خالفة أهله ، إذا كان دونهم (المُعَذِّرون) هم الذين لايجدون إنما يعرضون أن يفعلوه يقال عذرت فى الامر اذا قصرت وأعذرت أى جددت ويقال المعذرون هم المعتذرون أدغمت التاء فى الذال ومن قرأ ـ المُعْتَذِرون ـ فانه من أعذرت فى الأمر (من يَتَّخِذُ ماينْفِقُ مغْرَماً) أى غرما وخسرانا (وَيَتَرَبَّصُ بكُم الدَّوائرَ) دوائر الزمان بالمكروه ودوائر الزمان صروفه التى تأتى مرة بالخير ومرة بالشر (ويأخُذُ الصَّدَقَات) يقبلها ومنه ـ خذ العفو ـ أى اقبله (سَنُعَذِّبهم مَرَّتَيْنِ) بالقتل والأسر . وقال الحسن رحمه الله عذاب الدنيا وعذاب القبر (وصَلَوات الرسولِ) دعاؤه وكذلك قوله جل وعز (وصَلِّ عليْهم) أى ادع لهم (إنَّ صلاتَكَ سَكَنٌ لهم) أى دعاءك تثبيت لهم وطمأنينة (وآخرونَ مُرجَوْنَ لأَمرِ اللهِ) أى مؤخرون على أمره (مَسْجِداً ضِراراً) أى مضارة (وإرْصَاداً) ترقبا بالعداوة يقال رصدته بالمكان أرصده أى ترقبته وأرصدت له فى العداوة . وقال أبو زيد رصدته بالخير وغيره أرصده رصدا وأنا راصده وأرصدت له بالخير وغيره إرصادا وأنا مرصد له . وقال ابن الاعرابى : أرصدت له بالخير والشر جميعا بالالف (على شفا جرُفٍ) هار والجرف مايتجرف بالسيول من الأَودية والهائر الساقط ومنه يقال تهور البناء اذا سقط وانهار (السائحون)

الصائمون . وأصل السائح الذاهب فى الارض ومنه يقال ماء سائح وسيح اذا جرى وذهب. والسائح فى الارض ممتنع من الشهوات فسمى الصائم به لامساكه بصومه عن المطعم والمشرب والنكاح (الأَوّاه) المتأوه حزناً وخوفا . قال المثقف العبدى ـ وذكر ناقته

إذا ماقمتُ أرْحِلها[1] بليلٍ تأوّه آهةَ الرجل الحزين

(تزيغ قلوبُ فريقٍ منهم) أى تعدل وتميل (حتى اذا ضاقتْ عليهم الأَرضُ بما رحُبَتْ) أى بما اتسعت يريد ضاقت عليهم مع سعتها (وظنوا أنْ لا مَلْجأ من الله الاّ اليه) أى استيقنوا أن لا ينجيهم من الله ومن عذابه غيره (ولا مخمصةٌ) المخمصة المجاعة وهو الخمص (لينفروا كافّة) أى جميعاً (فلولا نَفر مِنْ كل فِرْقَةٍ) أى هلاّ نفر (فَزادتْهُم رِجْسًا الى رِجْسِهِم) أى كفراً الى كفرهم (عَزيزٌ عليه ماعنِتّم) أى شديد عليه ماأعنتكم وصدكم

(تمت السبع الطوال والحمد لله رب العالمين)

قال أبو محمد رحمه الله فى صدر الغريب . والسبع الطوال آخرها براءة وكانوا يرون الانفال وبراءة سورة واحدة لانهما جميعا نزلتا فى مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك لم يفصلوا بينهما قال والسور التى تعرف بالمئين هى ما وَلِىَ السبع الطوال سميت بمئين لأن كل سورة منها تزيد على مائة أو تقاربها . والمثانى ما وَلِىَ المئين من السور التى دون المائة

(١) فى شواهد الكشاف : اذا ماقمت ارحله . وهو موافق لقوله : تأوه

كأن المثين مباد ، وهذه مثان وقد تكون المثانى سور القرآن كلها قصارها وطوالها ويقال من ذلك قول الله عز وجل ـ كتابا متشابها مثانىَ ـ ومنه قوله تعالى ــ ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم ــ وإنما سمى القرآن مثانى لأن الانباء والقصص تثنى فيه ، ويقال المثانى فى قوله عز وعلا ــ ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم ــ يريد آيات سورة الحمد ، سماها مثانى لأنها تثنى فى كل صلاة . والمفصل مايلى المثانى من قصار السور سميت مفصلا لقصرها وكثرة الفصول فيها بسطر بسم الله الرحمن الرحيم . وأما آل حاميم فانه يقال إن حم اسم من أسماء الله عز وجل أضيفت هذه السورة اليه كانه قيل سورة الله لشرفها وفضلها قال الكميت :

وجدنا لكم فى آل حاميم آية ... تأولها منا تقى ومعرب

وقد يجعل حاميم اسما للسورة ويدخله الاعراب ولا يصرف ومن قال هذا قال فى الجمع الحواميم كما يقال طس والطواسين

﴿ غريب سورة يونس عليه السلام ومشكلها ﴾

قوله عز وجل (قَدَمَ صِدْقٍ) يعنى عملا صالحاً قدموه . (وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ) أى جعله ينزل كل ليلة بمنزل من النجوم وهى ثمانية وعشرون منزلا فى كل شهر (إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) أى لايخافون (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ) إذا دعوا به على أنفسهم عند الغضب وعلى أهليهم وأولادهم واستعجلوا به كما يستعجلونه بالخير ويسألونه الرزق والرحمة

(لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُم) أي لماتوا ففي الكلام حذف للاختصار كأنه قال ولو يعجل الله للناس إجابتهم في الشر الذي يستعجلونه استعجالهم بالخير لهلكوا ﴿ غ ﴾ (وإذَا أَذَقنا النَّاس رَحمةً) يعني فرجا من بعد كرب (إِذَا لَهُم مَكرٌ في آياتنَا) أي قول بالطعن والحيلة ليجعلوا لتلك الرحمة سببا آخر (إنّ رُسُلَنَا يَكتُبونَ ما تَمكُرُونَ) أي ماتقولون (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) أي نظرة إلى يوم القيامة (أو بَدِّلْهُ) كانوا يقولون للنبي ﷺ اجعل آيةَ رحمة آيةَ عذاب وآيةَ عذاب آيةَ رحمة (وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ) أي ولا أعلمكم به (وَظَنُّوا أَنَّهُم أُحِيطَ بِهِمْ) دنوا للهلكة وهو استعارة وأصل هذا أن العدو إذا أحاط ببلد فقد دنا أهله من الهلكة. (فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ) يريد أن الأرض أنبتت بنزول المطر فاختلف النبات بالمطر فاتصل كل واحد بصاحبه (حتى إذا أَخَذَت الأَرْضُ زُخْرُفَهَا) أي زينتها بالنبات. وأصل الزخرف الذهب، ثم يقال للنقش وللنور والزهر، وكل شيء زين زخرف. يقال أخذت الارض زخرفها وزخارفها، أي زخرت بالنبات كما تزخر الأودية بالماء (وَجَرَيْنَ بِهِمْ) قد ذكر في باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه حيث يخاطب الشاهد بشيء ثم يجعل الخطاب له على لفظ الغائب، وكذلك قول الله عز وجل ـ حتى إذا كُنتُم في الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ـ ومثله ـ وما آتيتُم مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وجهَ اللهِ فأولئك هُمُ المُضْعِفُونَ ـ ﴿ غ ﴾ (وظَنَّ أَهلُهَا أَنَّهم قادِرُونَ عَلَيْهَا) أي على ما أنبتته من حب وثمر (كأَنْ لَمْ تَغْنَ بالأَمْسِ) أي كأن لم تكن عامرة بالأمس

والمغاني : المنازل . واحدها مغنى وغنيت بالمكان إذا أقمت به (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحسْنَى) أى المثل (وزِيَادَةٌ) التضعيف حتى تكون عشراً وسبعمائة وما شاء الله ، يدل على ذلك قوله عز وجل — والذين كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا ولا يرهقُ وجوهَهُم قَتَرٌ ولَا ذِلَّةٌ — أى لا يغشاها غبار وكذلك ـ القترة ـ (مَالَهُم مِنَ اللهِ مِنَ عاصِمٍ) أى من مانع (كأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وجُوهُهُم قِطَعًا مِنَ اللَّيلِ مُظْلِماً) جمع قطعة ومن قرأها قطعا من الليل أراد اسم ماقطع تقول قطعت الشيء قطعافتنصب أول المصدر واسم ماقطعت منه فسقط قطع (فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ) أى فرقنا بينهم وهو من زال يزول وأزلته (هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسلَفَتْ) أى تقرأ فى الصحف ما قدمت من أعمالها ومن قرأ تبلو أراد تختبر(حقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ) أى سبق قضاؤه (أمَّنْ لَا يَهِدِّى) أرادمن لا يهتدى فأدغم التاء فى الدال . ومن قرأها يهدى خفيفة فانها بمعنى يهتدى . قال الكسائى: يقول قوم من العرب: هديت الطريق بمعنى اهتديت(وما كانَ هَذَا القُرآنُ أن يفْتَرى مِنْ دُونِ اللهِ) أى يضاف إلى غيره أو يختلق (ولَمَّا يأْتِهِمْ تأويلُهُ) أى عاقبته (قل إى ورَبِّى) إى : بمعنى بلى ، وهى تأتى قبل اليمين صلة لها . ﴿غ﴾ (قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ) فضله الاسلام ورحمته القرآن (يُفيضُونَ فيه) أى يأخذون فيه يقال أفضنا فى الحديث ﴿ش﴾ (وَما يَعْزُبُ عَنْهُ) أى ما يبعد ولا يغيب (مِثْقَالُ ذَرَّةٍ)أى وزن نملة صغيرة (لَهُمُ الْبُشْرى فِى الحيَاة الدُّنيَا)يقال الرؤيا الصالحة (وفِى الآخِرَةِ) الجنة (لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ) أى لا خلف

لمواعيده (وإن هُمْ إلاّ يخرُصُونَ) أي يحبسون ويحزون (إنْ عندَكُم مِنْ سُلْطَانٍ بِهذا) أي ماعندكم من حجة (فأَجْمِعُوا أمرَكُم وشُرَكاءَكُمْ) أي فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم (ثمّ لا يَكنْ أمركُم عَليكُم غُمّةً) أي غما عليكم كما يقال كرب وكربة (ثم اقْضُوا إلىّ) أي اعملوا بى ماتريدون (ولا تُنْظِرُونِ) ومثله ـ فاقضِ ما أنت قاضٍ ـ أي اعمل ماأنت عامل (أجِئْتنا لِتلفِتنا) أي لتصرفنا يقال : لفت فلانا عن كذا إذا صرفته . والالتفات منه إنما هو الانصراف عما كنت مقبلا عليه (وتكونَ لَكُمَا الكِبْرياءُ فى الأَرضِ) أى الملك والشرف (على خَوفٍ من فِرْعَونَ وملَإِيهِمْ أنْ يَفْتِنَهُمْ) الملأ الأشراف والأصحاب أن يفتنهم وأن يقتلهم ويعذبهم (واجْعلوا بيُوتكُم قِبلةً) أى نحو القبلة ويقال : اجعلوها مساجد (اطْمِسْ على أمْوَالِهِمْ) أى أهلكها وهو من قولهم طمس الطريق إذا عفا ودرس (واشْدُدْ على قُلوبِهِمْ) أى اقسها (فأتبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ) لحقهم يقال : اتبعت القوم لحقتهم وتبعتهم كنت فى إثرهم (وعَدْواً) أى ظلما (فاليَومَ ننَجِّيكَ بِبَدَنِكَ) قال أبو عبيدة: نلقيك على نجوة من الأرض، أي ارتفاع. والنجوة والنبوة ما ارتفع من الارض ببدنك أى وحدك (لِتكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيةً) أى بعدك (بوّأنا بَنِي إسْرائيل مُبَوّأَ صِدْقٍ) أى أنزلناهم منزل صدق . ومن باب التعويض : قوله جل ثناؤه ـ فان كُنْتَ فى شَكٍّ مِمّا أنزلنَا إليْكَ ـ وقد ذكره أبو محمد فى باب الحكاية عن الملحدين الذين ادعوا أن فى القرآن تناقضا واختلافا ، فقالوا فى هذه الآية : هل كان النبي ﷺ شك فيما أتى به جبريل عليه السلام ؟ وكيف

يدعو الشاكين وهو على مثل سبيلهم ؟ وكيف يرتاب بما يأتيه به الروح الأمين ، ويأتيه البلج واليقين بخبر أهل الكتاب عنه أنه حق وهم يكذبون ويحرفون ، ويقولون على الله مالا يعلمون ؟ فرد عليهم أن المخاطبة للنبي ﷺ والمراد غيره . قال أبو محمد : في هذه الآية تأويلات ﴿ أحدها ﴾ أن تكون المخاطبةُ لرسولِ الله ﷺ والمرادُ غيرُه من الشُّكَّاكِ . لأن القرآن نزل عليه بمذاهب العرب كلها وهم قد يخاطبون الرجل بالشيء يريدون غيره ولذلك يقول متمثلهم : * إياكِ أعني واسمعي ياجاره * ومثله قوله عز وجل ـ يأَيها النبيُّ اتَّقِ اللهَ ولا تُطِعِ الكافِرِين والمنافِقين إن الله كانَ عليماً حكيماً ـ الخطاب للنبي ﷺ والمراد بالوصية والعظة المؤمنون ، يدلك على ذلك قوله تعالى ـ واتَّبِعْ ما يُوحى إليكَ مِنْ ربكَ إن الله كان بما تعملون خبيراً ـ ولم يقل بما تعمل خبيرا . ومثل هذه الآية قوله ـ واسأل من أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا ـ يعني أهل الكتاب فالخطاب للنبي ﷺ والمراد المشركون . ومثل هذا قول الكميت في مدح رسول الله ﷺ

إلى السِّراج المنير أحمد لا تعدلني رغبة ولا رهب

عنه إلى غيره ولو رفع الـ ناس إلىّ العيونَ وارتقبُوا

وقيل أفرطت بل قصدت ولو عنَّفني القائلون أو ثلبوا

لجّ بتفضيلكَ اللِّسانُ ولو أكثر فيك اللجاج واللَّجَبُ

أنت المصفى المحض المهذب في النِّسبةِ إن قصّ قومكُ النسبُ

فالخطاب للنبي ﷺ وإنما أراد أهل بيته ، فورى عن ذكرهم به وأراد

بالعائبين واللائمين بنى أمية وليس يجوز أن يكون هذا للنبى ﷺ لأنه ليس من المسلمين أحد يسوءه مدحه ﷺ ولا يعنف قائلا عليه ، ومن ذا يساوى به أو يفضل عليه ؟ حتى يكثر فى مدحه الضجاج واللجب ؟ وإن الشعراء ليمدحون الرجل من أوساط الناس فيفرطون ويطنبون ويغلون وما يرفع الناس اليهم العيون ولا يرتقبون فكيف يلام على هذا الاقتصاد فى مدح من الافراط فى مدحه تفريط ، ولكنه أراد أهل بيته . والتأويل الآخر أن يكون الناس كانوا فى عصر النبى ﷺ أصنافا ، منهم كافر به مكذب لا يرى إلا أن ماجاء به الباطل ، وآخر مؤمن به مصدق يعلم أن ماجاء به الحق ، وشاك فى الأمر لا يدرى كيف هو فهو يقدم رجلا ويؤخر رجلا ، فخاطب الله عز وجل هذا الصنف من الناس فقال ـ فان كُنْتَ ـ أيها الانسان ـ فى شكٍّ مما أنزلنا اليكَ ـ من الهدى على لسان محمد ـ فسَل ـ الأكابر من أهل الكتاب والعلماء ـ الذين يقرءون الكتاب من قَبْلِكَ ـ مثل عبد الله بن سلام وسلمان الفارسى ، وتميم الدارى وأشباههم ، رحمة الله عليهم . ولم يرد المعاندين منهم فيشهدون على صدقه ويخبرون بنبوته ، وما قدمه الله عز وجل فى الكتب من ذكره وقال ـ أَنْزَلنَا اليكَ ـ وهو يريد غير النبى ﷺ ، كما قال فى موضع آخر ـ لقد أنزلنا اليكمِ كتابا فيه ذِكْرُكُمْ ـ ووحد وهو يريد الجمع كما قال ـ يأيها الانسان ماغرّكَ بربِّكَ الكريم ـ ويأيها الانسان إنك كادِحٌ إلى ربّكَ كَدْحا ـ وإذا مس الانسانَ ضُرٌّ ـ ولم يرد فى جميع هذا إنسانا بعينه إنما هو لجماعة الناس ومثله قول الشاعر

إذا ما كنت متخذاً صاحبا　　فلا تصحبن فتى دارميا

لم يرد بالخطاب رجلا بعينه. إنما أراد من كان متخذا صاحبا فلا يجعله من دارم، وهذا وإن كان جائزا حسنا فان المذهب الأول أعجب إليّ لأن الكلام اتصل حتى قال ـ أفأنت تُكره الناسَ حتى يكونُوا مؤمنين ـ وهذا لايجوز أن يكون إلا لرسول الله ﷺ (فَلولا كانتْ قريةٌ آمنتْ فنفعَها إيمانُها إلاّ قومَ يونُسَ) أى فهلا آمنت قرية غير قوم يونس (قل انظُرُوا ماذا فى السّمواتِ) من الدلائل (وما فى الأرض) واعتبروا

﴿غريب سورة هود عليه السلام ومشكلها﴾

(أُحكِمَتْ آياتهُ) فلم تنسخ (ثم فُصِّلَتْ) بالحلال والحرام ويقال فصلت أنزلت شيئاً بعد شىء، ولم تنزل جملة (مِن لَدنْ حَكيمٍ خَبيرٍ) أى من عند حكيم خبير ﴿ش﴾ قال أبو محمد: لدن بمعنى عند قال ـ قَدْ بَلَغْتَ من لدنِّى عُذْراً ـ أى بلغت عندى. وقد تحذف منها النون كما تحذف من لم يكن قال الشاعر (١)

من لدُ لحييه إلى منخوره

أى من عند لحييه، وفيه لغة أخرى ـ لدى ـ قال الله تعالى: ـ وألفيا سيِّدَها لدى البابِ ـ أى عند الباب (يُمَتِّعكُمْ متَاعا حَسناً) أى يعمركم، وأصل الامتاع الإطالة يقال: أمتع الله بك، ومتع الله بك إمتاعا ومتاعا، والشىء الطويل ماتع وقدمتع النهار إذا تطاول (يَثْنُونَ صُدُورَهُم) أى يطوون مافيها ويسترونه (لِيَسْتَخفُوا) بذلك من الله عز وجل (ألاحِينَ يَستَغشُونَ

(١) هو غيلان بن حريث. وصدر البيت: يستوعب النوعين من خريره.

ثيابهم) أي يستترون بها ويستغشونها ﴿ش﴾ ألا تنبيه وهي زيادة في الكلام تقول ألا إن القوم خارجون تريد بها فهم إعلم أن الأمر كذا ﴿غ﴾ (ويعلمُ مُسْتَقَرَّهَا ومُسْتَوْدَعَهَا) . قال ابن مسعود . مستقرها الأرحام ومستودعها الأرض التي تموت فيها (إلى أمةٍ) أي إلى حين بغير توقيت . وأما قوله تعالى ـ وادّكر بعد أمة ـ فيقال بعد سبع سنين و(يؤوسٌ) فعول من يئست أي قنوط (ذَهَبَ السّيئَاتُ عَنِّي) أي البلايا (من كانَ يُرِيدُ الحياةَ الدُّنيا وزينتَهَا نُوَفِّ اليهِمِ أعمالَهُم فيها) أي نؤتهم ثواب أعمالهم فيها (وهم فيها لا يُبْخَسُونَ) أي لا ينقصون ﴿ش﴾ (لا جَرَمَ) أي حقا قال الفراء . هي بمنزلة لا بد ولا محالة ثم كثرت في الكلام حتى صارت بمنزلة حقا . وأصل جرمت كسبت قال وقال الشاعر :[(١)] —

ولقد طعنتُ أباعيينة طعنة ... جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا

أي كسبتهم الغضب أبدا . قال : وليس قول من قال : حق لفزارة الغضب بشيء . ويقال فلان جارم أهله أي كاسبهم وجريمتهم ولا أحسب الذنب يسمى جرما إلا من هذا لأنه كسب واقتراف ﴿ش﴾ (أَفَمَنْ كانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) الآية قال أبو محمد : هذا كلام مردود إلى ماقبله محذوف منه الجواب للاختصار ، وإنما ذكر الله سبحانه قبل هذا الكلام أقواما ركنوا إلى الدنيا ورضوا بها عوضا من الآخرة وزينتها فقال ـ من كان يُريدُ الحياةَ الدنيا وزينتَهَا نُوَفِّ إليهم أعمالَهم فيها وهم فيهَا

---

(١) هو أبو أسماء بن الضريبة .

لا يبخسون ـ أى نوفهم أعمالهم فى الدنيا إذا كان عملهم لها وطلبهم ثوابها و (لَيسَ لَهُمْ فى الآخرةِ إلا النَّارُ وحبِطَ ما صَنَعوا فيهَا) أى ذهب وبطل لأنهم لم يريدوا الله عز وجل بشىء منه ثم قايس بين هؤلاء وبين النبى ﷺ وصحابته فقال (أفَمَنْ كانَ على بَيّنَةٍ مِن رَبِّه) يعنى محمداً ﷺ (ويَتلوه شاهِدٌ مِنْه) أى من ربه ، الهاء مردودة إلى الله تعالى والشاهد من الله للنبى جبريل صلوات الله عليهما وسلامه يريد أنه يتبعه يؤيده ويسدده ويقال الشاهد القرآن يتلوه يكون بعده تاليا شاهداً له. وهذا أعجب إلىّ لأنه يقول: (وَمِنْ قَبلِهِ كِتابُ مُوسى) يعنى التوراة (إماماً ورَحمةً) قبل القرآن ويشهد له بما قدم الله فيها من ذكره والجواب ها هنا محذوف أراد أفمن كان هذه حاله كهذا الذى يريد الحياة الدنيا وزينتها ؟ فاكتفى من الكلام بما تقدم إذ كان فيه دليل عليه ، ومثله ـ أفَمَنْ هو قانِتٌ آناءَ اللَّيلِ ساجداً وقائما يَحذَرُ الآخرةَ ويَرجُو رحمةَ ربِّه ـ لم يذكر الذى فى ضده لأنه قال بعد ـ هَلْ يستَوى الَّذينَ يعلَمُون والَّذينَ لا يعلَمُونَ ـ والقانتون آناء الليل والنهار هم الذين يعلمون ، وأضدادهم هم الذين لا يعلمون فاكتفى من الجواب بما تأخر من القول إذ كان فيه دليل عليه وقوله (أولئِكَ يؤمِنونَ بِهِ) يعنى أصحاب محمد ﷺ يؤمنون بهذا (وَمَنْ يَكفُر به منَ الأَحزَابِ) يعنى مشركى العرب وغيرهم على ما تقدم فى باب الكناية . ﴿ غ ﴾ (أراذِلُنَا) شرارنا جمع أرذَل يقال رجل رذل وقد رذل رذالة ورذولة (بادِىَ الرَّأى) أى ظاهر الرأى بغير همز من قولك : بدا لىَ ما كان خفيا أى ظهر ومن همزه

جعله أول الرأى من بدأت فى الأمر فأنا أبدأ (أرأيتم إن كنت على بينة من ربى) على يقين وبيان (فعميت عليكم) أى عميتم عن ذلك يقال عمِيَ علىّ الأمر إذا لم يفهمه وعميت عنه بمعنى (أنلزمكموها) أى نوجبها ونأخذكم بفهمها وأنتم تكرهون ذلك (قل إن افتريته) أى اختلقته (فعلىّ إجرامى) أى جُرْم ذلك الاختلاق إن كنت فعلت (وأنا برىء مما تجرمون) فى التكذيب (والفلك) السفينة وجمعها فلك مثل الواحد (من كلّ زوجين اثنين) أى من كل ذكر وأنثى اثنين (وأهلك إلاّ من سبق عليه القول) أى سبق القول بهلكته (مجراها) مسيرها (ومرساها حيث ترسى وترسو أيضاً أى تقف (يعصمنى من الماء) أى يمنعنى منه (قال لا عاصم اليوم من أمر الله) أى لا معصوم اليوم من أمر الله (إلاّ من رحم) ومثله ماء دافق يعنى مدفوق (وغيض الماء) أى نقص يقال غاض الماء وغضته أى نقص ونقصته (وقُضِيَ الأمر) أى فرغ منه فغرق من غرق ونجا من نجا (والجودىّ) جبل بالجزيرة (إنه ليس من أهلك)لمخالفته إياك . وهذا كما يقول الرجل لابنه إذا خالفه اذهب فلست منك ولست منى لا يريد به دفع نسبه أى قد فارقتك(وإلى عادٍ أخاهم هوداً) جعله أخاهم لأنه منهم (إن نقول إلاّ اعتراك بعض آلهتنا بسوء) أى أصابك بخبل يقال أعرانى كذا وكذا واعترانى إذا ألمّ بى . ومنه قيل لمن أتاك يطلب قائلك عار . ومنه قول النابغة : —

أتيتُك عاريا خلقا ثيابى على خوف تُظَنُّ بىَ الظنونُ

(المَنيدُ) والعاند والعنود المعارض لك بالخلاف عليك (إلاَّ هُوَ آخذٌ بناصِيَتِها) استعارة أى يقهرها ويذلها بالملك والسلطان وأصل هذا أن من أخذت بناصيته فقد أذللته وقهرته ومنه قيل فى الدعاء ناصيتى بيدك أى أنك مالك لى قاهر ﴿ش﴾ (وأُتبِعُوا فِى هَذِه الدُّنيا لعْنَةً) أى أُلحقو (فما تَزِيدُونَنِي غيْرَ تَخْسِيرٍ) أى غير نقصان (بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) أى مشوى يقال حنذت الجمل اذا شويته فى خدٍّ من الأرض بالرضف وهى الحجارة المحماة وفى الحديث أن خالد بن الوليد رضى الله عنه أكل مع رسول الله ﷺ فأتى بضب محنوذ (فلمَّا رَأى أيْدِيَهمْ لاتَصِلُ إليْه) يريد رآهم لا يأكلون (نَكِرَهُم) أنكرهم يقال نكرتك وأنكرتك واستنكرتك (وأوجَسَ مِنهُم خِيفَةً) أى أضمر فى نفسه خوفا (فَضَحِكَتْ) . قال عكرمة : حاضت من قولهم ضحكت الارنب إذا حاضت وغيره من المفسرين يجعله الضحِكَ عينه وكذلك هو فى التوراة ﴿ قال أبو محمد ﴾ وقرأت فى التوراة أنها حين بشرت بالغلام ضحكت فى نفسها وقالت : من بعد ما بلغت أعود شابةً وسيدى إبراهيم قد شاخ فقال الله عز وجل لإبراهيم عليه السلام لم ضحكت سَرّا وقالت أحقٌّ أن ألد وقد كبرتُ فجحدَتْ سَرّا ﴿ قال أبو محمد ﴾ اسم سارة فى التوراة سَرّا وقالت لم أضحك من أجل أنها خشيت فقال بل لقد ضحكت (ومِنْ وَرَاءِ إسْحَاق يَعقُوبُ) أى بعد إسحاق يعقوب قال أبو عبيدة الوَرَاء ولدُ الولد (وَسِيءَ بِهِمْ) فُعِلَ بهم من السوء (وَقَال هَذا يَومٌ عَصِيبٌ) أى شديد ويقال يوم عصيبٌ وعَصَبْصَبٌ (وَجَاءَهُ قَومُه

يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) أي يُسْرِعُون اليه يقال أهرع الرجل اذا أسرع على لفظ مالم يسمّ فاعله كما يقال أُرْعِدَ (هؤلاء بنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) أي تزوجوهن فهن أطهر لكم (في ضَيْفِي) أي في أضيافي والواحد يدل على الجميع كما يقال هؤلاء رسولي ووكيلي (قالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَالَنَا في بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ) أي لم نتزوجهن قبل فنستحقهن (أَوْ آوِي إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ) أي إلى عشيرة عشرة (فأَسْرِ بأَهْلِكَ) أي سر بهم ليلا (بقِطْعٍ) منه أي ببقية تبقى من آخره والقطعة والقطع شيء واحد (حِجارَةً من سِجِّيلٍ) يذهب بعض المفسرين إلى أنها سنك كِلْ بالفارسية ويعتبرونه بقوله عز وجل ـ حجَارةً من طين ـ يعني الآجُرّ كذلك قال ابن عباس رضى الله عنه وقال أبو عبيدة السجيل الشديد وأنشد لابن مقبل

* ضربا تواصتْ به الابطال سجّينا *[1]

قال يريد ضربا شديداً ﴿قال أبو محمد﴾ ولست أدري ما سجّينٌ من سجّيل وذلك باللام وهذا بالنون وإنما سجيل في بيت ابن مقبل فعِّيلٌ من سجنت أي حبست كأنه قال ضرب يُبيِّت صاحبه بمكانه أي يحبسه مقتولاً أو مقاربا للقتل وفعيل لما دام منه العمل كقولك رجل فسّيق وسكّير وسكّيت إذا دام منه الفسق والسُّكُوت والسُّكْر وكذلك سجين إنما هو ضرب يدوم منه الاثبات والحبس . وبعض الرواة يرويه سخين من السخونة أي ضربا سُخنا (مَنْضُودٍ) أي بعضه على بعض كما

(١) هذا عجز بيت وصدره : ورفقة يضربون البيض ضاحية

تُنْضَدُ الثياب وكما ينضد اللبن (مُسَوَّمَةً) أى معلمة بمثل الخواتم والسَّوْمة العلامة (بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ) أى ما أبقى الله لكم من حلال الرزق خير لكم من التطفيف (أَصلاتُكَ تأمُرُكَ) أى دِينُكَ ويقال قراءتك (لا يَجْرِ مَنَّكُمْ شِقَاقِي) أى لا يكسبنَّكم ويجر عليكم شقاقى أى عداوتى أن تهلكوا (ولَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ) أى قتلناك وكانوا يقتلون رجماً فسمِّيَ القتل رجماً ، ومنه قوله عز وجل ـ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وليَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَليم ـ (واتَّخَذْتُمُوهُ وراءَكُمْ ظِهْرِيًّا) أى لم تلتفتوا إلى ما جِئْتُكُمْ به عنه ، تقول العرب جعلتنى ظِهْرِيًا وجعلت حاجتى منك بظَهْرٍ إذا أعرضت عنه وعن حاجته (وارْتَقِبُوا إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ) أى انتظروا إنِّى معكم منتظر (أَلاَ بُعْدًا لِمَدْيَنَ كما بَعِدَتْ ثَمُودُ) يقال بَعِدَ يَبْعَدُ إذا كان بُعْدُهُ هَلَكَةً وبَعُدَ يَبْعُدُ إذا نأى (الرِّفد) العطية يقول اللعنة بئس العطية يقال رفدته أرفده إذا أعطيته وأعنته و (المَرْفُودُ) المعطى كما يقال بئس العطاء المعطى و (ذلكَ مِنْ أَنباءِ القُرى) أىْ من أخبار الأُمَم (منها قائمٌ وحصيدٌ) أى ظاهر للعين وحصيد قد أبيد وحُصِدَ (مازَادُوهُم غير تتبيبٍ) أى غير تخسير ومنه قوله عز وجل ـ تبت يدا أبى لهب ـ أى خسرت (خالدين فيها ما دامت السّمواتُ) ﴿قال أبو محمد﴾ فى باب التناقض والاختلاف فيما رد عليهم من ذلك إن للعرب فى معنى الأبد ألفاظا يستعملونها فى كلامهم يقولون لا أفعل ذاك ما اختلف الليل والنهار وما ظمأ[1]

(١) وما ظمأ كذا فى الأصل ولعله ظغي تحريف من الكاتب

البحر أى ما ارتفع وما أقام الجبل وما دامت السموات والأرض فى أشباه لهذا كثيرة يريدون لا أفعله أبداً لأن هذه المعانى عندهم لا تتغير عن أحوالها أبداً فخاطبهم الله سبحانه بما يستعملون فقال ـ خالدين فيها مادامت السموات والأرض ـ أى مقدار دوامهما وذلك مدة العالم وللسماء والأرض وقت يتغيران فيه عن هيئتهما يقول الله عز وعلا ـ يوم تُبَدَّلُ الأرضُ غير الأرض والسموات ـ وقال تعالى ـ يوم نطوى السماءَ كطىِّ السِّجلِّ للكُتُب ـ فأراد أنهم خالدون فيها مدة العالم سوى ماشاء الله أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم ثم قال (عطاءً غير مجذُوذ) أى غير مقطوع وإلا فى هذا الموضع بمعنى سوى ومثله فى الكلام لأسكُنَنّ فى هذه الدار حولاً إلا ماشئتُ يريد ماشئت أن أزداد على الحول، هذا وجه وفيه قول آخر وهو أن يجعل دوام السموات والأرض فى الدنيا بمعنى الأبد على ماتعرف العرب وتستعمل وإن كانتا قد يتغيران ويستثنى المشيئة من دوامهما لأن أهل الجنة وأهل النار قد كانوا فى وقت من أوقات دوام السموات والأرض فى الدنيا لافى الجنة ولافى النار فكأنه قال خالدين فى الجنة وخالدين فى النار دوام السماء والأرض إلا ماشاء ربك من تعميرهم فى الدنيا قبل ذلك، وفيه وجه ثالث وهو أن يكون الاستثناء من الخلود مكث أهل الذنوب من المسلمين فى النار حتى تلحقهم رحمة الله وشفاعة رسوله الكريم ﷺ فيخرجوا منها إلى الجنة فكأنه قال خالدين فى النار مادامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك من إخراج المذنبين من المسلمين إلى الجنة وخالدين

فى الجنة مادامت السموات والأرض إلاماشاء ربك من إدخال المذنبين النار مدة من المدد ثم يصيرون إلى الجنة (وأما قوله) ـ لايذُوقُون فيها الموْت إلاّ الموْتة الأُولى ـ فان إلاّ فى هذا الموضع أيضا بمعنى سوى ومثله ـ ولاتنكحوا مانكح آباؤكم من النساء إلا ماقد سلف ـ يريد سوى ماقد سلف فى الجاهلية قبل النهى . وإنما استثنى الموتة الأُولى وهى فى الدنيا لأن السعداء حين يموتون يصيرون بما شاء الله من لطفه وقدرته إلى أسباب الجنة ويتفاضلون أيضا فتلك الأسباب على قدر منازلهم عند الله عزوجل فمنهم من يلقاه الروح والريحان ومنهم من يفتح له باب الجنة ومنهم الشهداء وأرواحهم فى حواصل طير خضر تعلق فى الجنة وجعفر بن أبى طالب رضوان الله عليه ذو الجناحين يطير مع الملائكة فى الجنة والله سبحانه يقول ـ ولاتحسبنّ الّذين قُتلُوا فى سبيل الله أَموَاتاً بل أَحْياءٌ عنْد ربّهم يُرزقُون ـ أفما ترى أنهم عندنا موتى وهم فى الجنة متصلون بأسبابها فكيف لايجوز أن يستثنى من مكثهم فيها الموتة الأولى ﴿غ﴾ (غير مَجْذُوذٍ) غير مقطوع يقال جَذَذْتُ وجَدَدْتُ وجَدَفتُ وجذفت إذا قطعت (ولَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبّكَ) أى نظرة لهم إلى يوم القيامة (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) فى الدنيا (فاسْتَقِمْ كما أُمِرْتَ) أى امض على ما أمرت به (وزُلَفاً منَ اللّيْلِ) أى ساعة من الليل بعد ساعة واحدها زُلفة يقال أزلفنى كذا عندك أى أدنانى والمزالف المنازل والدّرج وكذلك الزُّلَفُ . قال العجاج

طيّ الليالي زلفاً فزلفا سماوة الهلال حتى احقوقفا(١)

(فلولا كان من القرون من قبلكم) أى فهلا و (أولوا بقيّة) أى أولوا بقية من دين يقال قوم لهم بقيةٌ وفيهم بقية إذا كانت فيهم مسكة وفيهم خيرٌ (واتبع الذين ظلموا ما أُترفوا فيه) أى ما أعطوا فيه الأموال أى آثروه واتبعوه ففتنوا به (ولا يزالون مختلفين) فى دينهم (إلا من رحم ربُّك) فان دينهم واحد لا يختلفون فيه (ولذلك خلقهم) يعنى لرحمته خلق الذين لا يختلفون فى دينهم وقد ذهب يوم إلى أنه للاختلاف خلقهم والله أعلم بما أراد (وجاءك فى هذه الحقُّ) أى فى هذه السورة (اعملوا على مكانتكم) أى على مواضعكم واثبتوا (إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون) تهديد ووعيد

﴿غريب سورة يوسف عليه السلام ومشكلها﴾

(فيكيدوا لك كيداً) أى يحتالوا عليك ويغتالوك (وكذلك يجتبيك ربك) أى يختارك (ويُعلِّمك من تأويل الأحاديث) أى من تفسير غامضها وتفسير الرؤيا (آياتٌ للسّائلين) أى مواعظ لمن يسأل (ونحنُ عُصبةٌ) أى جماعة يقال العُصْبة من العشرة إلى الأربعين (يخلُ لكُمْ وجهُ أبيكم) أى يفرغ لكم من الشغل بيوسف (وتكونوا من بعْده) أى من بعد إهلاكه (قوما صالحين) أى تائبين (نرتع)

---

(١) قبله : تاج طواه الأين مما وجفا . طى الخ

بتسكين العين أى نأكل ويقال رتعت الإبل إذا رعت وأرتعتها إذا تركتها ترعى ومن قرأ ـ نرتعِ ـ بكسر العين أراد نتحارس ويرعى بعضنا بعضا أى يحفظ ومنه يقال رعاك الله أى حفظك الله و (الجُبُّ) الركية التى لم تطو بالحجارة فاذا طويت فليست بجبٍّ (إنَّا ذهبْنَا نَسْتَبِقُ) يقال ننتصل أى يسابق بعضنا بعضاً فى الرمى يقال سابقته فسبقته سبْقا والخَطَر هو السبَقُ بفتح الباء (ومَا أَنْتَ بمُؤْمنٍ لنَا) أى بمصدِّق لنا (وجاؤُا على قَميصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) أى مكذوب به (قال بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً) أى زيَّنت ـ وكذلك سوّل لهم الشيطانُ أعمالهم ـ أى زينها (وجاءت سَيَّارةٌ) قوم يسيرون (فأرْسَلوا وَارِدَهُمْ) أى وارد الماء ليستقى لهم (فأَدْلى دَلْوَهُ) أى أرسلها يقال أدلى دلوه إذا أرسلها للاستسقاء ودَلَى يدلو إذا جذبها ليخرجها (قال يابُشْرَى هذا غلامٌ) وذلك أن يوسف تعلق بالحبل حين أدلاه أى أرسله (وأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً) أى أسرُّوا فى أنفسهم أنه بضاعةٌ وتجارةٌ (وشَرَوْهُ بِثمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ) اشتروه يعنى السيَّارة ويكون باعوه يعنى الاخوةَ وهذا حرف[1] من الأضداد يقال شريت الشيء بمعنى بعته واشتريته وقد ذكرت هذا وما يشبهه والعلل فيما سلف من كتاب المشكل والبخس الخسيس الذى بخس به البائع (دَرَاهِمَ مَعْدُودَةً) يسيرة سهل عددها لقلتها ولو كانت كثيرة لثقل عددها (أَكْرِمِي مَثْوَاهُ) أى أكرمى منزله ومقامه عندك من قولك ثويت بالمكان إذا أقمت به

(١) كذا بالأصل ولعله ضرب

(أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً) أى نتبنّاه (ولَما بلغَ أشُدَّهُ) انتهى منتهاه قبل أن يأخذ فى النقصان وهو جمع يقال لواحده شد وأشد مثل قد وأقد وهو الجلد ويقال لا واحد له وقد اختلف فى وقت بلوغ الأشد فيقال هو بلوغ ثلاثين سنة ويقال هو بلوغ ثمان وثلاثين سنة (وقالَتْ هَيْتَ لك) أى هلُمّ لك يقال هيّت فلان لفلان إذا دعاه وصاح به قال الشاعر :

قد رابنى أن الكَرِىّ أسكتا لو كان معنيًّا بها لهيّتا

(لَوْلا أنْ رَأى بُرهَانَ رَبِّهِ) أى حجته عليه (وألْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى البَابِ) أى وجداه عند الباب (إنَّكِ كُنْتِ مِنَ الخاطِئِينَ) قال الأصمعى يقال خَطِئَ الرجل يخطأُ خِطْأً إذا تعمّد الذنب فهو خاطىء والخطيئة منه وأخطأ يُخطئُ إذا غَلِطَ ولم يتعمد والإسم منه الخطَأُ مقصور (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) أى بلغ حبّهُ شغَافها وهو غِلاف القلب ولم يرد الغِلاف إنما أراد القلب يقال شغَفت الرجل إذا أصبتَ شغافه كما يقال كبدته إذا أصبت كبده وبطنته إذا أصبت بطنه ومن قرأ شعفها بالعين أراد فتنها من قولك فلان مشعوف بفلانة (فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنّ) أى بقولهن وغيبتهن (وأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتّكأً) أى أعدَّت من العَتاد (متكأ) أى طعاما يقال اتكأنا عند فلانٍ إذا طعمنا وهو من الاستعارة قال جميل :

فَظَلِلْنا بنعمةٍ واتكأنا وشَرِبْنَا الحَلَالَ من قُلَلِهِ

(قال أبو محمد) والأصل أنّ مَنْ دعَوْته ليُطعم أعددت له التَّكأَة للمقام والطمأنينة فسمى الطعام متّكأً على الاستعارة ومن قرأ مُتْكًا فانه

أراد الأُتْرُج ويقال الزُّماوَرْدُ (قال أبو محمد) وأيّاما كان فإني لا أحسبه سمى متكاً إلا بالقطع كأنه مأخوذ من البتك فأبدلت الميم فيه من الباء كما يقال سمّد رأسه وسبّده وشيء لازب ولازم والميم تبدل من الباء لقرب مخرجيهما ومنه قيل للمرأة التي لم تحض والتي لا تحبس بولها متكاء أي خرقاء والأصل بتكاء قال ومما يدل على هذا قوله (وآتتْ كُلّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنّ سِكِّينًا) لأنه طعام لا يؤكل حتى يقطع وروى جُوَيْبر عن الضحاك قال المتك كل شيء يحزّ بالسكاكين وهذه القراءة أعنى مُتْكاً باسكان التاء تعزى إلى عبد الله بن عباس رضى الله عنه ودلت هذه القراءة على معنى ذلك الطعام فأنزله الله عز وجل بالمعنيين جميعا وله فى المشكل باب وهو باب الرد عليهم فى وجوه القراءات وذلك أن الملحدين احتجوا بقول الله تعالى ـ ولو كان من عِنْدِ غيرِ اللهِ لَوَجَدُوا فيه اختِلافا كثيراً ـ وبقوله عز وجل ـ لا يأتيه الباطِلُ من بينِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خلفِهِ ـ وقالوا وجدنا الصحابة والتابعين يختلفون فى الحروف ثم ذكرها بجملتها . ثم قال فى باب الرد عليهم : أما ما اعتلوا به فى وجوه القراءات من الاختلاف فانا نحتج عليهم بقوله ﷺ « أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها كاف فاقرؤا كيف شئتم » وقد غلط فى تأويل هذا الحديث قوم فقالوا السبعة الأحرف وعد ووعيد وحلال وحرام ومواعظ وأمثال واحتجاج ، وقال قوم آخرون أمرٌ ونهى وخبر ما كان وخبر ما هو كائن بعد وأمثال . وقال آخرون هى سبع لغات فى الكلمة . وليس شيء من هذه المذاهب لهذا الحديث بتأويل ومن قال

فلان يقرأ بحرف أبي عمرو أو بحرف عاصم فانه لا يريد شيئا مما ذكروا وليس يوجد فى كتاب الله عز وجل حرف قرىء على سبعة أوجه يصح فيما أعلم وإنما تأويل قوله نزل على سبعة أحرف على سبعة أوجه من اللغات متفرقة فى القرآن يدلك على ذلك قول رسول الله ﷺ « فاقرؤا كيف شئتم » وقال عمر رضى الله عنه سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أقرأنيها فأتيت به النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال له اقرأ فقرأ تلك القراءة فقال صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال لى اقرأ فقرأت فقال هكذا أنزلت إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فاقرؤا ماتيسر فمن قرأ قراءة عبد الله فقد قرأ بحرفه . ومن قرأ قراءة أبيّ فقد قرأ بحرفه. ومن قرأ قراءة زيد فقد قرأ بحرفه. والحرف يقع على المثال المقطوع من حروف المعجم وعلى الكلمة الواحدة ويقع هو والكلمة على الرسالة بأسرها والخطبة كلها والقصيدة بكمالها وكذلك الكلمة ألا ترى أنهم يقولون قال الشاعر كلمته يعنون بها قصيدته ـ والله تعالى يقول ـ ولَقَدْ قالُوا كلمة الكُفرِ ـ وقال ـ وألزمهم كلِمَةَ التّقْوى ـ وقال ـ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كلِمَتُنا لِعِبادنا المرسلين ـ وقال ـ وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ على حرف فان أصابَهُ خيرٌ اطْمأنَّ بِهِ وإن أصابَتْهُ فتنةٌ انْقلبَ على وَجْهِهِ ـ أراد ومن الناس من يعبُد اللهَ على الخير يصيبهُ من تثمير المال وعافية البدن وإعطاء السؤل فهو مطمئنٌّ مادام ذلك فان امتحنه اللهُ باللّأواء فى عيشه والضراء فى بدنه وماله كفر فهذا عند الله

عز وجل على وجه واحد ومذهب واحد وهو معنى الحرف ولو عبده على الشكر للنعمة والصبر على المصيبة والرضا بالقضاء لم يكن عبده على حرف ﴿ قال أبو محمد ﴾ وقد تدبرت وجوه الاختلاف في القراءات فوجدتها سبعة أحرف (أولها) الاختلاف في إعراب الكلمة وفي حركات بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يُغيِّر معناها نحو قوله عز وجل ـ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ـ وأطهرَ لكم ـ وهل يُجازى إلا الكفورُ ـ وهل يجازي إلا الكفورَ ويأمُرون النّاس بالبُخْلِ ـ وبالبَخَلِ ـ ونظِرة إلى مَيْسَرَةَ ـ وإلى مَيْسُرة (والوجه الثاني) أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يُغيِّر معناها ولا يُزيلها عن صورتها في الكتاب نحو قوله ـ ربَّنا بَاعِدْ بينَ أسفارِنَا ـ وربُّنا بَاعَدَ بين أسفارِنَا ـ وإذ تَلَقَّوْنَهُ بألسنتِكُمْ ـ وتَلِقُونَهُ ـ وادّكر بَعْدَ أُمَّةٍ ـ وبعد أَمَهٍ (والوجه الثالث) أن يكون الاختلافُ في حروف الكلمة دونَ إعرابها بما يُغيِّر معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله تعالى ـ وانظُرْ إلى العِظَامِ كيْفَ نُنْشِرُها ـ ونُنْشِزُها وقوله ـ حتى إذا فزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِم ـ وفُرِّغ عَنْ قُلُوبِهِم ـ (والوجه الرابع) أن يكون الاختلافُ في الكلمة بما يغيِّر صورتَها في الكتاب ولا يغيِّر معناها نحو قوله ـ إن كانَتْ الا صَيْحَةً واحدةً ـ وَزَقْيَةً واحدةً وكالصُّوفِ المنْفُوشِ وكالعِهْنِ (والوجه الخامس) أن يكونَ الاختلافُ في الكلمةِ بما يُزيلُ صورتَها ومعناها نحو قوله عز وجهه ـ وطَلْعٍ منضودٍ في ـ موضع طَلْحٍ (والوجه السادس) أن يكونَ الاختلافُ بالتقديم

والتأخير نحو قوله عز وجل ـ وجاءت سكرةُ الحقّ بالمَوْتِ ـ فى موضع وجاءت سكرةُ المَوْتِ بالحق (والوجه السابع) أن يكون الاختلاف بالزّيادة والنقصان نحو قوله ـ وما عَمِلَتْ أيدِيهِم ـ وما عملته أيديهم (وقوله) ـ إنّ الله هُوَ الغَنِىُّ الحميد ـ وإن الله الغَنِىُّ الحميدُ ـ سورة الحديد وقرأ بعض السلف رضى الله عنه ـ إنّ هذا أَخى له تِسْعٌ وتسْعُون نعجةً أُنْثَى ـ ـ وإنّ الساعَةَ آتيةٌ أَكادُ أُخفِيهَا من نفسى فكيفَ أُظْهِرُكُم عليهَا ـ فاما زيادة دعاء القنوت (فى مصحف) أُبَىٍّ ونقصان أم الكتاب والمعوذتين من مصحف عبد الله رضى الله عنهما فليس هـذا من الوجوه وسنخبر بالسبب فيه إن شاء الله عز وجل ﴿ قال أبو محمد ﴾ فكلُّ هذه الحروف كلام الله سبحانه نزل به الروح الأمين على رسوله ﷺ وذلك أنه كان يعارضه فى كل شهر من شهور رمضان ما اجتمع عنده من القرآن العزيز فيحدث الله عز وجل اليه فى ذلك مايشاء وينسخ مايشاء ويُيَسِّرُ على عباده ما يشاء فكان من تيسيره أن أمَرهُ أن يقرأ كلٌّ قوم بلُغَتِهِمْ وما جرت عليه عاداتهم فالهُذَلىُّ يقرأ ـ عَتَّى حين ـ يريد حتى حين لأنه هكذا يلفظ بها ويسعها. والأسدىُّ يقرأ تِعلمون وتِعلمُ وتِسوَدّ وجوه وأَلَمْ إعْهَدْ إليكم، والتَّميمى يهمز والقرشىُّ لايهمز والآخر يقرأ وإذا قيل وغيض باشمام الضمّ الكسر ـ وبضاعتُنا رُدّت إلينا ـ باشمام الكسر مع الضمّ ـ ومالك لا تأمنَّا ـ باشمام الضمّ مع الادغام وهـذا مالا يطوع به كل لسان ﴿ قال أبو محمد ﴾ ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده

طفلاً وناشئاً وكهلاً اشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ثم لم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة وتذليل للسان ، وقطع للعادة ، فأراد الله عز وجل بلطفه ورحمته أن يجعل لهم متسعاً فى اللغات ومتصرفا فى الحركات كتيسيره عليهم فى الدين حين أجاز لهم على لسان رسوله الكريم ﷺ أن يأخذوا باختلاف العلماء من أصحابه رضى الله عنهم فى فرائضهم وأحكامهم وصلاتهم وزكاتهم وحجهم وطلاقهم وعتقهم وسائر أمور دينهم ﴿ قال أبو محمد ﴾ فان قال قائل فان هذا جائز فى الالفاظ المختلفة إذا كان المعنى واحداً فهل يجوز أيضا اذا اختلفت المعانى ؟ قيل له الاختلاف نوعان اختلاف تغاير واختلاف تضادٍ فاختلاف التضاد لايجوز ولست واجده بحمد الله فى شىء من كتاب الله تعالى إلا فى الأمر والنهى من الناسخ والمنسوخ واختلاف التغاير جائز وذلك مثل قوله ـ وادّكر بعد أمّة ـ أى بعد حين ـ وبعد أمَهٍ ـ أى بعد نسيان والمعنيان جميعا وان اختلفا صحيحان لأنه ذكر أمر يوسف عليه السلام بعد حين وبعد نسيان له فأنزل الله عز وجل على نبيه الكريم ﷺ بالمعنيين فى عرضتين وكقوله ـ ربَّنا باعِدْ بينَ أَسفارنا ـ وكذلك قوله ـ إذْ تَلَقوْنَهُ بِأَلسِنَتِكُمْ ـ أى تقبلونه وتقولونه وتلقُونَه من الوَلَقِ وهو الكذب والمعنيان جميعا وان اختلفا صحيحان لأنهم قبلوه وقالوه وهو كذب فأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ بالمعنيين جميعا فى عرضتين وكقوله ـ ربنا باعد بين أسفارنا على طريق المسألة والدعاء ـ وَربنا باعَدَ بين أسفارنا ـ على جهة الخبر والمعنيان وإن اختلفا صحيحان

لأن أهلَ سبأ سألوا الله عز وجل أن يفرقهم فى البلاد فقالوا ـ ربنا باعِدْ بين أسفارِنا ـ فلما فرقهم أيدى سَبَا قالوا ربنا باعَدَ بين أسفارنا ـ وأجابنا إلى ماسألناه فحكاه الله عنهم بالمعنيين فى عرضتين وكذلك قال عز وجل ـ لقد عَلِمْتَ ماأنْزَل هؤُلاء إلا ربُّ السّموات والأَرض ـ ولقد علمتُ ما أنْزَلَ هؤلاء ـ لأن فرعون قال لموسى عليه السلام إن آياتك التى أتيت بها سحرٌ فقال موسى عليه السلام ـ لقد علمتُ ما هى سحرٌ ولكنها بصائرُ وقال مرة أخرى لقد علمتَ أيضا ما هى سحرٌ فأنزل الله المعنيين جميعا . وكذلك ننشرها وننشزها لأن الانشار الإحياء والانشاز التحريك للنقل والحياة حركة فلا فرق بينها . وكذلك فُزِّع عن قلوبهم وفرِّغ لأن فزِّع خفف عنها الفزع وفرِّغ فُرِغ منها الفزع وكذلك متّكأً ومتْكاً المتقدم ذكره فى أول الباب ﴿قال أبو محمد﴾ فكل ما كان فى القرآن من تقديم أو تأخير أو زيادة أو نقصان فعلى هذا السبيل . فان قال قائل فهل يجوز لنا أن نقرأ به وليس ذلك لنا فى ماخالفه لأن المتقدمين من الصحابة والتابعين قرأوا بلغاتهم وجروا على عاداتهم وخلوا أنفسهم وسوم طباعهم . وكان ذلك جائزاً لهم ولقوم من القراء بعدهم مأمونين على التنزيل عارفين بالتأويل. فأما نحن معشر المكلفين فقد جمعنا الله بحسن اختيار السلف رضوان الله عليهم على مصحف هو آخر معرض فليس لنا أن نعدوه كما كان لهم أن يفسروه وليس لنا أن نفسره ولو جاز أن نقرأ بخلاف ما ثبت فى مصحفنا لجاز أن نكتبه على الاختلاف وعلى الزيادة والنقصان والتقديم والتأخير

وهناك يقع ما كرهه الأئمة الموفقون رضى الله عنهم وستری ما قيل فى المعوذتين إذا انتهينا إلى ذكر غريبهما إن شاء الله تعالى ﴿غ﴾ رجع القول إلى ذكر الغريب (من) سورة يوسف ﷺ قوله (أَكْبَرْنَه) هالهن فأعظمنه (فاسْتَعْصَمَ) أى امتنع (أَعْصِرُ خَمْراً) يقال عنبا قال الاصمعى خبرنى المعتمر بن سليمان أنه لقى أعرابيا معه عنبٌ فقال ما معك قال خمرٌ وتكون الخمر بعينها كما يقال عصرت زيتا وإنما عصرت زيتونا (اذْكُرْنى عِنْدَ رَبِّكَ) أى عند سيدك قال الأعشى يصف ملكاً

رَبِّى كريمٌ لا يُكَدِّرُ نِعْمَةً   وإذا يُناشَدُ بالمهارق أنشدا[1]

(فَلَبِثَ فى السِّجْنِ بِضْعَ سِنِين) يقال ما بين الواحد إلى السبعة وقال أبو عبيدة هو مالم يبلغ العقد ولا نصفه يريد ما بين الواحد الى الأربعة (قالُوا أَضغاثُ أحلامٍ) أى أخلاط أحلام مثل أضغاث النبات يجمعها الرجل فيكون فيها ضروب مختلفة والأحلام واحدها حُلْمٌ (بَعْدَ أُمَّةٍ) أى بعد حين ويقال بعد سبع سنين وبعد أمهٍ بعد نسيانٍ وقد تقدم ذكره فى باب القراءات (الصِّدِّيقُ) الكثير الصدق كما يقال فِسِّيقٌ وشِرِّيبٌ وسِكِّيرٌ اذا كثر ذلك منه (تَزْرَعُون سَبْعَ سِنِين دَأْبا) أى جدًّا فى الزراعة ومتابعة ويقرأ دأَبا بفتح الهمزة وهما واحد يقال دأبت أدأبُ دأْبا ودَأَبا (تُحْصِنُون) أى تُحرزون (يُغَاثُ النَّاسُ) أى يمطرون والغيث المطر (وفِيهِ يَعْصِرُون) يعنى الأعناب والزيت قال أبو عبيدة

---

(١) فى لسان العرب : واذا تنوشد فى المهارق أنشدا

يعصرون ينجون والعُصْرة النجاة قال الشاعر[١]

* ولَقَدَ كانَ عُصْرةَ المَنْجُودِ *

أى غياثا ومنجاة للمكروب (ما خَطْبُكُنّ) أى ما أمركن ما شأنكن (الآن حَصْحَصَ الحَقُّ) أى وضح وتبين ﴿ومن المشكل قال أبو محمد﴾ الآن هو للوقت الذى أنت فيه وهو حد الزمانين حد الماضى من آخره وحد المستقبل من أوله قال الفراء هو حرف بنى على الألف واللام ولم يخلعا منه وتُرِك على مذهب الصفة لأنه صفة فى المعنى واللفظ كما رأيتهم فعلوا بالذى فتركوه على مذهب الأداة والألف واللام له لازمة غير مفارقة ورأى أصله أوان حذفت منه الألف وغيرت واوه إلى الألف كما قالوا فى الراح الرياح وأنشد

كأن مكاكىّ الجواءِ غُديَّة نشاوى تسافوا بالرياح المفلفل

قال فهى مرة على تقدير فعل ومرة على تقدير فعال كما قالوا زمن وزمان وإن شئت جعلتها من قولك إن لك أن تفعل كذا وكذا أدخلت عليه الألف واللام ثم تركتها على مذهب فعل منصوبة كما قالوا نهى رسول الله ﷺ عن قيل وقال وكثرة السؤال فكانتا كالاسمين وهما منصوبان ولو خفضتا على النقل لهما من حد الافعال إلى الاسماء فى النية كان صواباً قال الفراء : وسمعت العرب تقول من شُبَّ إلى دُبَّ ومن شبٍّ الى دُبٍّ مخفوضٍ منونٍ يذهبون به مذهب الاسماء والمعنى مذكان صغيراً يشبُّ

(١) هو أبو زيد قال يرثى ابن أخته : صاديا يستغيث غير مغاث

إلى أن دبّ وكبرَ قال الله عز وجل ـ آلآنَ وقد عصيْتَ قبْلُ وكُنْتَ مِنَ المُفْسِدِينَ ـ آلآنَ وقدْ كُنْتُمْ به تَسْتَعْجِلُونَ ـ أى أفى هذا الوقت وهذا الأوان تتوب وقد عصيت قبل ﴿غ﴾ (خيرُ المُنْزِلِينَ) أى خير المضيفين (ونَميرُ أهلنا) من الميرة يقال مار أهله يميرهُم ميراً وهو مايرُ أهله إذا حمل إليهم أقواتهم من غير بلد (ونَزْدادُ كَيْلَ بَعيرٍ) أى حمل بعير (إلا أنْ يُحاطَ بِكُمْ) أى تشرفوا على الهلكة وتغلبوا (واللهُ على مانَقُولُ وَكيل) أى كفيل (وقالَ يابَنِيّ لاتَدْخُلُوا مِنْ بابٍ وَاحِدٍ) يريد إذا دخلتم مصر (وادْخُلُوا مِنْ أبْوابٍ مُتَفَرِّقَةٍ) يقال خاف عليهم العين إذا دخلوا جملة (آوى إلَيْهِ أخاهُ) أى ضمه اليه يقال آويت فلانا إلى حد الألف إذا لجأت اليهم (فَلا تَبْتَئِسْ) من البؤس (السِّقايَةَ) المكيال وقال قتادة مشربة الملك (ثُمَّ أذَّنَ مُؤَذِّنٌ) أى قال قائل أو نادى منادٍ (أيَّتُها العيرُ) القوم على الإبل (صُواعَ المَلِك) وصاعُهُ واحدٌ (وأنا به زعيمٌ) أى ضمين (قالُوا جزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فى رَحْلِهِ فَهُوَ جزَاؤُهُ) أى سنستعبده بذلك وكذلك سنة آل يعقوب فى السارق (كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ) أى احتلنا له والكيد الحيلة ومنه قوله ـ إنَّ كَيْدَهُنَّ عَظِيم ـ (فى دِينِ المَلِكِ) أى فى سُلطانه (قالوا إنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) يعنونَ يوسفَ عليه السلام وكان سرق صنماً يُعْبَدُ وألقاهُ (فلمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا) أى اعتزلوا الناس ليس معهم غيرهم يتناجون ويتناظرون ويتسارون يقال قوم نجى والجمع أنجيةٌ قال الشاعر

إنّى إذا ما القومُ كانُوا أنجيهْ   واضطربت أعناقهم كالأرشيه[1]

(قال كبيرُهم) أى أعقلهم وهو شمعون وكأنّهُ كان رئيسهم وأما أكبرهم فى السنين فروبيل وهذا قول مجاهد رحمة الله عليه وفى رواية الكلبى كبيرهم فى العقل وهو يهوذا (وما كُنّا للغَيْب حافظين) يريد حين أعطيناك المواثيق لنأتينك به أى لم نعلم أنه يسرق فيؤخذ (وقال يا أسَفَى على يوسُفَ) والأسف أشد الحسرة (فهُوَ كَظِيمٌ) مثل كاظم كما يقولون قديرٌ وقادرٌ والكاظم الممسك على حزنه لايظهره ولا يشكوه (تَالله تَفْتَأُ تَذْكُرُ يوسفَ) أى لاتزال تذكره قال أوس بن حجر

فَمَا فتئتْ خَيْلٌ تثوبُ وتَدّعى

(حتّى تكونَ حَرَضاً) أى دنفا يقال أحرضه الحزن أى أدنفه ولا أحسَبهُ قيل للرجل الساقط حارض إلا من هذا كأنه الذاهب الهالك (أوْ تكُونَ مِنَ الهالِكينَ) يعنى الموتى (والبَثُّ) أشد الحزن سمّى بذلك لأن صاحبه لايصبر عليه حتى يبثه أى يشكوه (بِبِضَاعةٍ مُزْجاةٍ) قليلة ويقال رديّة لاتنفق فى الطعام وتنفَق فى غيره لأن الطعام لايؤخذ فيه إلا الجيّد (وتَصَدّق عَلينَا) يعنون تفضل بما بين البضاعة وبين ثمن الطعام (قال لا تَثْريبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ) أى لاتعيير عليكم بعد هذا اليوم بما صنعتم وأصل التثريب الافساد ويقال ثرّب علينا اذا أفسد وفى الحديث «إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها ولا يثرب» يريد لايعيرها بالزنا (لَوْلا أن

(١) فى شواهد الكشاف واللسان: واضطرب القوم اضطراب الارشية

تُفَنِّدُونِ) أى تعجزونى ويقال لولا أن تجهلونى يقال أفنده الهرم اذا خلط
فى كلامه (ورَفَعَ أبَوَيْهِ عَلى العَرْشِ) أى على السّرير (وَكأَيّنْ مِنْ آيةٍ)
أى كم من آية دليل وعلاعة (فِي) خلق (السَّمٰوَاتِ والأرضِ يمُرُّون
عليْهَا وهمْ عَنْهَا معرضُونَ وما يؤمِنُ أكثرهم باللّهِ إلا وهمْ مشْرِكونَ)
يريد أنهم إذا سئلوا من خلقهم قالوا الله ثم هم يشركون بعد ذلك أى يجعلون
له شركاً (غَاشِيَةٌ مِنْ عَذابِ اللهِ) أى مجللة تغشاهم ومنه قوله تعالى ـ هَلْ
أتاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَة ـ أى خبرها (أدْعو إلى اللهِ عَلى بَصِيرةٍ) أى على
يقين ومنه يقال فلان مستبصرٌ فى كذا أى مستيقن ﴿ش﴾ (حتى إذا
اسْتيأَس الرُّسُلُ وظنُّوا أنهمْ قَد كُذِبوا جاءهم نَصْرُنَا فنُجِّيَ مَنْ نَشاء)
﴿قال أبو محمد﴾ قد تكلم المفسرون فى هذه الآية بما فيه مقنع وغنى عن
أن توضح بغير لفظهم فروى عبد الرزاق عن مَعْمرٍ عن قتادة أنه قال
استيأس الرسل من قومهم ـ وظَنُّوا أنهم قد كذِبوا جاءهمْ نصرنا ـ
وكان يقرؤها بالتشديد وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة
عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت استيأس الرُّسل ممن كذّبهم من قومهم
أن يصدقوهم وظنت الرسل أن من قد آمن بهم من قومهم قد كذبوهم
جاءهم نصر الله عند ذلك وكانت تقرؤها قد كذّبوا بضم الكاف وتشديد
الذال . وروى عن ابن أبى مليكة عن عروة عن عائشة أنها قالت لم يزل
البلاء بالرسل حتى خافوا أن يكون من معهم من المؤمنين قد كذبوهم .
وروى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أنه قرأها ـ قد كذبوا ـ بفتح

الكاف والذال وتخفيف الذال يريد حتى اذا استيأس الرُّسُلُ من إيمان قومهم وظن قومهم أن الرسُلَ قد كذبوا فى ما بَلَّغُوهُمْ عن الله سبحانه وتعالى . وروى حجاج عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قرأ كُذِبُوا بضمّ الكافِ وكسر الذالِ وتخفيفها وقالوا كانوا بشراً يعنى الرسل يذهب إلى أن الرسل ضعفوا فظنوا أنهم قد أخلفوا ﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذه مذاهب مختلفة والألفاظ تحتملها كلها ولا نعلم ما أراد الله تعالى غير أن أحسنها فى الظاهر وأولاها بأنبياء الله عز وجل ماقالت عائشة رضى الله عنها ﴿ غ ﴾ (مَا كانَ حَدِيثاً يُفْترى) أى يختلق ويصنع .

﴿ غريب سورة الرعد ومشكلها ﴾

(جَعَلَ فيها زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) أى من كل الثمرات لونين حلواً وحامضاً والزوج هو اللون الواحد (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ) ذَلَّلهما وقصرهما على شيءٍ واحد (وفى الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ) يعنى قرى متجاورات (والصنوان) من النخل النخلتان والثلاث يكون أصلها واحداً (وغير صِنْوانٍ) يعنى متفرق الأصول ومن هذا قيل لعم الرجل صنو أبيه (وَنُفَضِّلُ بَعْضَها عَلَى بَعْضٍ فى الأُكُلِ) أى فى الثمر (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ) أى بالعقوبة (قَبْلَ الحَسَنَةِ) أى قبل العافية (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ المَثُلاتُ) أى العقوبات وأصل المثلة الشبيه والنظير وما يعتبر به يريد من

خلا من الأمم (ولِكُلِّ قَومٍ هَادٍ) أى نبى يدعوهم (وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ) أى ما تنقص فى الحمل عن تسعة أشهر من السقط وغيره (وما تَزْدَادُ) على التسعة يقال غاض الماء اذا نقص وغضته (وسَارِبٌ بالنَّهارِ) أى متصرف فى حوائجه يقال سَرَبَ يَسْرُبُ قال الشاعر [1]

أرى كلّ قومٍ قاربوا قَيْدَ فَحلِهم ونحنُ خلعنا قَيْدَهُ فهو سَارِبُ

أى ذاهب (له مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بيْنِ يَديْهِ) يعنى ملائكة تعقب بعضها على بعض والليل والنهار إذا مضى فريق خلف بعده فريق (يَحْفَظُونَه مِنْ أَمْرِ اللهِ) أى بأمر الله (وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) أى ولى مثل قدير وقادر وحفيظ وحافظ (يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً) خوفا للمسافر وطمعا للمقيم (وَهُوَ شَدِيدُ المِحَال) أى الكيد والمكر وأصل المحال الحيلة والحول الحيلة قال ذو الرمة

ولَبَّسَ بين أقوامٍ فكلٌّ أعدّ له الشغازبَ والمحالا

﴿ش﴾ (لَا يَسْتَجِيبونَ لَهُمْ بِشَىْءٍ إلاّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إلى الماءِ لِيَبلُغَ فَاهُ) أى لا يصير فى أيديهم منه إذا دعوهم إلا ما يصير فى يدى من قبض على الماء ليبلغ فاه والعرب تقول لمن طلب مالا يجد هو كالقابض على الماء قال الشاعر

فانى وإياكم وشوقا اليكم كقابض ماء لم تسقه أنامله

لم تسقه أى لم تحمله والوسق الحمل (وَلِلهِ يَسْجُدُ مَنْ فى السموات

---

(١) فى لسان العرب : وكل أناس قاربوا قيد فحلهم

والأرضِ طَوْعاً وكَرْهاً) أى يتسلم وينقاد ويخضع من فى السموات من الملائكة ومن فى الأرض من المؤمنين طوعا ويستلم من فى الأرض من الكافرين كرها من خوف السيف (وظِلالهمْ بالغدوّ والآصَال) مستسلمة وهو مثل قوله عز وجل ـ ولهأسْلمَ مَنْ فى السّموات والأرضِ طوْعًا وكَرْهًا وإليْهِ تُرْجَعون ـ (فَسالَت أوْدِيةٌ بِقَدرِها) أى على قدرها فى الصغر والكبر (فاحْتَمَل السَّيْلُ زَبداً رابِياً) أى زبداً عالياً على الماءِ (ابْتِغاءَ حِلْيةٍ) أى حلى (أو مَتَاعٍ) آنية يعنى أن من فِلزّ الأرض وجواهرها مثل الرصاص والحديد والصّفْر والذّهب والفضة خبثا يعلوها إذا أُذيب مثل زبد الماء (والْجُفاء) مارماه الوادى الى جنباته ويقال أجْفأَتْ القدر بزبدها إذا ألقت زبدها عنها هذا لفظ الغريب ﴿وقال فى المشكل﴾ هذا مثل ضربه الله عز وجل للحق والباطل وإن ظهر على الحق فى بعض الأحوال وعلاه فان الله سبحانه سيمحقه ويبطله ويجعل العاقبة للحق وأهله ومثل ذلك مطر جود أسال الأودية بقدرها الكبير على قدره والصغير على قدره ـ فاحتمل السيل زبداً رابياً ـ أى عاليا على الماء كما يعلو الباطل تارة على الحق ومن جواهر الأرض التى يدخل الكير ويوقد عليها يعنى الفضة والذهب للحلية والشبَهَ والحديد للآلة حيث يعلوها مثل زبد الماء (فأمّا الزّبدُ فيذهَبُ جُفَاءً) أى يلقيه الماء فيتعلق بأُصُول الشجر وبجنبات الوادى وكذلك خبث الفلز يقذفه الكير فهذا مثل الباطل (وأمّا ما) الذى (يَنفَعُ النّاسَ) وينبت المرعى (فَيمْكثُ فى الأَرْضِ)

وكذلك الصفر من الفلز يبقى خالصاً لا شَوْبَ فيه فهو مثل الحق ﴿ غ ﴾ (ويدرؤن بالحسنةِ السّيِّئة) أي يدفعون السيئة بالحسنة كأنهم إذا سفه عليهم حلموا والسفه سيئة والحلم حسنة ومثله ـ ادْفَعْ بالَّتى هِىَ أحْسَنُ فَاذا الَّذى بيْنَكَ وَبيْنَهُ عَداوةٌ كأنه وَلىٌّ حَميم ـ يقال درأ الله عنى شرَّكَ أى دفعه فهو يدرؤه دراً (يَدْخُلونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سلامٌ عَلَيْكُمْ) أى يقولون سلام عليكم فحذف اختصارا كما مر فى باب الاختصار ومثله ـ وَلَوْ أنّ قرْآنا سُيِّرَتْ بِهِ الجبَالُ أو قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتى ـ أراد لكان هذا القرآن فحذف اختصارا (أَفلم يَيْأَس الذِينَ آمنُوا) أى أفلم يعلم يقال هى لغة للنخع قال الشاعر [1]

أقولُ لهم بِالشِّعْبِ إذْ يَأسِرُونَنى ألم تَيْأَسُوا أنى ابن فارسِ زَهْدَمِ

أى ألم تعلموا (قَارِعَةٌ) داهية تقرع (أو مُصيبَةٌ) تنزل وأراد أن ذلك لايزال يصيبهم من سرايا رسول الله ﷺ (فَأَمليْتُ للَّذين كَفرُوا) أى أمهلتهم وأطلت لهم (أفمن هُو قَائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بما كَسَبَتْ) اللهُ عز وجل هو القائم على كل نفس بما كسبت يأخذها بما جنت ويثيبها بما أحسنت (لِكُلِّ أجلٍ كِتَابٌ) أى وقت قد كتب (يَمْحُو اللهُ مايَشَاءُ) أى ينسخ من القرآن مايشاء (وَيُثْبِتُ) أى يدعه فلا ينسخه وهو المحكم (وعِنْدَهُ أُمُّ الكتَابِ) أى جملته وأصله وفى رواية أبى صالح أنه يمحو من كتب الحفظة ماتكلم به الانسان مما ليس له ولا عليه ويثبت ماعليه وما

---

(١) هو سحيم بن وثيل اليربوعى : وفى اللسان يسرونى

له (نَنْقُصُها مِنْ أطْرَافِهَا) أى بموت العلماء والعباد ويقال بالفتوح على المسلمين كأنه ينقص المشركين مما فى أيديهم (لاَمُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ) أى لا يتعقبه أحد بتغيير ولا نقصان ﴿ ومن المشكل ﴾ قال أبو محمد فى باب الحكاية عن الناحلين إلى القرآن العزيز التناقض والاختلاف كيف قال (فَإمّا نُرِيَنَّكَ بعضَ الذى نَعِدُهُم أوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فإنما عليْكَ الْبلاَغُ وعلَيْنَا الحسَابُ) كيف يكون عليه البلاغ بعد الوفاة وقالوا (مَثَلُ الجَنَّة التى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرى منْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ أُكُلُهَا دائِمٌ وظِلُّهَا تلكَ عُقْبى الذينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرينَ النّارُ) أين الشىء الذى جعلت له الجنة مثلا ؟ هل يجوز أن يقال مثل الدار التى وعدتك سكناها يطرد فيها نهر وتظلك فيها شجرة ويمسك القائل ﴿ ثم قال أبو محمد ﴾ فى باب الردّ عليهم أما قوله عز وجل ـ فاما نرينك بعض الذى نعدوهم أو نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب ـ فانه لم يرد أن عليك البلاغ بعد الوفاة كما ظنوا وإنما أراد إن أريناك بعض الذى نعدهم فى حياتك أو نتوفينك قبل أن نريك ذلك فليس عليك إلا أن تبلغ وعلينا أن نجازى ، ومثل هذا رجل بعثته واليا وقلت له سرْ إلى بلدٍ فادعهم فان استجابوا لك فأحسن فيهم السيرة وابسط لهم المعدلة فان عصوك فعظهم وحذرهم عقاب المعصية فان أقاموا على الغواية أعلمتنى ليأتيهم النكير فصار إليهم فمانعوه ووعظهم فخالفوه وأقام حينا مستبطئا ما أوعدهم فقلت إن أريناك ما وعدناهم من العقوبة أو عزلناك قبل أن نريك ذلك فليس لك أن تستبطئنا إنما عليك التبليغ والعظة وعلينا

الجزاء والمكافأة وأما قوله جل ثناؤه ــ مثل الجنة التى وعد المتقون ــ ولم يأت بالشيء الذى جعل الجنة له مثلا فان أصل المثل ماذهبوا اليه من معنى المثل تقول هذا مثل الشيء ومثله كما تقول هذا شبه الشيء وشبهه ثم قد يصير المثل بمعنى صورة الشيء وصفته وكذلك المثال والتمثال يقال للمرأة الرائعة كأنها مثال وكأنها تمثال أى صورة كما يقال كأنها دمية أى صورة وإنما هى مثل وقد مثلت لك كذا أى صورته ووصفته فأراد الله بقوله ـ مثل الجنة ـ أى صورتها وصفتها ويروى أن علياً رضى الله عنه كان يقرأ ـ مثال الجنة ـ أو أمثال الجنة وهو بمنزلة مثل إلا أنه أوضح وأقرب

﴿غريب سورة إبراهيم عليه السلام ومشكلها﴾

(وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ) أى أيام النعم (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال أبو عبيدة إذا أمسك عن الشيء ومعنى ردوا أيديهم فى أفواههم عضوا عليها حنقاً وغيظا قال الشاعر

* يردُّونَ فى فِيهِ عَشْرَ الحسُودِ *

يعنى أنهم يغيظون الحسودَ حتى يعض على أصابعه العشر ونحوه قول الهزلى

قد أفْنَى أناملَهُ أزْمُـه فأضحى يَعَضُّ علىَّ الوظيفَا

يقول قد أكل أصابعه حتى أفناها بالعض فأضحى يعضُّ على وظيف الذِّراع وهكذا فسر هـذا الحرف ابن مسعود واعتباره قوله عز وجل فى

موضع آخر ـ وإذا خلَوْا عضُّوا عليكُم الأنامِلَ من الغيظِ ـ (واستَفْتَحُوا) أي استنصروا (وخابَ كلُّ جبّارٍ عنيدٍ مِنْ وَرائِهِ جَهَنَّمُ) أي أمامه وهو من المقلوب أي يُسَمَّى فيه المتضادّان باسم واحد إذا كان أصله واحدا كقولهم لليل صريمٌ وللصبح صريمٌ لما كان الليل ينصرم عن النهار والنهار ينصرم عن الليل وللظلم سرفة وللضوء سرفة وأصل السرفة الشر فكان الظلام إذا أقبل سِتْرٌ للضوء والضوء إذا أقبل ستر للظلام وقد ذكرناه في باب المقلوب وأعدنا منه شيئًا هاهنا للتنبيه عليه (ويُسْقَى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ) والصديد القيح والدمُّ أي يسقى الصديد مكان الماء كأنه قال يجعل ماؤه صديدا ويجوز أن يكون على التشبيه أي يسقى ماءً كأنه صديدٌ (وَيَأْتِيهِ المَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ) أي من كل مكان من جسده (وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ)(أعمَالُهُم كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيَاحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ) أي شديد الريح شبه أعمالهم بذلك لأنه يبطلها ويمحقها (مَالَنَا مِنْ مَحِيصٍ) أي مَعْدِلٍ يقال حاص عن الطريق يحيصُ إذا زاغ وعدل (وَلَمّا قُضِيَ الأَمْرُ) أي فرغ منه فدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً) شهادة أن لا إله إلا الله (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) يقال هي النخلة (أَصْلُهَا ثَابِتٌ) في الأرض (وفَرْعُهَا) أعلاها (في السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَها كلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) يقال كل ستة أشهر ويقال في كل سنة (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ) يعني الشرك (كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) قال أنس بن مالك رضي الله عنه هي الحنظلة (اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ)

أي استؤصلت وقطعت (مالها من قرار) أي مالها من أصل فشبه كلمة الأيمان في نفعها وفضلها بالنخلة في علوها وثباتها وحملها وشبه كلمة الشرك بحنظلة قطعت فلا أصل لها في الأرض ولا فرع في السماء ولا حمل (دارَ البوَار) الهلاك وهي جهنم أعاذنا الله منها برحمته (وَلَا خِلَالَ) مصدر خاللْتُ فلانا خلالا ومخالّة والاسم الخُلة وهي الصداقة (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أنْ نَعْبُدَ الأصْنَامَ) أي اجنبني وإياهم (رَبِّ إنَّهُنَّ أضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ) أي ضُلّ بهن كثير من الناس (فاجْعَلْ أفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إلَيْهِمْ) أي تنزع اليهم (مُهْطِعِينَ) أي مسرعين يقال أهطع البعير في سيره واستهطع اذا أسرع (مُقْنِعِي رؤسهِمْ) والمقنع رأسه الذي رفعه وأقبل بطرفه على مابين يديه والإقناع في الصلاة هو من إتمامها (لا يَرْتَدُّ إلَيهِمْ طَرْفُهُمْ) أي نظرهم إلى شيء واحد (وَأفْئِدَتُهُمْ هواءٌ) يقال لاتعي شيئاً من الخير ونحوه قول الشاعر[1] في وصف الظليم جُؤجُؤُه هواء * أي ليس لعظمه مخٌ ولا فيه شيءٌ ويقال أفئدتهم هواءٌ منخرقة من الخوف والجبن (وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يومَئِذٍ مُقَرَّنِينَ في الأصْفَادِ) أي قد قرن بعضهم إلى بعض في الأغلال واحدها صفَدٌ (سَرَابِيلُهُمْ) أي قمصهم واحدها سربالٌ (مِنْ قَطِرَانٍ) ومن قرأ قِطرٍ آنٍ أراد نحاسا قد بلغ منتهى حده آن فهو آن

---

(١) هو زهير قال :

كأن الرحل منها فوق صعل ... من الظلمات جؤجؤه هواء

ــ﴿ غريب سورة الحجر ومشكلها ﴾ــ

قوله (إلا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ) أى أجل مُؤَقَّتٌ (لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ) أى هلا تأتينا بالملائكة ولولا مثلها أيضا إذا لم تكن تحتاج إلى جواب وقد ذكرناها فى المشكل (فى شِيَعِ الأَوَّلِينَ) أصحابهم (لا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ) أى تقدمت سيرة الأولين فى تكذيب الأنبياء عليهم السلام (فِيهِ يَعْرُجُونَ) أى يصعدون يقال عرج إلى السماء أى صعد ومنه تقول العامة عَرَجَ بروح فلانٍ والمعارج الدرج (سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا) غشيت ومنه يقال سَكَرَ النهر اذا سدّ والسِّكر اسمٌ ماسكرت به وسكر الشراب منه إنما هو الغطاء على العقل والعين وقرأ الحسن سُكِرَ بالتخفيف ويقال سُحِرَتْ والعامة تقول فى مثل هذا فلانٌ يأخذ بالعين ﴿ش﴾ (بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورونَ) ﴿قال أبو محمد﴾ بل تأتى لتدارك كلام غلطت فيه تقول رأيت زيداً بل عمراً ويكون لترك شيء من الكلام وأخذ فى غيره وفى القرآن من هذا المعنى كثير قال الله جل ثناؤه ـ ص والقرآن ذى الذّكر ثم ـ قال تعالى ـ بل الَّذين كفروا فى عزة وشقاق ـ فترك الكلام وأخذ فى كلام ثان ـ ثم قال حكاية عن المشركين ـ أأُنْزِلَ عليه الذِّكرُ من بيننا ـ ثم قال ـ بَلْ هُمْ فى شَكٍّ مِنْ ذِكْرِى ـ فترك الكلام وأخذ ببل فى كلام آخر فقال ـ بل لَمَّا يَذُوقُوا عذابِ ـ فى أشباه لهذا كثيرة فى القرآن العزيز قال الشاعر[1]

---

(١) هو أبو ذؤيب ورواية البيت فى غير هذا : بأهل اريك الخ .

بل هل أريك حمول الحي غادية كالنخل زينها ينعٌ وإفضاخُ

وقال آخر * بل مَنْ يرى البرقَ يسرى بتُّ أرقُبُه *

وإذا وليت اسما وهى بهذا المعنى خفض بها وشبهت بربّ وبالواو وتأتى متبدأةً قال أبو النجم

* بل منهلٍ ناءٍ من العياض *

وكذلك إذا أتت مبتدأةً غير ناسقةٍ بكلامٍ على كلام كانت بمعنى ربّ وكذلك هى فى الشعر كقوله

* ومَهْمهٍ مغبرة أرجاؤها *

وقال آخر(١) * وداويّةٍ قفرٍ تمشى نعامها *

وقال آخر * وهاجرة نصبْتُ لهـا جَنْبى *

يدلون بهذه الواو الخافضة على ترك الكلام الأول واستئناف كلام آخر (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى السَّماءِ بُرُوجًا) يقال هى اثنى عشر برجا وأصل البرج القصر والحصن (حَفِظْناهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ إلاَّ مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) يقول وحفظناها من أن يصل اليها شيطان أو يعلم من أمرها شيئا إلا استراقا ثم يتبعه (شهابٌ مُبينٌ) أى كوكب مضىءٌ (مَوْزُون) بقدر كأنه وزن (وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) مثل الطير والوحش والسباع وأشباه ذلك من مالا يرزقه ابن آدم (وأرْسلْنا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ) قال أبو عبيدة لواقح إنما هى ملاقح جمع ملقحة يريد أنها

---

(١) هو الشماخ . وعجز البيت : كمشى النصارى فى خفاف الارندج

تلقح الشجر وتلقح السحاب كأنها تنتجه ﴿ قال أبو محمد ﴾ ولست أدرى ما اضطره الى هذا التفسير بهذا الاستكراه وهو يجد العرب تسمى الرياح لواقح والريح لاقحا قال الطرماح . وذكر بردامدّهُ على أصحابه يستظلون تحته من الشمس

قَلِقٌ لِأَفْنَانِ الرِّيا ح للاقح منها وحائل

وقال اللاّقح الجنوبُ والحائل الشمال ويسمون الشمال أيضا عقيما والعقيم التى لا تحمل كما سمّوا الجنوب لاقحا وقال كثير

* وهاجَ بِسَفْسافِ التراب عَقِيمُها *

يعنى الشمال وانما جعلوا الريح لاقحا أى حاملا لأنها تحمل السحاب وتقلبه وتصرفه ثم تحمله فينزل فهى على هذا الحامل . وقال أبو وجزة يذكر حميرا وردت

حتى سلكن الشّوى منهن فى مَسَكٍ

من نَسْل جَوّابةِ الآفاقِ مِهْداج

سلكن الشوى أى أدخلن قوائمهن فى الماء حتى صار الماء لها كالمسك وهى الأَسْوِرَةُ ثم ذكر أن الماء من نسل ريح تجوب البلاد فجعل الماء للريح كالولد لأنها حملته وهو سحاب وحلته ، ومما يوضح هذا قوله تعالى ـ الذى يرسل الرياح بشرى بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالاً ـ أى حملت (الصَّلْصَالُ) الطين اليابس الذى لم تصبه نار فاذا نقرته صوّت فاذا مسته النار فهو فخار ومنه قيل للحمار مُصَلْصِلٌ قال الأعشى

* كَعَدْوِ المصَلْصِلِ الجَوَّالِ[1] *

ويقال سمعت صلصلة اللجام اذا سمعت صوت حلقه (مِنْ حَمَإٍ) جمع حمئة وتقديرها حلقة وحلق وبكرة الدلو وهذا جمع قليل (والمسْنُونُ) المتغير الرائحة وقوله لم يتسنّ فى قول بعض أصحاب اللغة منه وقد ذكرناه فى سورة البقرة ـ والمسنون ـ أيضاً المصبوب ويقال سننتُ الشيء إذا صببته صبًّا سهلاً وسُنّ الماء على وجهك (الغِلّ) العداوة والشحناء (فَلَا تَكُنْ مِنَ القَانِطِينَ) اليائسين (وَقَضَيْنَا إلَيْهِ) أخبرناه (قَالُوا أَوَ لَمْ نَنْهَكَ عن العَالَمِينَ) أى أو لم ننهك عن أن تضيف أحدا وكانوا نهوه عن ذلك ﴿ش﴾ (لَعَمْرُكَ) أى لبقاؤك يقال منه لعمرك ولعمر الله وهو العمر يقال أطال الله عمرك وعَمْرَكَ وهو قسم بالبقاء (المتَوَسِّمِينَ) المتفرسين يقال توسمت فى فلان الخيرَ أى تبينته (وَإِنَّهُمَا لبإمام مُبِينٍ) أي طريق واضح بين وقيل للطريق إمام لأن المسافر يأتم به حتى يصير الى الموضع الذى يريده (وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً آمنِينَ) يريد أمنوا أن تقع عليهم (لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى مَا متَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ) أى أصنافا منهم (المقْتَسِمِين) قوم تحالفوا على عضْهِ النبي ﷺ وأن يذيعوا ذلك بكل طريق ويخبروا به النُّزَّاع إليهم (الذين جَعَلُوا القرآنَ عِضِينَ) أى فرقوه وعضوه قال رؤبة :

---

(١) صدره : عنتريس تعدو اذا مسها الضر

وليس دين الله بالمعضى [1] ويقال فرقوا القول فيه فقالوا شعرٌ ، وقالوا سحرٌ ، وقالوا كهانة ، وقالوا أساطير الأولين وقال عكرمة العضهُ السحر بلسان قريش يقولون للساحرة عاضهة وفى الحديث «لعن رسول الله ﷺ العاضهة والمستعضهة» (فَاصْدَعْ بما تؤمر) أى أظهر ذلك وأصله الفرق والفتح يريد اصدع الباطل بحقك (حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ) أى الموت

﴿ غريب سورة النحل ومشكلها ﴾

(أتى أمرُ الله فلا تَسْتَعْجِلُوهُ) يعنى القيامة أى هى قريب فلا تستعجلوا وأتى بمعنى يأتى وهو كما يقال أتاك الخير فأبشر أى سيأتيك (يُنَزِّلُ الملائكة بالرّوح) أى بالوحى (الدفءُ) ما استدفأت به يريد ما يتخذ من أوبارها من الأكسية والأخبية وغير ذلك (وَلَكُمْ فيها جَمَال حينَ تُرِيحون) إذا راحت عظامَ الضروع والأسنمة فقيل هذا مال فلان (وحين تَسْرَحُون) بالغداة يقال سرحت الابل بالغداة وسرحتها (بِشِقِّ الانْفُسِ) أى بمشقة يقال نحن بشق من العيش أى بجهد وفى حديث أم زرع « وجدنى فى أهل غنيمة بشق » (وَمِنْها جائرٌ) أى عن الطريق جائر لا يهتدون فيه والجائر العادل عن القصد (مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرابٌ ومِنهُ شَجرٌ) يعنى المرعى قال عكرمة لاتأكل ثمن الشجر فانه سحت

(٢) أى المجزء . قال فى شواهد الكشاف : عضين ، أى أجزاء

يعنى الكلأ (وفيه تُسيمونَ) أى ترعون يقال أسمت إبلى فسامت ومنه قيل لكل مارعى من الأنعام سائمة كما يقال راعية (وَتَرى الفُلْكَ) أى السفن (مَوَاخِرَ فيهِ) أى جوارى تشقّ الماء يقال مخرت السفينة ومنه مخر الأرض إنما هو شق الماء لها (وَأَلْقَى فى الأرْضِ رَوَاسيَ) أى جبالاً ثوابتَ لاتبرح وكل شيءٍ ثبت فقد رسا (أنْ تَمِيدَ بِكُمْ) أى لئلا تميد بكم الأرض والميد الحركة والميل ومنه يقال فلانٌ يميد فى مشيته إذا تكفأ (وما يَشْعُرُون أيَّانَ يُبْعَثُونَ) أى متى يبعثون (قَالُوا أساطِيرُ الأَوَّلِينَ) أى أخبارهم وما سطر منها أى كتب ومنه قوله ـ ن والقلم وما يسطرون ـ أى يكتبون واحدها سطرٌ ثم أسطار ثم أساطير جمع الجمع مثل قول وأقوال وأقاويل ﴿قال أبو محمد﴾ وأبو عبيدة رحمة الله علينا وعليهما يجعل واحدها أسطورة وأسطارةً قال ومعناها الترهات البسابس وهو الذى لانظام له وليس بشيء صحيح (فأَتَى اللهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ القَوَاعِدِ) أى من الأساس وهذا مثل أى أهلكهم الله كما أهلك من هدم مسكنه من أسفله فَخَرَّ عَلَيْهِ (فأَلْقَوا السَّلَمَ) أى انقادوا واستسلموا والسلم الاستسلام (بالْبَيِّنَاتِ والزُّبُرِ) الكتب جمع زبور (أوْ يأْخُذَهُمْ على تَخَوُّفٍ) أى على تنقص ومثله التخوُّر يقال تخوفته الدهور وتخوتته إذا نقصته وأخذت من ماله أو جسمه (يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ اليَمينِ والشَّمائِلِ) أى تدورُ ظِلالُه وترجع من جانب إلى جانب والفيءُ الرجوع ومنه قيل للظلِّ بالعشيِّ فيءٌ لأنه فاءَ عن المغرب إلى المشرق (سُجَّداً للهِ) أى

مستسلمة منقادة ﴿ ش ﴾ قال أبو محمد تفيؤ الظلال رجوعها من جانب إلى جانب فهى مرة تجاه الشخص ومرة وراءه ومرة عن يمينه ومرة عن شماله ومنه الفيء فى الايلاء إنما هو الرجوع إلى المرأة وأصل السجود التطاطؤ والميل يقال سجد البعير وأُسْجِد إذا طؤطىء ليُركب وسجدت النخلة إذا مالت قال لبيد يصف نخلا :

* غُلْبٌ سَوَاجِدُ لم يدخل بها الحصر [1] *

والغلب الغلاظ الأعناق والسواجد الموائل ومن هذا قيل لمن وضع جبهته بالأرض ساجد لأنه تطامن فى ذلك ثم يستعار السجود فيوضع موضع الاستسلام والطاعة والذلّ كما يستعار التطاطؤ والتطامن فيوضعان موضع الخضوع والانقياد والذل فيقال تطامن للحق أى اخضع له وتطاطأ لها بخطئك أى تذلل لها ولا تعزز ومن الأمثال المبتذلة اسجد للقرد فى زمانه يرجع . اخضع للسفيه واللئيم فى دولته . ولا يراد معنى سجود الصلاة وقال الشاعر

بجمع تضلُّ البلقُ فى حجراته ترى الاكْمَ منه [2] سجَّداً للحوافر

يريد أن حوافر الخيل قد قلعت الأكم وَوَطِئَتْهَا حتى خشعت وانخفضت ومن خلق الله المسخر المقصور على فعل واحدٍ كالنار شأنها الاحراق والشمس والقمر شأنهما المسير والليل والنهارُ دائبين والفلك المسخر للدوران

(١) صدره : بين الصفا وخليج العين ساكنة
(١) فى اللسان : ترى الاكم فيها .

ومنه المسخر لمعنيين ثم هو مخيَّرٌ بينهما كالانسان فى الكلام والسكوت والقيام والقعود والحركة والسكون والشمس والظل خلقان مسخران لأنه يعاقب كل واحد منهما صاحبه بغير فصل والظلُّ فى أول النهار قبل طلوع الشمس يعم الأرض كما تعمها ظلمة الليل ثم تطلع الشمس فتعم الأرض إلا ماسترته الشُّخُوصُ فاذا ستر الشمس شيء عاد الظل فرجوع الظل بعد أن كان شمسا ودورانه من جانب إلى جانب هو سجوده لانه مستسلم منقادٌ مطيعٌ بالتسخير وهو فى ذلك يميل والميل سجود وكذلك قوله عز وجل ـ والنَّجْمُ والشّجرُ يسجُدَانِ ـ أى يستسلمان لله تعالى بالتسخير وقوله ـ ولله يَسْجُدُ مَنْ فِي السّموات والأرض طوْعاً وكَرْهاً وَظِلالُهُمْ بالغُدُوِّ والآصَالِ ـ أى يستسلم من فى السموات من الملائكة ومن فى الأرض من المؤمنين طوعا ويستسلم من فى الأرض من الكافرين كرها وظلالهم بالغدو والآصال مستسلمة وهو مثل قوله ـ ولَهُ أسْلَمَ من فِي السّموَاتِ والأرْض طَوْعًا وكَرْهًا وإلَيْه يُرْجَعُونَ ـ ﴿غ﴾ (وهُمْ دَاخِرُونَ) أى صاغرون يقال دَخَرَ لله (ولَهُ الدِّينُ وَاصِبًا) أى دائمًا والدين الطاعة يريد أنه ليس من أحدٍ يدان له ويطاع إلا انقطع ذلك عنه بزوال أو هلكة غير الله فان الطاعة تدوم له (وإلَيْه تجأَرُونَ) أى تضجون بالدُّعاء والمسألة يقال جأر الثور يجأر والضرُّ البلاء والمصيبة (ويَجْعَلونَ لِمَا لا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا ممَّا رَزَقْنَاهُمْ) هذا مما كانوا يجعلونه لآلهتهم من الحظ فى زروعهم وأنعامهم وقد ذكر فى سورة الأنعام (ويَجْعَلونَ لله البَنَاتِ

سُبْحَانَهُ) تنزيها له عن ذلك (وَلَهُمْ مايَشْتَهُونَ) يعني البنين (وهُوَ كَظِيمٌ) أي حزين قد كظم فلا يشكو مابه (أَيُمْسِكُهُ على هُونٍ) أي على هوان (أَمْ يَدُسُّهُ فى التُّرَاب) أي يبيده (ولله الْمَثَلُ الأَعلى) شهادة أن لا إله إلا هو (ويَجْعَلونَ لله مايكْرَهُونَ) من البنات (وتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أنَّ لَهُمْ الحُسْنَى) أي الجنة ويقال البنين (وأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) أي معجلون إلى النار يقال فرط مني مالم أحسبه أي سبق والفارط المتقدم إلى الماء لاصلاح الأرشية والدلاء حتى يرد القوم وأفرطته أي قدمته (نُسْقِيكُمْ مِمّا فِي بِطُونِهِ) ذهب إلى النعم والنعم تذكر وتؤنث والفَرْث مافي الكرش قوله (مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ) لأن اللبن كان طعاماً فخلص من ذلك الطعام دَمٌ وبقي منه فرث فى الكرش وخلص من الدم لبنٌ (سائِغاً لِلشَّاربِينَ) أي سهلا فى الشرب لايشجى به شاربه ولا يغصُّ (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً) أي خمراً ونزل هذا قبل تحريم الخمر (وَرِزْقاً حَسَناً) يعنى التمر والزبيب . وقال أبو عبيدة السكر الطعم قال ولست أعرف هذا التفسير (وأَوْحَى رَبُّكَ إلى النَّحْلِ) أي ألهمها وقيل سخرها والوحي يكون كلاماً ويكون إلهاماً وإشارةً وتسخيراً ورسالة وإيماء وإعلاماً كما مر فى سورة المائدة (وَمِمَّا يَعْرِشُونَ) كلُّ شيء عرش من كرم أو نبات أو سقف فهو عرشٌ ومعروش (ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَات) أي من الثمرات وكلُّ هاهنا ليس على العموم ومثل هذا قوله ـ تدمِّرَ كلَّ شيءٍ بأمر ربِّها ـ (فاسلكي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً) أي منقادةً بالتسخير وذلل جمع ذلولٍ (وَمِنْكُمْ مَنْ

يُرَدُّ إلى أَرْذَلِ العُمُرِ) وهو الهرم لأن الهرم أسوأ العمر وشره (لِكَيْلَا يَعلَمَ بَعْدَ عِلمٍ شَيْئًا) أى حتى لا يعلم بعد علمه بالأمور شيئاً لشدة هرمه (واللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ على بَعْضٍ فى الرِّزقِ) يعنى فضل السادة على المماليك (فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا) يعنى السادة (بِرَادِّى رِزْقِهِمْ على مَامَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فيه سَوَاءٌ) أى لا يجعلون أموالهم لعبيدهم حتى يكونوا والعبيد فيها سواء وهذا مثل ضربه الله لمن جعل له شريكا من خلقه (بَنِينَ وَحَفَدَةً) الحفدة الخدم والأعوان ويقال هم بنون وخدم ويقال الحفدة الأصهار وأصل الحفد مداركة الخطو والاسراع فى المشى وإنما يفعل هذا الخدم فقيل لهم حفدة واحدهم حافد مثل كافرٍ وكفرةٍ ومنه قيل فى دعاء الوتر وإليك نسعى ونحفد قوله (ويَعبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَالَا يَمْلِكُ لهمْ رِزْقًا منَ السَّمَوَاتِ والأرضِ شَيْئًا) ونصب شيئا بإيقاع رزق عليه أى يعبدون مالا يملك لهم أن يرزقهم شيئا كما تقول هو يخدم مَنْ لا يستطيع إعطاءه درهما ﴿ش﴾ (ضربَ اللهُ مثلاً عبْدًا مَمْلُوكًا لا يَقْدِرُ على شىءٍ) ﴿قال أبو محمد﴾ هذا مثل ضربه الله لنفسه ولمن جعل إلٰهاً دونه أو معه لأنه عاجزٌ مدبَّرٌ مملوكٌ لا يقدر على نفع ولا ضرٍ ثم قال (ومنْ رزقْناهُ منَّا رزقًا حسناً فهُو يُنْفِقُ منْهُ سِرًّا وجهْرًا هلْ يستَوُونَ) فهذا مثله جلّ وعزّ لأنه الواسع الجواد القادر الرزاق عباده جهراً من حيث يعلمون وسرًّا من حيث لا يعلمون . وقال بعض المفسرين هو مثل للمؤمن والكافر والعبد هو الكافر والمرزوق هو المؤمن ﴿قال أبو محمد﴾ والتفسير الأول أعجب

إلىّ لأن المثل توسّط كلامين هما لله عز وجل أما الأول فقوله ـ ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون ـ فهذا لله ومن عبد من دونه وأما الآخر فقوله بعد انقضاء المثل (الحمدلله بلْ أكثرهم لا يعلْمُون) ولأنه ضرب لهذا المعنى أيضاً مثلا آخر يعقب هذا الكلام فقال (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أحَدُهُمَا أبكَمُ) أى أخرس (لا يَقْدِرُ على شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ على مَوْلاَهُ) أى عيال وثقل على قرابته ووليِّه (أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لاَ يأتِ بِخَيْرٍ) فهذا مثل آلهتهم لأنها بكمٌ صمٌّ عميٌ ثقلٌ على من عبدها فى خدمتها والتعبد لها وهى لا تأتيه بخير ثم قال (هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَنْ يأمُرُ بالْعَدْلِ وهُوَ على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) فجعل المثل لنفسه ﴿غ﴾ (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جلُودِ الأنْعَامِ بيُوتاً) يعنى قباب الأدَمِ وغيرها (تَسْتَخِفُّونَهَا) فى الحمل (يَوْمَ ظَعَنِكُمْ) يوم سفركم (وَيَوْمَ إقَامَتِكُمْ) (والأثات) متاع البيت من الفرش والأكسية قال أبو زيد واحد الأثاث أثاثة (واللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمّا خلَقَ ظِلاَلاً) أى ظلال الشجر والجبال (والسَّرَابِيلُ) القمص (تَقِيكُمُ الحرّ) والبَرْد فاكتفى بذكر أحدهما إذ كان يدل على الآخر كذلك قال الفراء (وَسَرَابيلَ تَقِيكُمْ بأسَكُمْ) يعنى الدروع تقيكم بأس الحرب (يَعْرِفُونَ نِعمَةَ اللهِ) أى يعلمون أن هذا كلَّه من عنده ثُمَّ يُنْكِرُونَ ذلك بأن يقولوا هو شفاعة آلهتنا (الانكاث) ما نقض من غزل الشعر وغيره واحدها نِكْثٌ يقول لا تؤكدوا على أنفسكم الايمان والعهود ثم تنقضوا ذلك وتحنثوا

فتكونوا كامرأة غزلت ونسجت ثم نقضت ذلك النسج فجعلته أنكاثاً ﴿ وقال فى المشكل ﴾ (وَلاَ تَكُونُوا كالَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً) الآية هذا مثل ضربه الله عز وجل لمن عاهده وحلف به فقال تعالى (أَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذاعَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الأَيْمانَ بَعْدَتَوكِيدِها) فتكونوا إن فعلتم كامرأة غزلت غزلاً وقوّت مِرّته وأبرمته فلما استحكم نقضته فجعلته أنكاثا والأنكاث مانقض من أخلاف بيوت الشعر والوبر ليغزل ثانية ويعاد مع الجديد وكذلك مانقض من خلف الخز ومنه قيل لمن أعطاك بيعته على السمع والطاعة ثم خرج عليك ناكث لأنه نقض ما كان أكَّدَ على نفسه بالأيمان والعهود كما تنقض الناكثة غزلها ثم قال عز وجل (تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ) أى دَغَلاً وَحِيَلاً (أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) أى لأن يكون قوم أغنى من قوم وقوم أعلى من قوم (تريدون) أن تقتطعوا بأيمانكم حقوقا لهؤلاء فتجعلوها لهؤلاء وقال المفسرون والتى نقضت غزلها هى امرأة من قريش وكانت حمقاء تغزل الغزل من الصوف أو الشعر والوبر بمغزل فى غلظ الذراع وصنارة فى قدر الأصبع وفلكة عظيمة فاذا أحكمته أمرت خادمها فنقضته ﴿ غ ﴾ (تَتَّخِذُونَ أَيْمانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ) أى دغلاً وخيانةً (أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) أى أغنى من فريق (إِنَّما سُلْطَانُهُ على الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ والذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ) لم يرد أنهم بابليس كافرون ولو كان هذا هكذا كانوا مؤمنين وإنما أراد الذين هم من أجله مشركون بالله وهذا كما يقال

صار فلان بك عالما أى من أجلك (وإذا بدّلنا آيةً مكانَ آيةٍ) أى نسخنا آيةً بآيةٍ (يُلْحِدُونَ إلَيْهِ) أى يؤمنون ويزعمون أنه يعلمك وأصل الالحاد الميل (ولكنْ مَنْ شَرَحَ بالكُفْرِ صدراً) أى فتح له صدره بالقبول (يَوْمَ تأتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفْسِهَا) أى يأتى كل انسان يجادل عن نفسه غداً (رَغَدًا) كثيراً واسعاً (وَعَلى الَّذِينَ هَادُوا) اليهود (كَانَ أُمَّةً) أى معلما للخير يقال فلان أمّة وقد مرّ هذا فى المشكل فى البقرة ومن الاستعارة قوله عز وجل (فأذَاقَهَا اللهُ لِباسَ الجُوعِ والْخَوْفِ بما كانوا يَصْنَعُون) قال أبو محمد أصل الذوق بالفم ثم قد يستعار فيوضع موضع الابتلاء والاختبار ومنه يقال فى الكلام ناظر فلانا وذق ماعنده أى تعرّف واختبر واركب الفرس وذقه قال الشماخ فى وصف قوسٍ

فذاق وأعطته من اللين جانباً ... كفى ولها أن يغرق السهم حاجز[1]

يريد ذاق القوس بالنزع فيها ليعلم ألينة هى أم صلبة. وقال الآخر

وإن الله ذاق حلومَ قيْسٍ ... فلمّا رأى خفتها قلاها

وهذه الآية نزلت فى أهل مكة وكانوا آمنين بها لا يغار عليهم مطمئنين لا ينتجعون ولا ينتقلون فأبدلهم الله بالأمن الخوف من سرايا رسول الله وبعوثه وبالكفاية الجوع سبع سنين حتى أكلوا القدّ والعظام ـ ولباس الجوع والخوف ـ ما ظهر عليهم من سوء آثارهما بالضمور والشحوب ونهكة البدن وتغير الحال وكسوف البال وقال فى موضع آخر (ولباس

(١) قال فى اللسان: كفى ولها أن يغرق النبل حاجز.

التّقْوىَ) أى ماظهر عليه من السكينة والاخبات والعمل الصالح وكماتقول تعرفت سوء أثر الجوع والخوف على فلان وذقت بمعنى تعرفت واللباس بمعنى سوء الأَثر كذلك تقول ذقت لباس الجوع والخوف وأذاقنى الله ذلك فهو استعارة على أن الملحدين قالوا كيف يذاق اللباس ؟ وإنما كان وجه الكلام فألبسها الله لباس الجوع أو غشاها الله لباس الجوع أو فأذاقها الله الجوع والخوف ويحذف اللباس ﴿ غ ﴾ (قَانِتا) أى مطيعا (شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ) جمع نعم يقال يوم نعم ويوم بؤس ويجمع أنعم وأبؤس وليس قول من قال إنه جمع نعمة بشىء لان فعلةً لاتجمع على أفعل (وَلاَتَكُ فِى ضَيْقٍ) تخفيف ضيِّق مثل هين ولين وهو إذا كان على هذا التأويل صفة كأَنه قال ولا تك فى أمر ضيق من مكرهم ويقال إن ضَيْقا وضَيِّقا بمعنى واحد كما يقال رَطْلٌ وَرِطْلٌ ويقال أنا فى ضيق ضيقة ﴿ قال أبو محمد ﴾ وهو أعجب الىّ

﴿ غريب سورة سبحان ومشكلها ﴾

﴿ قال أبو محمد ﴾ فى صدر الغريب : ومن صفاته تبارك وتعالى سُبُّوحٌ وهو حرف مبنى على فعول من سبح الله اذا نزهه وبرأه من كل عيب ومنه قيل سبحان الله أى تنزيها لله وتبرئة له من ذلك ومنه قوله ـ سَبّح لله مَافِى السّموات ومَا فى الأرض ـ قال الأَعشى

أقول لما جاءنى فخره   سبحان من علقمة الفاخر

أراد التنزُّه من علقمة وقد يكون تعجب بالتسبيح من فخره كما يقول القائل إذا تعجب من شيء سبحان الله فكأنه قال عجبا من علقمة الفاخر (وقَضَيْنَا إلى بنى إسْرَائيلَ فى الكِتَابِ) أى أخبرناهم (فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيارِ) أى عاثوا بين الديار وأفسدوا يقال جاسوا وحاسوا بهم يجوسون ويحوسون (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُم الكَرَّةَ عَلَيْهِمْ) أى الدولة (وأَكْثَرَ نَفِيراً) أى أكثر عدداً وأصله من ينفر مع الرجل من عشيرته وأهل بيته والنفير والنافر واحد كما يقال قديرٌ وقادر (فإذا جاء وعْدُ الآخِرَةِ) يعنى من المرّتين (لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ) من السوْء (ولِيُتَبِّرُوا ماعَلَوْا تَتْبِيراً) (وجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً) أى محبساً من حَصَرَ الشيءَ إذا حبسه فعيل بمعنى فاعل (ويَدْعُوا الانْسانُ بالشّرِّ دُعاءه بالخَيْرِ) أى يدعو على نفسه وعلى خادمه وعلى ماله بما لو استجيب له فيه هلك (وكَانَ الإِنسَانُ عجولاً) أى يعْجل عند الغضب والله لايعجل باجابته (فَمَحَوْنا آيَةَ اللّيلِ) يعنى محونا القمر (وجَعَلْنَا آيَةَ النّهارِ مُبْصِرَةً) أى مبصراً بها (وكلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمناه طائِرَهُ فى عُنُقِهِ) قال أبو عبيدة حظه وقال المفسرون مايحمل من خير أو شر ألزمناه عنقه، وهذان التفسيران يحتاجان الى تبيين والمعنى فى ماأرى والله أعلم أن لكل امرىء حظًا من الخير والشر قد قضاه الله فهو لازم عنقه وهو لازم صليف عنقه وهذا لك على وفى عنقى حتى أخرج منه وإنما قيل للحظ من الخير والشر طائر لقول العرب جرى له الطائر بكذا من الخير وجرى له الطائر بكذا من الشرّ على طريق الفأل والطيرة وعلى

مذهبهم فى تسمية الشيء بما كان له سببا فخاطبهم الله سبحانه بما يستعملون وأعلمهم أن ذلك الأمر الذى يجعلونه بالطائر هو يلزمه أعناقهم ونحوه ـ ألا إنما طائرهم عند الله ـ وكان الحسن وأبو رجاء ومجاهد رحمهم الله يقرءون ـ وكلّ إنسانٍ ألزمناه طَيْرَهُ فى عُنقه ـ بلا ألف والمعنيان جميعا سواء لأن العرب تقول جرت له طير الشمال فالطير جماعة والطائر واحد وقوله (نُخْرِج له يَوْمَ القيامةِ كِتابا يلقَاهُ مَنْشوراً) أى نخرج له بذلك العمل كتابا ومن قرأ ـ يخرج له يوم القيامة كتابا ـ بالياء أراد ويخرج له ذلك العمل كتابا (كَفَى بِنَفْسِكَ اليومَ حَسِيباً) أى كافيا ويقال محاسبا وحاسباً (وإذا أرَدْنَا أنْ نُهلِكَ قَرْيَةً أمَرْنَا مُترَفِيهَا) أى كثرنا يقال أمرت الشيء وأمرته أى كثرته تقديره فعلت وأفعلت ومنه قولهم مهرة مأمورة أى كثيرة النتاج ويقال أمر بنو فلان يأمرون أمراً اذا كثروا وبعض المفسرين يذهب إلى أنه من الأمر يقول نأمرهم بالطاعة ونفرض عليهم الفرائض فاذا فسقوا حقّ عليهم القول أى وجب ومن قرأ أمّرْنَا فهو من الأمارة أى جعلناهم أمراء وقرأ قوم آمرنا بالمد وهى اللغة العالية المشهورة فى كثّرنا (وقضى رَبُّكَ أنْ لاَ تَعبُدُوا إلاَّ إيّاهُ) أى أمر ربك ﴿ش﴾ قال أبو محمد أصل قضى حتَّمَ كقوله ـ فيمسك التى قضى عليها الموت ـ أى حتّمه عليها ثم يصير الحَتْمُ بمعان كقوله ـ وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه ـ أى أمر لأنه لما أمر حتَّم بالأمر وكقوله ـ وقضينا الى بنى إسرائيل فى الكتاب ـ أى أعلمناهم لأنه لما أخبرهم أنهم سيفسدون فى الأرض حتم بوقوع الخبر

- وقوله فقضاهُنّ سبعَ سموات - أى صنعهن وقوله - فاقْضِ ما أنْتَ قاض - أي اصنع ما أنت صانع ومثله - فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم اقضوا الىّ - أي اعملوا ما أنتم عاملون - ولا تُنْظِرون - . وقال أبو ذؤيب [(١)] :

وعليهما مسرودتان قضاهما   داود أوصنْعُ السوابغ تُبَّعُ

أي صنعهما داود . وقال الآخر [(٢)] فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه

قضيتَ أُمورا ثم غاردت بعدها   فوائح فى أكمامها لم تفتق

أي عملت أعمالا لأن من عمل عملا وفرغ منه فقد حتّمه وقطعه ومنه قيل للحاكم قاضٍ لأنه يقطع على الناس الأُمور ويُحتّم وقيل قضى قضاؤك أى فرغ من أمرك وقالوا للميت قد قضا أي فرغ وهذه كلها فروع ترجع الى أصل واحد ﴿غ﴾ (الأَوّابُ) التأئب مرة بعد مرة وكذلك التواب وهو من آب يؤوب أى رجع وقوله (فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ) هو من الاستعارة ﴿قال أبو محمد﴾ ومن الاستعارة اللسان يوضع موضع القول لأَن القول يكون به قال الله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام - واجعل لى لسان صدق فى الآخرين - أى ذكراً حسناً وقال الشاعر : [(٣)]

إنى أتتنى لسانٌ لا أسرُّ بها   من عَلْوَ لاعَجَبٌ فيها ولا سَخَرُ

أى أتانى خبر لاأسرُّ بها ، ومنه الذكر يوضع موضع الشرف لأن الشريف يذكر قال - وإنهُ لذكرلك ولقومك - يريد أن القرآن شرف لكم وقال

---

(١) قال فى اللسان : هذه رواية الأصمعي ، ويروى صنع السوابغ تبع .
(٢) هو الشماخ (٣) هو أعشي باهلة .

ـ لقد أنزلنا اليكم كتاباً فيه ذكركم ـ أى شرفكم وقال ـ بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ـ أى أتيناهم بشرفهم ومنه قوله عز وجل ـ فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ـ أى لاتستثقل شيئا من أمرهما وتضيق صدراً بهما ولا تغلظ بهما والناس يقولون لما يكرهون ويستثقلون أفٍ له وأصل هذا نفخك الشيء يسقط عليك من تراب أو رمادٍ أو غير ذلك وللمكان تريد إماطة شيءٍ عنه لتقعد فيه فقيلت لكل مستثقل ولذلك تُحرك بالكسر للحكاية كما يقولون غاقِ غاقِ إذا حكوْا صوت الغراب والوجه أن يسكن إلاّ أنه تحرك لاجتماع الساكنين فربما نوّن وربما لم ينوّن وربما حرك الى غير الكسر وسترى باقى باب الاستعارة إن شاء الله عز وجل ﴿غ﴾ (قَوْلاً مَيْسُوراً) أى لينا (مَحْسُوراً) أى تحسرك العطية وتقطعك كما يحسر السفر البعير فيبقى منقطعا به يقال حسرت الرجل فأنا أحسره وحَسَرَ فهو يَحْسَرُ (يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاء) يوسّعُ عليه (وَيَقْدِر) أى يضيق عليه (فَلاَ يُسْرِفْ فى القَتْلِ) أى لاتمثل اذا قتلت بالقودِ ولا تقتل غير قاتلك (وَلاَ تَقْرَبُوا مالَ اليَتِيمِ إلاّ بالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) أى يتناهى فى الثبات إلى حدّ الرجل ويقال ذلك ثمانية عشر عاماً وأَشُدّ اليتيم غير أشدّ الرجل فى قول الله عز وجل ـ حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة ـ وإن كان اللفظان واحداً لأَن أشد الرجال الاكتهال والحنكة وإن اشتد عقله ورأيه وذلك ثلاثون سنة ويقال ثمان وثلاثون سنة وأشد الغلام أن يشتد خلقه ويتناهى ثباته (والقِسْطَاسُ) الميزان يقال

هو بلسان الروم وفيه لغة أخرى قُسْطَاس بضم القاف وقد قرىء باللغتين جميعاً (وأَحْسَنُ تأويلاً) أى أحسن عاقبة (وَلاَ تَقْفُ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) أى لاتتبعه بالحدس والظنون ثم تقول رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم وهو مأخوذ من القفا كأنك تقفو الامور أى تكون فى أقفاها وأواخرها تتعقبها ويقال قفوت أثره والقائف الذى يعرف الآثار ويتبعها وكأنه مقلوب عن القافى (وَلاَ تَمْشِ فى الأَرْضِ مَرَحاً) أى بالكبر والفخر (إنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ) أى لاتقدر أن تقطعها حتى تبلغ آخرها يقال فلان أخرق للارض من فلان إذا كان أكثر أسفاراً وغزوا (وَلَنْ تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولاً) يريد أنه ليس ينبغى للفاجر أن يبزع ويستطير (مَدْحُوراً) مبعدا مقصى يقال اللهم ادحر الشيطان عنى (واتَّخَذَ مِنَ الملائِكَةِ إنَاثا) كانوا يقولون الملائكة بنات الله (قُلْ لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إذًا لابْتَغَوْا إلى ذِي العَرْشِ سَبِيلاً) يقول لو كان الأمر كما تقولون لابتغى من تدعونه إلها التقرب الى الله سبحانه وتعالى لأنه ربٌّ كل مدعوٍّ ويقال لابْتَغَوْا سبيلا أى طريقا للوصول اليه (أَكِنَّةً) جمع كِنَانٍ مثل غِطاءٍ وأغطية (وإذْ هم نَجْوَى) أى متناجون يسارُّ بعضهم بعضاً (إنْ يَتَّبِعُونَ إلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً) قال أبو عبيدة يريد بشرا ذا سحر أى ذا رئة كأنهم أرادوا أن يكون ملكا لأن الملك لاسحر له ﴿قال أبو محمد﴾ ولست أدرى ما اضطره الى هذا التفسير المستكره وقد سبق التفسير من السلف بما لااستكراه فيه قال مجاهد رحمه الله فى

قوله ـ إلاّ رجلاً مسحورًا ـ أى مخدوعا لأَن السحر حيلة وخديعة وقالوا في قوله ـ فأنّى تُسْحَرُون ـ أى من أَين تخْدَعُون ـ وإنما أنتَ مِنَ المسحَّرِينَ ـ أى من المعللين وقال امرؤ القيس : —

* ونُسْحَرُ بالطَّعام وبالشرابِ (١) *

أى نُعلّلُ فكأنَّا نُخْدَعُ وقال لبيد:

* عَصَافِيرُ من هذا الأَنامِ المُسَحّرِ (٢) *

أى المعلَّل والناس يقولون سحرتنى بكلامك يريد خدعتنى وقوله ـ انْظُرْ كيفَ ضربوا لك الأَمثال ـ يدل على هذا التأويل لأَنهم لو أرادوا رجلاً ذا رِئةٍ لم يكن فى ذلك مثل ضربوه ولكنهم لما أُرادوا رجلا مخدوعا كأَنه بالخديعة سُحِرَ كان مثلا ضربوه وتشبيها شبَّهوه وكأَن المشركين ذهبوا إلى أن قوما يعلِّمونه ويخدعونه وقال الله جل ثناؤه فى موضع آخر حكاية عنهم ـ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلِّمه بَشرٌ ـ وقال فرعون إنِّى لا ظنُّكَ ياموسى مسْحورا ـ لايجوز أن يكون أراد به إنى لأَظُنُّكَ إنسانا ذا رئةٍ وإنما أراد إنى لأَظنك مخدوعا (والرفاتُ) ماأرفت وهو مثل الفتات (فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رءوسَهم) أى يحرِّكونها كما يُحرِّكُ اليائسُ من الشيء والمستبعد له رأسه يقال نغضت سنهُ اذا تحركت ويقال للظليم نِغْضٌ لأَنه يحرك رأسه إذا عدا (أُولئِكَ الّذِينَ يدْعُونَ) يعنى الذين يعبدون من

(١) صدره : أرانا موضعين لأمر غيب

(٢) صدره : فان تسألينا فيم نحن فاننا

دونه ويدعونهم آلهة يعنى الملائكة وكانوا يعبدونها (يبتغون إلى ربهم الوسيلة) أى القربة (مسطورا) أى مكتوبا يقال سطر أى كتب (وآتينا ثمود الناقة مبصرة) أى آتينا ثمود آية وهى الناقة ـ مبصرة ـ أى بينة يريد مبصرا بها كما قال (وجعلنا آية النهار مبصرة فظلموا بها) أى كذبوا (وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) أى وما نرسل الرسل بالآيات (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك) أى ليلة الاسراء (والشجرة الملعونة فى القرآن) يعنى شجرة الزقوم (الا فتنة للناس) يقول فتن بها قوم فقالوا كيف يكون فى النار شجرة والنار تأكل الشجرة؟ وكيف يذهب هذا إلى بيت المقدس ويرجع فى ليلة فارتدوا وزاد الله فى بصائر قوم منهم أبو بكر رضوان الله عليه وبه سمى صديقا وكذلك قالوا فى قوله عز وجل ـ ليس لهم طعام إلا من ضريع ـ ﴿قال أبو محمد﴾ فى باب ماادعوه من التناقض والاختلاف والرد عليهم إذ قالوا كيف قال ـ ليس لهم طعام إلا من ضريع ـ وهو يقول فى موضع آخر ـ فليس له اليوم هاهنا حميم ولا طعام إلا من غسلين ـ فقيل لهم فى الرد عليهم إن النار دركات والجنة درجات على قدر الذنوب والحسنات تقع العقوبات والمثوبات فمن أهل النار من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه غسلين ومنهم من شرابه الصديد والضريع نبت يكون بالحجاز يقال لرطبه الشبرق ولا يسمن ولا يشبع والعرب تصفه بذلك وغسلين فعلين من غسلت كأنه الغسالة قال بعض المفسرين هو مايسيل من أجسام المعذبين وهذا نحو قوله ـ سرابيلهم من قطران ـ ومن قطر آن

قراءة عكرمة ومن تابعه والقِطْرُ النحاس والآنى الذى قد بلغ منتهى حده كأن قوما يسربلون هذا وقوما يسربلون هذا أو يلبسون هذا تارة وهذا تارة وأما قولهم كيف يكون فى النار نبات وشجرة والنار تأكلها فان الله لم يرد فيما يرى أهل النظر أن الضريع بعينه ينبت فى النار ولا أنهم يأكلونه والضريع من أقوات الأنعام لا من أقوات الناس واذا وقعت فيه الابل لم تشبع وهلكت هزلا قال الهذلى يذكر إبلا وسوء مرعاها :

وحبسن فى هزم الضريع فكلها حدباء دامية اليدين حرود[1]

الحرد ضعف عصب اليدين والرجلين فأراد أن هؤلاء قوم يقتاتون مالا يشبعهم وضرب الضريع لهم مثلا ويعذبون بالجوع كما يعذب من قوته الضريع وكان ماأراد الله بهذا معلوما عندهم مفهوما ولو لم يكن كذلك لأنكروه كما أنكروا قوله ـ إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رءوس الشياطين ـ وقد يكون الضريع وشجرة الزقوم نبتين من النار أو من جوهر لا تأكله النار وكذلك سلاسل النار وأغلالها وأنكالها وعقاربها أعاذنا الله منها برحمته لو كانت على ما يعلم لم تبق على النار وانما دلنا الله سبحانه على الغائب عنده بالحاضر عندنا والأسماء متفقة للدلالة والمعانى مختلفة وما فى الجنة من شجرها وثمرها وفرشها وعرشها وجميع الأنهار على مثل ذلك. قال ابن عباس رضى الله عنه: نخل الجنة جذوعها من زُمُرُّدٍ أخضر وكرنفها ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحليهم وثمرتها

---

(١) فى لسان العرب : وهزم الضريع ماتكسر منه . والحرود التى لا تكاد تدر.

أمثال القلال والدلاء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس له عجم ﴿غ﴾ (هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ) أى فضلت (لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إلاَّ قَلِيلاً) لأستأصلنهم يقال احتنك الجرادُ ماعلى الأرض إذا أكله كلّه واحتنك فلان ماعند فلان من العلم اذا استقصاه ويقال هو من حنك دابته يحنكها حنكا اذا شد فى حنكها الأسفل حبلا يقودها به أى لأقودنهم كيف شئت (جَزَاءً مَوْفُوراً) أى موفرا يقال وفرت عليه ماله ووفرته بالتخفيف والتشديد (واسْتَفْزِزْ) أى استخف ومنه يقال استفزنى فلان والرجل الرجالة يقال راجل ورجل مثل صاحب وصحب وتاجر وتجر (وَشَارِكْهُمْ فِى الأَمْوَالِ) بالنفقة فى المعاصى (وَفِى الأَوْلاَدِ) بالزنا (يُزْجِى لَكُمُ الفُلْكَ) أى يسيرها قال الشاعر

* فَتًى [1] يُزْجِي المَطِيَّ عَلَى وجَاهَا *

(الحَاصِبُ) الريح سميت بذلك لأنها تحصب أى ترمى بالحصباء وهى الحصا الصغار والعاصف من الريح التى تعصف الشجر أى تكسره (ثُمَّ لاَ تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً) أى من يتبعنا بدمائكم أى من يطالبنا ومنه قوله تعالى ـ فاتِّبَاعٌ بالمَعْرُوفِ ـ أى مطالبة جميلة (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ) أى بكتابهم الذى فيه اعمالهم على قول الحسن وقال ابن عباس فى رواية ابى صالح برئيسهم (وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً) أى مقدار فتيل وهو الخيط الذى فى وسط النواة وقد مر فى الاستعارة (وإنْ كادُوا

---

(١) يزجى المطى : يسوقها . اه لسان العرب

لَيَفْتِنُونَكَ) أي يستزلونك (لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ) أي لتختلق غيره (واذا لا تَّخَذُوكَ خَلِيلاً) أي لو فعلت ذلك لودوك (ضِعْفَ الحَيَاةِ) ضعف عذاب الحياة (وضِعْفَ المَمَاتِ)أي ضعف عذاب الممات . وهذا من باب ما حذف اختصارا (وَإذًا لا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ) أي بعدك (دلوك الشمس) غروبها ويقال زوالها ﴿ قال أبو محمد ﴾ القول الأول أعجب إلىَّ لأن العرب تقول دلك النجم اذا غاب وقال ذو الرمة :

مَصَابِيحُ لَيْسَتْ باللواتى تَقُودهَا ＊ نجومٌ ولاَ بالآفلات الدوالك

ويقال دلكت الشمس يريدون غربت والناظر قد وضع كفه على حاجبه ينظر اليها قال الشاعر : (١)

والشمس قد كادت تكون دنفا ＊ أدفعهَا بالرّاح كَيْ تَزَحلَفَا

فشبهها بالمريض الدنف لأنها قد همت بالغروب كما قارب الدنف الموت وانما ينظر اليها من تحت الكف ليعلم كم بقى لها إلى أن تغيب ويتوقى الشعاع بكفه (إلى غَسَقِ اللّيْلِ) أي ظلامه (وقُرآن الفجْرِ) أي قراءة الفجر (فتَهَجَّدْ بِهِ) أي اسهر به يقال تهجَّدت اذا سهرت وهَجَدْتُ إذا نمت (نَافِلَةً لَكَ) أي تطوعا (ونأى بِجَانِبِه)أي تباعد (كَانَ يَؤُوساً) أي قانطا يائسا (كُلٌّ يَعْمَلُ على شَاكِلَتِهِ) أي خليقته وطبيعته وهو من الشكل يقال لست على شاكلتي ولا على شكلي (وَلَوْ كانَ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ ظَهِيراً) أي عونا (يَنْبُوعًا) أي عيناً وهو يفعول من نَبعَ يَنبُعُ ويقال لمال عليّ رضي

---

(١) هو العجاج .

الله عز ه (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا) أى وجهنا القول بكل شيء (مَثَلٍ) وهو من قولك صرفت إليك كذا أى عدلت به وشدد ذلك للتكثير كما يقال فتّحتِ الأبواب (وَكِسَفًا) أى قطعا الواحدة كِسْفَةٌ (أوْ تَأْتِيَ بِاللهِ والملاَئِكَةِ قَبِيلاً) أى ضمينا يقال قبلت به أى كفلت قال أبو عبيدة — معاينة. ذهب الى المقابلة (بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ)أى من ذهب(كُلَّمَا خَبَتْ) أى سكنت يقال خَبتِ النار إذا سكن لهبها تخبو فان سكن اللهب ولم يطفأ الجمر قيل خمدتْ تخمُدُ خمودا فان طفئت ولم يبق منها شيءٌ قيل هَمَدَتْ تَهْمُدُ هُمودًا (زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا) أى نارًا تتسعر أى تتلهب (وكَانَ الانْسَانُ قَتُورًا) أى ضيقًا بخيلاً (إنِّى لأَظُنُّكَ يافِرْعَوْنُ مَثْبورًا) أى مُهلَكًا والثبور الهلكة وفى رواية الكابى ـ إنّى لأعلمك يافرعون ملعونًا ـ (فأَرَادَ أنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الأَرْضِ) أى يستخفهم حتى يخرجوا (جِئْنا بِكُمْ لَفِيفًا) أى جميعا (وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا) أى لاتخفها (وابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً) أى بين الجهر وبين الاخفاء طريقا قصدًا وسطا (والتَّرْتِيلُ) فى القراءة التبيين بها كأنه يفصل بين الحرف والحرف ومنه قيل ثغر رَتِلٌ ورَتَلٌ اذا كان مفلجا . ﴿ قال أبو محمد فى المشكل ﴾ فى باب اللحن إذ عاب قراءة التكلف والشذوذ فى المد المفرط والتشديد المتعب فقال وليس هكذا كانت قراءة رسول الله ﷺ ولا خيار السلف ولا التابعين ولا القراء العالمين بل كانت سهلة رسلةً وهكذا يختار لقراء القرآن فى ايرادهم القراءة فى محاريبهم والله المستعان لاشريك له

غريب سورة الكهف ومشكلها

(الحمدُ للهِ الّذِي أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا) مقدم ومؤخر أراد أنزل الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا (لِيُنْذِرَ بأْسًا شَدِيدًا) أى لينذر بيأس شديد أى عذاب (بَاخِعٌ نَفْسَكَ) أى قاتل نفسك ومهلك نفسك قال ذو الرمة :

ألاَ أيُّها ذا الباخِعُ الوجْدِ نفسه * لشيء نحته عن يديه المقَادِرُ

(أسفًا) حزنا (الصَّعِيدُ) المستوى من الأرض ويقال وجه الأرض ومنه قيل للتراب صعيدٌ لأنه وجه الأرض (والجُرُزُ) الذى لا ينبت شيئا ويقال أرض جرز وأرضون أجراز (أَم حَسِبْتَ) أى أحسبت ﴿ ش ﴾ (أَمْ تكون) بمعنى أو كقوله عز وجل - أأمِنتُم من فى السماء أن يَخسِفَ بِكُمُ الأَرض فاذا هى تمور أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبًا - وكقوله عزوجل - أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلاً أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى - هكذا قال المفسرون وهى كذلك عند أهل اللغة فى المعنى وإن كانوا قد يفرقون بينهما فى الأماكن . وتكون أم بمعنى ألف الاستفهام كقوله عز وجل - أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله - أراد أيحسدون الناس ومثله قوله عز وجل - مالنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار اتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار - ؟ وألف اتخذناهم موصولة وقوله

عز وجل ـ أم له البنات ولكم البنون أم تسألهم أجرًا فهم من مغرم مثقلون ـ أراد أتسألهم أجرًا ـ أم عندهم الغيبُ ـ وهذا فى القرآن كثير يدلك على ذلك قوله عز وجل ـ الٓمٓ تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك ـ ولم يتقدم فى الكلام يقولون كذا فيرد عليه أم يقولون وإنما أراد أيقولون ثم يقول عز وجل ـ بل هو الحق من ربك ﴿غ﴾ (والرَّقِيمُ) لوح مكتوب فيه خبر أصحاب الكهف ونصب على باب الكهف والرقيم الكتاب وهو فعيلٌ بمعنى مفعول ومنه ـ كتاب مرقوم ـ أى مكتوب (فَضَرَبْنَا على آذانِهِمْ) أنمناهم ومثله قول أبى ذر رحمه الله قد ضرب الله على أصمختهم (والأَمَدُ) الغاية (وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِم) أى ألهمناهم الصبر وثبتنا قلوبهم (شَطَطًا) أى غلوا يقال قد أشط على إذا غلا فى القول (مِرْفَقًا) ما يرفق به (تزَاوَرُ) تميل (تَقرِضُهُم ذَاتَ اليمين وذَاتَ الشمال) أى تعدل عنهم وتجاوزهم وقال:

إلى ظعن يَقْرِضْنَ أَجوَازَ مُشْرِفٍ ... شِمالاً وعن ايمَانِهِنّ الفَوارسُ

(وَهُمْ فى فَجوةٍ مِنْهُ) أى متسع وجمعها فجوات وفجاءً ويقال فى مقناة والتفسير الأول اشبه بكلام العرب (والوَصِيدُ) الفناء ويقال عتبة الباب وهو أعجب إلى لأنهم يقولون أوصد بابك أي اغلقه ومنه ـ إنها عليهم موصدة ـ أى مطبقة مغلقة وأصله أن تلصق الباب بالعتبة اذا اغلقته ومما يوضح هذا انك إن جعلت الباب بالفناء كان خارجا من الكهف وان جعلته بعتبة الباب امكن أن يكون داخل الكهف والكهف وإن لم يكن له باب

وعتبة ـ فانما أراد أن الكلب منه بموضع العتبة من البيت فاستعير على ما مر وقد يكون الوصيد الباب نفسه فهو على هذا كأنه قال وكلبهم باسط ذراعيه بالباب قال الشاعر

بأَرْضِ فَضَاءٍ لا يُسَدُّ وصِيدُها   علىّ ومعروفى بها غيرُ منكر

﴿قال أبو محمد﴾ فى أول المشكل وقد قال قومٌ بفضول العلم وسوء النظر فى قوله عز وجل ـ وتَرى الشَّمْسَ إذا طلَعَتْ تَزاورُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذاتَ اليمين وإذا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذاتَ الشمال ـ ما فى هذا الكلام من الفائدة وما فى الشمس إذا مالت بالغداة والعشى عن الكهف من الخبر ونحن نقول وأى شىء أولى بأن يكون فائدة من هذا الخبر ؟ وأى معنى ألطف مما أودع الله سبحانه هذا الكلام ؟ وإنما أراد جل وعز أن يعرفنا لطفه للفتية وحفظه إياهم فى المهج واختياره لهم أصلح المواضع للرقود فأعلمنا تبارك وتعالى أنه بوأهم كهفا فى مقنأة من الجبل مستقبلا بنات نعش فالشمس تزوَّر عنه وتستدير طالعة وجارية وغاربة ولا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرها وتلفحهم بسمومها وتغير ألوانهم وتبلى ثيابهم ، وأنهم كانوا فى فجوة من الكهف أى متسع منه ينالهم فيه نسيم الريح وبردها وتنفى عنهم غُمَّة الغار وكربه (وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُم) أى أحييناهم من هذه النومة التى تشبه الموت . (الوَرِق) الفضة دراهم كانت أو غير دراهم يدلك على ذلك أن عرفجة بن أسعد أصيب أنفه يوم الكلاب فاتخذ أنفا من ورق أى من فضة فأنتن عليه فأمره رسول الله ﷺ أن يتخذ أنفا من ذهب (أيها أزكى طعاما) يجوز أن يكون أكثر ويجوز أن

يكون أرخص والله أعلم وأصل الزكاء النماء والزيادة (وَلا يُشْعِرَنَّ بكم أحداً) أى لا يعلمن ومنه يقال أشعر بكذا وليت شعرى ومنه قيل شاعر لفطنته (يَرْجُمُوكُم) أى يقتلوكم وقد تقدم تفسيرها ﴿ ش ﴾ والرجم أصله الرمى كقوله عز وجل ـ وَجَعَلْنَاها رُجُوماً للشَّيَاطِينِ ـ أى مرامى ثم قد تستعار فتوضع موضع القتل لأنهم كانوا يقتلون بالرجم وروى أن ابن آدم قتل أخاه رجما بالحجارة وقتل رجما فلما كان أول القتل سمى رجما وان لم يكن بالحجارة ومنه قوله ـ لَنَرْجُمَنَّكُم ـ أى لنقتلنكم . وقال ـ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أن ترجمونى ـ أى تقتلون . وقال ـ ولولا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ـ أى قتلناك ويوضع موضع الشتم لأن الشتم رمى وكذلك يقال قذف فلان فلانا إذا شتمه وأصل القذف الرمى ومنه قول إبراهيم له ـ لأَرْجُمَنَّكَ ـ أى لأشتمنك ويوضع موضع الظن ومنه قوله ـ رَجْماً بالْغَيْبِ ـ أى ظنا ويقال رجم بالظن كأنه رمى به . والرجم اللعن والطرد لعن ومنه يقال ذئب لعين أى طريد وإنما قيل للشيطان رجيم أى طريد لأنه يطرد برجم الكواكب . (أَعْثَرْنَا عَلَيْهِم) أى أظهرنا عليهم واطلعنا ومنه يقال ما عثرت على فلان بسوء قط (قَالَ الذينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِم) يعنى المطاعين الرؤساء (رَجْماً بِالْغَيْبِ) أى ظنا بغير يقين (وَلَبِثُوا فى كَهْفِهِم ثَلاثَمائَةٍ سِنِينَ) ولم يقل سنة كأنه قال لبثوا فى كهفهم ثلاثمائة ثم قال سنين أى ليست شهورا ولا أياما ولم تخرج مخرج ثلاثمائة درهم . وروى ابن فضيل عن الأجلح عن الضحاك قال نزلت ـ ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة ـ فقالوا أيام أو أشهر أو سنون فنزلت ـ سنين ـ

(وَازْدَادُوا تِسْعًا) ثم قال (قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا له) وقد بيّن لنا قبل هذا كم لبثوا والمعنى أنهم اختلفوا فى مدة لبثهم فقال الله عز وجل ـ ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً ـ وأنا أعلم بما لبثوا من المختلفين . (أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ) أى ما أبصره وأسمعه (مُلْتَحَدًا) أى معدلا وهو من أَلْحَدْتُ ولَحَدْتُ إذا عدلت (وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ) أى لا تجاوزهم إلى زينة الحياة الدنيا وهو نهى كأنه قال لا تجاوزَنّ عيناك كما يقال ما عدوت ذلك أى ما جاوزته . ومن قراءة الحسن ـ لا تعدّ ـ بالتشديد ـ عينيك ـ (وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) أى ندما هذا قول أبى عبيدة وقول المفسرين ـ سرفا ـ وأصله العجلة والسبق يقال فرط منى قول قبيح أى سبق وفرس فرط أى متقدم (وَالسُّرَادِقُ) الحجرة التى تكون حول الفُسْطَاط وهو دخان يوم القيامة وهو الظل ذو الثلاث الشُّعَب الذى ذكره الله عز وجل فى سورة والمرسلات (وَالْمُهْلُ) دردى الزيت ويقال ما أذيب من النحاس والرصاص (وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا) أى مجلسا وأصل الارتفاق الاتكاء على المرفق (أَسَاوِرَ) جمع إسوار (وَالسُّنْدُسُ) رقيق الدّيباج (وَالأَرَائِكُ) السرر فى الحجال واحدها أريكة (وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا) أى لم تنقص . وَ(حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ) أى مرامى واحدها حسبانة (وَالصَّعِيدُ) الأملس المستوى (وَالزَّلَقُ) الذى تزل عنه الأقدام (وَيُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا) أى غائراً فجعل المصدر صفة كما يقال رجل نَوْمٌ ورجل صَوْمٌ ورجل فِطْرٌ ويقال للنساء نَوْحٌ إذا نُحْنَ . (وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ) أى أهلك (فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ) وهذا مما يوصف

به النادم (خَاوِيَةٌ) خربة (والعُرُوشُ) السقوف (هُنَالِكَ الْوَلاَيَةُ لِلّهِ) يريد يومئذ يتولون الله ويؤمنون به ويتبرؤن مما كانوا يعبدون (وَخَيْرٌ عُقْبًا) أى عاقبة (والهَشِيمُ) من النبت المتفتت وأصله من هشمت الشيء إذا كسرته ومنه سمى الرجل هاشما (تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ) تنسفه (مُقْتَدِراً) مفتعلا من قدرت (والبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ) يقال الصلوات الخمس ويقال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاَّ الله والله أكبر (وَخَيْرٌ أَمَلاً) أى خير مايؤملون(فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا)أى لم نخلف يقال غادرت كذاوأغدرته إذا خلفته ومنه سمى الغدير لأنه ماءٌ يخلفه السيول (فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّه) أى خرج عن طاعته يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً) أى مهلكا بينهم وبين آلهتهم فى جهنم ومنه يقال أوبقتْهُ ذنوبه وقوله ــ أو يوبقهُنّ بما كسبوا ــ ويقال موعدا (فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا) أى علموا(وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفا)معدلا(إلاَّ أن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ) أى سنتنا فى أخلاقهم (أَوْ يَأْتِيَهُمُ العذابُ قِبَلا)وقُبُلا أى مقابلة وعيانا . ومن قرأ قَبَلا بفتح القاف والباء أراد استئنافا (وَلَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلا) أى ملجأ يقال وأَلَ فُلاَنٌ إلى كذا وكذا إذا لجأ ويقال لا وألتْ نفسك أى لانجت وفلان يوائل أى يسابق لينجو (حقُبا) أى زمانا ودهراً ويقال الحقب ثمانون سنة (فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ) فاتخذ الحوت طريقه (فى البَحْرِ سَرَبًا) أى مذهبا ومسلكا (واتَّخَذَ سَبِيلَهُ فى البَحْرِ) سبيلا (عَجبا) . (قَصَصًا) أي يقتصان الأثر الذي جاءا فيه (شَيْئًا إمْراً) عجبا و(شَيْئًا

نُكْراً) أى منكراً (وَلاَ تُرْهِقْنِى) أى لا تغشنى (عُسْراً) (يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ) أى ينكسر ويسقط وهذا من المجاز ونذكر منه شيئاً هاهنا وهو ماسببته الآية . ﴿ قال أبو محمد ﴾ فى آخر باب المجاز وأما الطاعنون على القرآن بالمجاز فانهم زعموا أنه كذب لأن الجدار لا يريد والقرية لا تقصم فى قوله ـ وكم قصمنا من قرية قال وهذا من أشنع جهالاتهم وأدلها على سوء نظرهم وقلة أفهامهم ولو كان المجاز كَذِبا وكل فعل ينسب إلى غير الحيوان باطلا كان أكثر كلامنا فاسداً لأنا نقول نبت البقل وطالت الشجرة وأينعت الثمرة وقام الجبل ورخص السعر ونقول كان هذا الفعل منك فى وقت كذا والفعل لم يكن وإنما كُوِّنَ ونقول كان الله وكان بمعنى حدث والله عز وجل قبل كل شىء بلا غاية لم يحدث فيكون بعد أن لم يكن والله يقول ـ فاذا عزم الأمر ـ وإنما يعزم عليه . ويقول ـ فما ربحت تجارتهم ـ وإنما يربح فيها . ويقول ـ وجاؤا على قميصه بِدَمٍ كَذِبٍ ـ وإنما كذب به قال ولو قلنا للمنكر لقوله قائلاً فى جدارٍ رأيته على شفا من انهيار رأيت جداراً ماذا ؟ لم يجد بدًّا من أن يقول يهمُّ أنْ يَنقَضَّ أو يكاد أن ينقضَّ أو يقارب أن ينقضَّ وأيًّا ماقال فقد جعله فاعلا ولا أحسبه يصل إلى هذا المعنى فى شىء من لغات العجم إلا بمثل هذه الألفاظ قال وأنشدنى السجستانى عن أبى عبيدة فى مثل قول الله تعالى يريد أن ينقض :

يُرِيدُ الرُّمْحُ صَدْرَ أَبِى براءٍ ... ويرغَبُ عن دماءِ بنى عقَيل

وأنشد الفراء :

إن دهراً يلفُّ شملي بِسَلْمى لزمانٌ يَهِمّ بالاحسان[1]

والعرب تقول بأرض بنى فلان شجر قد صاح إذا طال للمتمس للشجر الناظر بطوله ودل على نفسه جعله كأنه صائح لأن الصائح يدل على نفسه بصوته ومنه قول العجاج :

* كالكرم إذ نادى من الكافور *

ويقال هذا شجر واعد إذا نوّر كأنه لما نوّر وعد أن يثمر ونبات واعد إذا أقبل عماء ونضرة وقال سويد بن كراع :

دعا غير مذعورٍ بهن وراقه لعاعٌ تهاداه الدكادك واعد

والمجاز والاستعارة من ماء واحد وسترى مابقى من البابين مما أتى فى كتاب الله عز وجل إن شاء الله تعالى (وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ) أى أمامهم (وأَقْرَبَ رُحْمًا) أى رحمة وعطفاً (فأَتْبَعَ سَبَبًا) أى طريقا(تَغْرُبُ فى عَيْنٍ حَمِئَةٍ) ذات حمأة قال الشاعر يذكر ذا القرنين :

فأتى مغيب الشمسِ عند مآبها فى عَيْنِ ذى خُلُبٍ وثأطٍ حَرْمَدِ[2]

والخلب الطين ببعض اللغات والثأط الحمئة والحرمد الأسود (بَيْنَ السَّدَّيْنِ) أى بين الجبلين يقال للجبل سدٌّ (زُبَرَ الحَدِيدِ) قطعه واحدها زبرة والزبر الدفع (والقِطْرُ) النحاس (فَمَا اسطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ) أى يعلوه يقال

---

(١) القائل حسان بن ثابت . وفى شواهد الكشاف : إن دهراً يلف شملى بجمل

(٢) فى اللسان . قال تبع أو غيره

ظهر فلان السطح اذا علاه (جَعَلَهُ دَكًّا) أى ألصقه بالأرض يقال ناقة دكاء اذا لم يكن لها سنام (لِلْكافِرِينَ نُزُلا) النزل مايقدم للضيف ولأهل العسكر (حِوَلاً) أى تحولا (يَرْجو) أى يخاف قال الشاعر :

اذ لَسَعَتْهُ الدَّبْرُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا[1] أى لم يخف

---

(١) فى لسان العرب :

اذا لسعته النحل لم يرج لسعها * وخالفها فى بيت نوب عواسل

قال : والدبر الزنابير ، ومن قال النحل فقد أخطأ .

﴿بحمد الله تعالى قد تم طبع الجزء الأول من كتاب القرطين لابن مطرف الكنانى ويليه الجزء الثانى وأوله غريب سورة مريم ومشكلها والله المستعان﴾

فهرس السور التى فى الجزء الأول

تم فهرس الجزء الأول

فهرس بعض المواضيع

يفعل بأن وقد جاء فى الشعر ولم يأت منها إلا الماضى والمضارع ، ومعناها همّ ولم يفعل ، وقد تأتى بمعنى فعل .

فهرس الأعلام الواردة فى الجزء الأول من القرطين

﴿ بمناسبة الاستشهاد بأشعارهم ﴾

استدراك

جاء فى نهاية السطر الثانى عشر من ص ٢٢٤ هذه العبارة : فان قال قائل : فهل يجوز لنا أن نقرأ به وليس ذلك لنا فى ماخالفه الخ هــذه العبارة نقلناها طبق الأصل وليس فيها جواب ظاهر ولــكنه يفهم من فحوى الــكلام ، أو أن الواو فى قوله : وليس لنا ، أصلها الفاء فتــكون واقعة فى جواب الشرط .

وفى	س	ص	خطأ	وصوابه
	٤	٢٢٥	فاستعظم	فاستعصم

وهذا فى الورق الأبيض فقط